

مَسْرَحِيَّاتٌ  
وَلَمْ يَشْكُ سَبِيحُ  
الْكَامِلَةِ

التَّارِيخِيَّاتُ

تَرْجِمَ  
أ. ر. مَسْأُودُ

إِشْرَافَ وَتَشْرِيفَ  
فَطِيْرُ صَبُوحَ

تَوَزَّيْعَ  
دَارِ الْبَيْتِ



مَسْرَحِيَّات

# وَلِيْمُ شَكْسِيَر

الْكاملَة

التَّارِيخِيَّات

١٠

تَعْرِيب

أ. ر. مشاطي

إشراف وتقديم

نظير عبود

دار نظير عبود

حق هذه الترجمة محفوظ  
لدار نظرية عمود

ص ٨٦ : ١١ / تلفون : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

## يحتوي هذا المجلد على:

|               |           |
|---------------|-----------|
| هنري السادس ١ | ..... ٤   |
| هنري السادس ٢ | ..... ١٠٥ |
| هنري السادس ٣ | ..... ٢٢٣ |

# هنري السّاوِس

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

## أشخاص المسرحية

الملك هنري السادس.

دوق كلوسستر : عم الملك وحمي المملكة.

دوق بدفورد : عم الملك ووصي على عرش فرنسا.

توماس بوفور دوق إكسستر : عم والد الملك.

هنري بدفورد : اسقف ونشستر، فيما بعد كردينال، عم والد الملك.

جون بوفور دوق سومرست

ريشار بلانتاجينييه : يَكُر المتوفي ريشار، كونت كميريدج، فيما بعد دوق  
يورك.

كونت ورويك.

كونت سالزبري.

كونت سوفولك

لورد تالبوت : فيما بعد كونت شروزبري

جون تالبوت : ابنه.

ادموند مرثيمور : كونت مارش

سير جون فستولف.

سير وليم لوسي.

سير وليم كلاندايل.

سير توماس كاركراف.

محافظ لندن.

وذليل : ملازم البرج

فرونون : من جماعة الوردة البيضاء، فريق يورك.

باسي : من جماعة الوردة الحمراء، فريق لنكاستر.

رجل قانون.

دوق بوركون.

شارل : ولي العهد، فيما بعد ملك فرنسا.

رينيه : دوق انجو وملك نابولي.

دوق آلنسون.

لقيط اورليان.

حاكم باريس.

ضابط المدفعية في اورليان وولده.

قائد الفيالق الفرنسية في بوردو.

راع عجوز : والد جان دارك.

جان دارك : الملقبة بالعذراء.

مرغريت : ابنة رينيه، فيما بعد زوجة هنري السادس.

كونتيس أوفارن.

شياطين تظهر على العذراء، لوردات ووجهاء، حراس وضباط وجنود،

رسل ورجال حاشية، رقيب وبواب إلخ.

تجري الأحداث حيناً في انكلترا وحيناً آخر في فرنسا.

## الفصل الأول

### المشهد الأول

#### في دير ومتنتر

(يُسمع لحن جنازتي. جثمان الملك هنري الخامس مسجى في نعش فاخر،  
يحيط به دوق بدفورد ودوق كلوستر ودوق أكستر وكونت وزوبك  
وأسقف ونشستر وأسقف هيرو إلخ...)

بدفورد : لتشع السماء بالسواد! وليحلّ الليل محلّ النهار! وأنت  
أيتها الكواكب المالكة سلطة تبديل الأزمنة والأمبراطوريات  
هزّي في أعالي القلّك جدائلك البلورية، واجلدي بالسيّاط  
النجوم الخبيثة المتمردة التي تكاتفت للقضاء على هنري  
الخامس، الملك اللامع الذي لم يعيش طويلاً ولم تعرف  
انكلترا عاهلاً عظيماً نظيره.

كلوستر : قبله لم تعرف انكلترا ملكاً تحلّى مثله بكرامة الحكم الفاضل.  
فكان السيف في يده يثار، اهتدى بلمعانه الرجال، وطالت  
ذراعه أجنحة الثّنين، وتطايّر من عينيه البراقين شرر الغضب  
الذي هزم اعداءه. الكليلي البصر أكثر مما تفعله الشمس  
وسط كبد السماء في رابعة النهار. ماذا أقول؟ كانت أفعاله

اكسائر : تحدّى جميع الأقوال، ولم يرفع يده إلا لئال الغلبة والنصر.  
نحن نلبس السواد حداداً، فلماذا لا نلبس خصومنا أثواباً  
من الدماء، لقد مات هنري ولن يعود الى الحياة. اننا نحيط  
الآن بنعش من خشب، ونمجد بحضورنا جلال الموت الذي  
أذلنا كأننا أسرى مكبلين بالسلاسل ومشدودين الى عربة  
المتنصر. فهل نلعن الكواكب المشؤومة التي تأمرت علينا  
وهدمت أمجادنا؟ أو نعتقد بأن الفرنسيين البارعين هم سحرة  
أرعدتهم سطوة مليكنا فوضعوا حداً لحياته وندبوه بأشعار  
بليغة؟

ونشستر : لقد كان ملكاً باركه رب الأرباب الذي سيقنصر يوم القيامة  
من الفرنسيين وينزل بهم ويلات أقصى من كل ما اتابهم  
في هذه الدنيا. ولقد ربح المعارك في سبيل إله الجيوش  
بفضل دعاء رجال الدين الذين استمطروا عليه الخيرات.  
كلوستر : لكن أين رجال الدين؟ لو صلّوا كما يجب لما انقطع خط  
حياته هكذا باكراً. أنتم تفضلون أميراً متخثاً بوسعكم أن  
تسيطروا عليه كأنه تلميذ مدرسة.

ونشستر : مهما كان مثلاً يا كلوستر، أنت حامي الأمير وتود أن  
تديره وتتحكم بملكه. زوجتك المتشامخة تسيطر عليك أكثر  
من ربك ومن رجال الدين الأجلاء.

كلوستر : لا تتكلم عن الديانة، لأنك منشغل بملذات الحياة، وطوال  
السنة لا تصلي، وإن فعلت فلتطلب المصائب لأعدائك.

بدفورد : كفى، كفى هذا الشجار. إلزما الهدوء. فبدلاً من الدعاء  
سنقدم لله أسلحتنا التي لم يعد لها من فائدة بعد وفاة هنري.  
وعوضاً عن الازدهار سنعاني سنوات من البؤس والشقاء،  
فيها لن يرضع أطفالنا سوى لبان الحزن والأسى، ولن تبلل  
جزيرتنا سوى دموع التعاسة والهوان بدلاً من قطرات الندى  
والصفاء، ولن يبقى إلا النساء لندب الأموات والتحسر عليهم.

أيَا هنري الخامس الراحل، أستحلف خيالك أن تصون هذه المملكة وتحفظها من خلافات أهلها، وأن تقاتل كواكب اخصاصا في السماء لأن روحك نجم يتألق مجدداً أكثر من يوليوس قيصر.

(بدخل رسول).

الرسول : أحييكم يا سادتي المحترمين، وآتيكم من فرنسا بأنباء سيئة عما حلّ بنا من الدمار والمجازر والويلات. فقد خسرنا مستعمرة غويانا ومقاطعة شمبانيا ومدن روان ورنس وأورليان وباريس وجيزور وبواتيه.

بدفورد : ماذا تقول، أيها الرجل، أمام جثمان هنري؟ أخفض صوتك، وإلا فمقابل فقدان هذه المدن الكبيرة سيشتق المرحوم ما يغلفه من صفائح الرصاص ويقوم من بين الأموات.

كلوستر : هل خسرنا باريس؟ وهل استسلمت مدينة روان؟ لو عاد هنري إلى الحياة لأزهقت هذه الأنباء روحه حتماً.

اكساتر : كيف حلّت بنا هذه الخسائر؟ وأية خيانة جرّتها علينا؟

الرسول : لا، ليست الخيانة بل قلة الرجال والمال. لقد سرت بين الجنود همسات بأنكم تدبّرون هنا شتى المكائد، وعندما يقتضي الأمر إرسال جنود لمساندة حملة ما، تتشاجرون على اختيار القوّاد. الأول يريد تمديد الحرب بأقل التكاليف، والثاني يود أن ينهيها بأسرع ما يستطيع بدون أن تكون لديه الإمكانيات اللازمة، والثالث يفكر بأن السلم يمكن أن يتم بدون ثمن أو بالكلام المعسول. استيقظوا، استيقظوا يا نبلاء انكلترا! لا تدعوا التخاذل يبدّد أمجادكم الحديثة العهد. فأزهار الزنبق قد انتزعت عن سلاحكم ونصف أمجاد انكلترا قد مرّغت في الوحل.

اكسائر : اذا غابت أسلحتنا بعد هذه الجنازة، فان أنباء ضعفنا ستزيد  
الطين بلةً وسيطفح الكيل.

بدفورد : أنا المقصود بكل هذا التحقير، بصفتي وصي عرش فرنسا.  
أعطوني درعي الفولاذي لأذهب الى محاربة الفرنسيين واستردّ  
سلطتنا عليهم. ابعادوا عني هذه الثياب المعية التي تدل على  
التقاعس. فأنا أريد أن تذرف عيون الفرنسيين دمعاً بل أن  
تنزف جراحهم دماً على يؤسهم الذي تخلى عنهم لحظة.  
(يدخل رسول آخر).

الرسول الثاني: أرجوكم، يا سادتي، أن تقرأوا هذه الرسائل الحافلة بالأحداث  
المشؤومة. ان فرنسا بأسرها قد ثارت على الانكليز، ما  
عدا بضعة مدن صغيرة لا أهمية لها. وولي العهد شارل  
قد توجّج في مدينة رانس، ولقيط أورليان قد انضم اليه. كذلك  
رينيه دوق أنجو قد ساندته، كما أن دوق آلنسون قد خفّ  
الى اعلان ولائه له.

اكسائر : هل حقاً توجّج ولي العهد ملكاً والجميع يعلنون له الولاء؟  
الى أين علينا أن نهرب للخلاص من هذا العار؟  
كلوستر : علينا أن نردّ كيد أعدائنا الى نحرهم. فان لم تصمّ بعد  
على ذلك يا بدفورد، فأنا وحدي أخوض غمار هذه الحرب.  
بدفورد : لماذا تشكّ بحماسي، يا كلوستر؟ لقد جمعت في فكري  
جيشاً لجباً، أخذ منذ هذه اللحظة يجتاح أراضي فرنسا.  
(يدخل رسول ثالث).

الرسول الثالث : يا سادتي الأفاضل، هل عليّ أن أضاعف ما ذرته عيونكم  
من دموع في هذه الفترة، على نعش الملك هنري؟ لا بدّ  
لي من اطلاعكم على وقوع معركة هائلة بين اللورد تالبوت  
العظيم وبين الفرنسيين.

ونُشِتر : معركة انتصر فيها تالبوت طبعاً، أليس كذلك؟

الرسول الثالث : لا، لا. لقد خسرها اللورد تالبوت. واليكم تفاصيلها :

في العاشر من شهر آب الماضي، رفع هذا اللورد المخيف الحصار عن مدينة أورليان وكان تحت أمرته ستة آلاف مقاتل، فطوّقه وأغار عليه ثلاثة وعشرون ألف فرنسي. فلم يتسنّ له توزيع رجاله ووضع الجنود أمام رماة السهام، فاستبدل الجنود بأوتاد اقلعها من الأسيجة وغرسها عشوائياً لمنع الفرسان من اقتحام صفوفنا. ودام العراك أكثر من ثلاث ساعات، فاجترح تالبوت الشجاع معجزات بسيفه ورمحه، وأرسل الى الجحيم المئات من أعدائه، ولم يقوَ، أحد على الصمود أمامه. فهنا وهناك وفي كل مكان زرع الموت بغضب هائل، حتى ظنّ الفرنسيون أن الشيطان ذاته كان يصلو ويجول في أرض المعركة. فذهل جيشهم وحار ضباطهم في أمرهم، لا سيما حين سمعوا جنودنا يهتفون بحماس لدى رؤيتهم بسالة قائدهم : تالبوت، تالبوت. ويندفعون الى الميدان غير هيابين. فحسم هذا الاندفاع مصير الفوز، وكانت كفة النصر رجحت الى ناحيتنا، لولا تصرف جون فستولف الجبان الذي كان في مؤخرة الجيش كاحتياط ليساند باقي الجند، لكنه هرب بدون أن يضرب ضربة واحدة. فاذا بالهزيمة تحلّ بنا وتقع المعجزة الكبرى، لأن الأعداء كانوا قد التّفوا حولنا وأحكموا تطويقنا. والأنكى أنّ خيلاً من رجال الوالون، كي ينال حظوة في عين ولي العهد، طعن برمحه من الخلف تالبوت الذي لم تكن فرنسا برمتها وبكل قوى رجالها الأشداء مجتمعين لتجسر على النظر اليه وجهاً لوجه.

بدفورد : بما أن تالبوت قد قتل، فليس أمامي سوى أن أنتحر، لأنني

عشت هنا لا أبدي أي نشاط، متنقماً بالبحيوة والرخاء، بينما قائدنا الشجاع هذا لم تصله النجدة في حينها فأسلمه

أصحابه هكذا بأفطع خيانة الى ألد أعدائه الجبناء.  
الرسول الثالث : لا، لا، هو لا يزال حيًا، لكنه أسير، نظير اللورد سكال  
واللورد هنرفورد، أما الباقيون فأغلبهم قد لاقوا حتفهم أو  
سيقوا الى الأسر.

بدفورد : عليّ أنا وحدي أن أدفع الجزية. سأنزل ولي العهد عن  
العرش الذي اعتلاه وسأجعل تاجه فدية صديقي. سأستبدل  
كل أربعة من رجالهم برجل واحد منا. فالوداع يا سادتي.  
أنا ذاهب لأداء واجبي. عليّ أن أضرم حالاً نيران الفرع  
في فرنسا لإحياء عيد شفيغنا الفارس جاورجيوس. سأصطحب  
عشرة آلاف جندي لنقهر بغزواتنا الدامية أرض أوروبا من  
أدناها الى أقصاها.

الرسول الثالث : ستحتاج الى هذا العدو، لأن أورليان محاصرة، والجيش  
الانكليزي قد ضعف وانهار، والكونت سالزبري يطلب  
النجدة. وهو يسعى ليحول دون تمرّد رجاله عليه اذا لاحظوا  
قلة رجاله، ويخشى أن لا يمكنه التغلب على مثل هذا  
العصيان.

اكستر : تذكروا يا سادة، يمينكم أمام هنري بأن تيدوا جيش ولي  
العهد عن بكرة أبيه أو أن تعيدوه صاغراً ذليلاً الى طاعتنا.  
بدفورد : أنا أتذكر ذلك جيداً، وأغادركم الآن لأكمل استعداداتي.

(يخرج)

كلوستر : سأقصد البرج بأقصى السرعة لتفقد المدفعية والذخيرة. ثم  
أعلن تولّي الملك هنري الشاب شؤون البلاد.

(يخرج)

اكستر : وبما أنني عيّنت حاكماً بأمر من الملك الفتى، أنا ذاهب

الى مدينة ألتهم حيث يقيم الآن لاتخاذ التدابير الفعالة الآتية  
الى حمايته من كل مكروه وحفظ حياته بأمان.

(يخرج).

ونشتر : فلينصرف كل منا اذا الى وظيفته، ما دمت قد نَحِيتُ جانباً  
ولم يعد لي من عمل أقوم به. لكني لن أبقي طويلاً بدون  
مهمة، فلا بدّ لي من سحب الملك من ألتهم، والمباشرة  
في ادارة دفة الأشغال العامة.

(يخرج).

## المشهد الثاني

في فرنسا، أمام مدينة أورليان

(تسمع موسيقى. يدخل شارل مع جنوده وآلتون وربييه وغيرهم).

شارل : أرى أن موقف إله الحرب مارس في السماء، كما هو على  
الأرض، لا يزال مجهولاً غامضاً. وقد آزر الانكليز في  
انتصاراتهم الأخيرة، أما الآن وقد أصبح النصر حليفنا، فقد  
ابتسم لنا الحظ. ما هي المدن الهامة التي لم تعد تحت  
سيطرتنا. اننا لا نأتي الآن بحركة أمام أورليان، والانكليز  
الجائعون بسحنتهم الصفراء كأشباح الموتى يحاصروننا بجمود  
منذ أكثر من شهر.

آلتون : هم بحاجة الى التغذية نظير البغال، وإن تكن مخلاتهم دوماً  
في رقبتهم وسحنتهم تشبه الفئران الحقيرة التي تفرق في  
فنجان ماء. تعالوا نهاجمهم ونجبرهم على فكّ الحصار. لماذا  
نظل هنا جامدين؟ لقد غاب تالوت الذي كنا نخشاه. ولم

يقى سوى الغبي سالزبري الذي يسهه أن يبلع ريقه غضباً  
بدون جدوى، ما دام لا يملك رجالاً ولا مالاً لخوض غمار  
الحرب.

شارل : اقرعوا نواقيس الخطر. وهيا نهاجمهم ونشترك في المعركة  
تشریفاً للفرنسيين المتحفّذين. أنا مستعد لمسامحة من يقتلني  
إذا رأي أني أراجع خطوة أو أهرب.

(يخرج الجميع. يسمع صوت نفير استنجد. الانكليز يدحرون الفرنسيين  
ويكبّلونهم خسائر فادحة).

(يدخل شارل وآلسون ورينيه وغيرهم).

شارل : من رأى أمراً كهذا؟ ومن هم هؤلاء الرجال؟ أليسوا من  
الكلاب الجبناء الرعاديذ؟ أنا ما كنت تراجع أبداً لو لم  
أتركُ وحيداً وسط أعدائي.

رينيه : إن سالزبري مجرم دنيء. هو يحارب كمن سئم الحياة.  
وسائر اللوردات كالذئاب الجائعة يهاجموننا ويفتكون بنا كأننا  
فرائسهم.

آلسون : أحد مواطنينا، وأسمه فرواسار، قد نقل إلينا نبأ مفاده أن  
انكلترا لا تجب إلا أمثال أوليفيه ورولان في عهد الملك  
ادوارد الثالث. فهل هذا لا يزال صحيحاً كما كان على  
الدوام؟ هم أشباه شمشون وجليات، يقبلون على هذه المعركة  
كأنهم واحد لقاء عشرة، وهم نحلاء كأنهم جلد على عظم،  
وما ظن أحد أنهم يستبلون بمثل هذه الشجاعة.

شارل : لنغادر المدينة اذاً، لأن هؤلاء الأنذال لا يفكّرون، ولا يزيدهم  
الجوع إلا شراسة. أنا أعرفهم منذ زمن بعيد، وأعتقد بأنهم  
يفضّلون مناطحة الجدران على فكّ الحصار الذي أحكموه  
حولنا.

رينيه : أظن أن قبضات أيديهم تحركها نوابض أو آلات غريبة لكي

يضربوا بانتظام كرقاص ساعة حائط ضخمة. وإلا ما استطاعوا  
أن يصدوا هكذا. على كل حال لا بد لنا من أن نقاومهم.  
: فليكن ما تريد.

آلتون

(يدخل لقيط أورليان).

: أين ولي العهد؟ لديّ أنباء تهمة.

اللقيط

: أهلاً ومرحباً بك، يا لقيط أورليان.

شارل

: يخيل إليّ أنك كيب واجف. هل هذا ناجم عن المصيبة  
الأخيرة؟ كُفّ عن الخوف، لأن النجدة باتت قريبة. اني  
أتيك بصبيّة عذراء أوعزت اليها السماء بأن تطارد الانكليز  
إلى ما وراء حدود فرنسا. أما مقدرتها العجيبة على التنبؤ  
فهي أقوى مما كان للملهمات التسع في روما القديمة. وهي  
تستطيع معرفة الماضي والمستقبل في كل الأمور. فهل تود  
أن أحضرها لك؟ صدّقني، أنا واثق بصواب ما أخبرك به.  
: هيا جنّني بها (يخرج اللقيط). لكن لكي أوقن أولاً بصدق  
معلوماته، خذ، يا ريني، مكاني كأنك أنت ولي العهد.  
استجوبها بحنكة وانظر اليها بحدة وبأس، فنستطيع هكذا  
أن نقف على مدى معرفتها الأمور.

شارل

(يتحي جانباً).

(تدخل العذراء ولقيط أورليان وغيرهما).

: أيتها الحساء، هل أنت واثقة بأنك قادرة على انجاز هذه  
الأعمال الباهرة؟

ريني

: هل تظن، يا ريني، أنك تستطيع خداعي؟ أين ولي العهد؟  
(تجّه نحو شارل) هيا أخرج من مخبأك (يتقدم شارل). أنا أعرّفك  
بدون أن أكون قد رأيتك سابقاً. لا تتذهل، لا شيء يخفي

العذراء

عليّ. أودّ أن أكلمك على انفراد. ابتعدوا يا سادة، واتركونا لحظة على انفراد.  
: كبداية، أراها تتصرف بشجاعة.

رينيه

(يتحي الوجهاء جانباً).

: يا ولي العهد، أنا بالولادة ابنة أحد الرعاة، ولم أتدرب ذهبياً على أي من الفنون. لقد شاءت السماء وميّدة النعم أن ترفع عني البؤس. ذات يوم وأنا أرعى خرافتي الوديمة، وأعرض وجتني لحرارة الشمس المحرقة، ظهر لي ملاك من السماء، ومن خلال رؤيا جلييلة أشار عليّ بأن أغادر أهلي وأن أبتعد عن منطقتي وعن ويلاتها. وقد وعدني هذا الملاك بأن يساعدني وأن يؤمن لي كل النجاح وقد ظهر لي بأروع مجده. وكنت الى ذلك الحين حنطية اللون، فاذا بالأنوار التي سلطها عليّ قد وهبتي هذا الجمال الذي ميزني عن غيري. إطرح عليّ ما شئت من الأسئلة لأردّ عليها ارتجالاً بدون استعداد. امتحن بسألتي، إذا شئت، بإرسالي الى ساحة المعركة فتقتنع بأنني أقوى من جميع بنات جنسي، لا تتردد، فلن تدم على وثوقك بي واتكالك عليّ في الحرب.

العذراء

: لقد أدهشني حديثك الجريء الفخور. وأنا مستعد لأن أمتحنك على هذا الأساس. ستأزليني في صراع منفرد، فاذا تغلبت عليّ تكون أقوالك صادقة، وإلا امتنعت عن الوثوق بشخصك. أنا على أتم الاستعداد، وهذا سيفي بحذّ القاطع تزيّنه خمس زنايق. وقد لقيته في مقبرة أحد معابد مدينة تورين بين كومة من الحديد العتيق.

شارل

العذراء

: هيا اذاً، وباتكالي على الله، أنا لا أخشى أية امرأة.  
: وأنا أيضاً، ما دمت حية لن أهرب أبداً من أمام أي رجل.

شارل

العذراء

(يتعاركان).

شارل : أوقفي يدك، برّيك. أنت جبارة، والسيف في يدك قاطع بتّار.

العذراء : الله معي، وبدون عونهِ أُراني في غاية الضعف.

شارل : مهما كانت القوة التي تُؤازرك، فقد نويت الاستعانة بك،

وبتّ أتوق إلى صحتك، إذ هيمن لطفك على فؤادي كما

أخذ عفوانك يشدّد عزيمتي. أينها العذراء الكريمة، إن كان

هذا اسمك فاسمحي لي بأن أكون لك خادماً لا سيداً.

وأنا بصفتي وليّ عهد عرش فرنسا ألتبس منك أن تعتبريني

هكذا.

العذراء : عليك أن لا تضخّي بنفمك في سبيل الحب. فأنا استمد

رسالتي المباركة من العلاء. وبعد أن اطرد من هنا جميع

أعدائك، سأفكّر بما أطلبه من مكافأة.

شارل : بانتظار ما سيحدث، ألتبس منك أن تجودي بنظرة عطف

على أسير هواك.

رينيه (على حدة لآنسون) : يخيل لي أن سيدي يطيل الشرح.

آلنسون (على حدة لرينيه) : لا شك في أنه يميل إلى هذه الصيغة بكل جوارح

قلبه، وإلاّ لما واصل معها الحوار هكذا.

رينيه : هل علينا أن نقطعه أثناء كلامه الذي لا نهاية له؟

آلنسون : قد يكون له هدف آخر غير الذي تصوّره نحن الرجال

المساكين. لأن هؤلاء النساء المحتالات لا يكلّ لهنّ لسان.

(يتقدم رينيه وآلنسون).

رينيه : أين أنت، يا مولاي؟ هياّ قرّري أحد أمرين : إما مغادرة

أورليان للنجاة، وإما البقاء فيها للدفاع عنها.

العذراء : أؤكد لكم طبعاً أنني لن أغادرها. وعليكم إذاً أن تقتاتلوا

إلى جانبي حتى الرمي الأخير. وأنا أكون حاميتكم وفي

مقدمتكم.

شارل : وأنا أؤكد لكم صدق ما تقوله هذه الصبية، وسنقاتل بضراوة.

العذراء : لقد أرسلتني الأقدار لأكون وبالاً على الانكليز. وهذه الليلة بالذات سأفك الحصار ويمكنكم أن تنتظروا مني العجائب، لأنني مصممة على خوض غمار هذه الحرب. فالمجد يشبه دوائر في الماء تظلّ تتسع باستمرار حتى تضمحل ولا يبقى لها من أثر. بموت هنري انهارت عظمة الانكليز وجميع أمجادهم تبددت هباءً مثوراً في الهواء. أنا الآن كالمركب الفخور الجسور الذي حمل ذات يوم قيصر ومصريه.

شارل : وكما كان الحمام الوديع مصدر وحي الأنبياء، هكذا النسر هو مصدر الهامك. انما لا هيلانة والدة قسطنطين الكبير ولا بنات فيلبوس يعادلنك. فيا نجمة فينوس المتلألئة الهابطة على الأرض كيف يتسنى لي أن أبجلك بخشوع؟

آلنسون : لنختصر التفاصيل، ولنفك الحصار أولاً.

رييه : افعلي ما باستطاعتك يا امرأة لانقاذ حياتنا وأمتنا. اطردي الانكليز وتمتعي بالخلود.

شارل : هلمّ بنا نحاول فوراً. هيا الى العمل. فأنا لم أعد أثق بأي نبي اذا لم يتحقق ما أترقبه.

(يخرجون).

## المشهد الثالث

### في لندن أمام البرج

(دوق كلوستر يتقدم نحو أبواب البرج، يتبعه رجاله بـيرّات زرقاء).

كلوستر : جئت أتفقد البرج. فمنذ وفاة هنري بتّ أخشى بعض الاختطافات. أين الحرس؟ لماذا ليسوا هنا في أماكنهم؟ (يرفع صوته) افتحوا الأبواب أنا كلوستر أناادي.

(يطرق خادمه الباب).

الحارس الأول (من الداخل) : من يطرق هكذا بشدة؟

الخادم الأول : دوق كلوستر النبيل.

الحارس الثاني (من الداخل) : أيّا كتم لا سبيل الى ادخالكم الآن.

الخادم الأول : أهكذا تردّ على اللورد حامي المملكة أيها الوغد؟

الحارس الأول (من الداخل) : حفظك الرب. هذا جوابنا. نحن نفقذ ما أمرنا به.

كلوستر : من الذي أصدر الأوامر؟ من غيري يأمر هنا؟ ليس من يحمي

المملكة سواي. اخلعوا الأبواب، وأنا المسؤول عن ذلك.

هل وصلنا الى حدّ أن يعصى الأندال أوامري؟

(بهجم رجال كلوستر على الأبواب. ويقترب ملازم البرج وذفيل من

الداخل).

وذفيل (من الداخل) : ما هذا الضجيج؟ من الخائن الذي يقاومنا؟

كلوستر : أيها الملازم، هل هو حقاً صوتك الذي يبلغ أذني؟ هيا افتح

الأبواب حالاً، انا كلوستر أريد الدخول.

وذفيل (من الداخل) : اصبر قليلاً أيها الدوق النبيل. لا يمكنني أن أفتح لك.

فالكردينال ونشتتر منعني لأنه هو الذي أمر بأن لا أَدع

أحدًا يدخل، لا سيادتك ولا أعوانك.

كلوستر : أيها الوقح وذليل، هل تعتبر، أرفع مقاماً مني، هذا المتكبر المدعي ونشستر الذي لم يكن ملكنا المرحوم هنري يحبه؟ أنت لست وفياً لا لله ولا للملك. افتح الأبواب أو أطردك فوراً.

الخادم الأول : افتحوا الأبواب للورد حامي المملكة، أو أخلعها وأخلعكم معاً إذا لم تخرجوا حالاً.

(يدخل ونشستر تحيط به حاشية من الخدم يبرأت صفراء).

ونشستر : يا هنري المتطاول، ما معنى كل هذا؟  
كلوستر : هل أنت أمرت بأغلاق الأبواب في وجهنا؟  
ونشستر : أجل أنا أيها المستبد، لأنني لا أعتبرك حامي الملك والمملكة.  
كلوستر : اليك عني، أيها المتآمر الحقير. فأنت الذي دبرت مقتل ملكنا المتوفي، أنت الذي أعطيت لشذاذ الآفاق صلاحيات دنيئة سأدعك تدفع غالباً ثمن مكائلك.

ونشستر : أخرج أنت من هنا. فأنا لن أترشح من مكاني قيد أنملة.  
أنت مجرم ملعون كقايين الذي قتل أخاه.  
كلوستر : أنا لا أنوي أن أقطع رأسك، بل أكتفي بطردك فقط.  
وسأخرجك من هذا البرج كالعنزة الجرباء.

ونشستر : افعل ما تشاء، فأنا أتحدّاك.  
كلوستر : هل وصلت بك وقاحتك الى حد احتقاري مع رجالي بالرغم من امتيازاتي في هذا المكان؟ سرى لمن الغلبة، ألبلايس الزرقاء أم الصفراء؟

(كلوستر ورحاله يهاجمون الكردينال).

أيها المفضل، احرص على لحيتك التي سأنتفها وسأمرغك في الوحل وأدوس قبعتك بالرغم من مقام رؤسائك، وأشدّ لك أذنيك الأنتين.

ونشستر : يا لك من ذبابة حقيرة. هاتوا جبلاً (لرجاله) والآن أخرجه بالقوة من أمامي. لماذا تتركونه ها هنا؟ (للكردبائ) سأطردك طرد الكلاب، أيها الذئب المستر بجلد الحمل. هيا أخرجوا من هنا جميع البرّات الصفراء. أخرج أيها المنافق المتخفي بالثوب الأرجواني.

(يحدث صخب، ثم يدخل محافظ لندن ومرافقوه).

المحافظ : تباً لكم أيها اللوردات، أصحاب المناصب العليا لأنكم تقلقون الراحة العامة.

كلوستر : الأمان، أيها المحافظ. أنت لا تدري بالاهانة التي ألحقها بي بوفور هذا الذي لا يخاف الله ولا يحترم الملك، والذي استولى زوراً وبهتاناً على البرج لغاياته الشخصية الشريرة. ونشستر : من يتكلم بهذه اللهجة؟ عدوّ المواطنين الذي يدفعهم دائماً الى الحرب لا الى السلم، والذي يفرض عليهم الجزيات الباهظة ليعمل بها جيوبه الجشعة، والذي جاء الآن يضع يده على أسلحة البرج وما فيه من ذخيرة لكي يفرض نفسه سيداً على البلاد بعد أن يقضي على الأمير.

كلوستر : لن أجيبك بالكلام، بل بالضرب.

(ينشب شجار جديد).

المحافظ : في هذه المعمعة الصاخبة لم يبقَ عليّ إلا أن أمر باعلان النفي، تقدم أيها الضابط واصرخ بأعلى صوتك.

الضابط : أيها الرجال من جميع الرتب المجتمعون ها هنا والمدمجون بالسلاح لمحاربة سلام الله والملك، نحن ننذركم ونأمركم باسم سموه بالعودة الى مساكنكم وبأن لا تحملوا أي سلاح ولا تشهروا من الآن وصاعداً أي سيف أو خنجر، تحت طائلة العقاب بالموت.

كلوستر : أيها الكاردينال، أنا آبي أن أخالف القوانين. انما سلتقي  
أنا وأنت قريباً ونتفاهم على كل هذه الأمور.

ونشتر : أجل يا كلوستر ستقابل وسيكلفك عنادك غالباً. كن على  
ثقة بأنني لن أراجع عن هدر دمك بسبب ما بدر منك  
اليوم من لؤم وخساسة.

المحافظ : سأنادي حَمَلَة الهراوات اذا لم تنحبوا. يبدو أن هذا  
الكردينال هو اليوم أوقع من الشيطان.

كلوستر : الوداع أيها المحافظ. أنت لا تفعل سوى واجبك.  
ونشتر : يا لك من وغدٍ يا كلوستر. احفظ رأسك لأنني مصمم  
على دحرجته من فوق كتفك قريباً جداً.

(يخرج مع رجاله).

المحافظ : أدخلوا هذه الحواجز كي ننصرف. يا الهي! ما أشدّ حقد  
هؤلاء النبلاء. أنا لا أشاجر أحداً مرة واحدة في أربعين سنة.

(يخرج مع رجاله).

## المشهد الرابع

في فرنسا، أمام مدينة أورليان

(يصل الى الحاجز ضابط المدفعية وابنه).

ضابط المدفعية : أتعلم يا ولدي كيف ضرب الحصار حول أورليان، وكيف  
استولى الانكليز على ضواحيها؟

الابن : أعرف يا أبي. وقد سدّدت مراراً اليهم قنابلي. لكنني لم  
أستطع أن أنال منهم وطراً، يا للأسف.

ضابط المدفعية : انما الآن لن تفشل في اصابتهم. استمع الى تعليماتي.

أنا أمهر مدفعي في هذه المدينة، وعلي أن أبهر الناس بضربة بارعة تميزني عن سواي. لقد أخبرني جوايس الأمير أن الانكليز محصّنين في خنادقهم المحفورة في الضواحي، وأن مدخلها سرداب سري منشأ هناك في البرج الذي يطل على المدينة ويكشف جميع طرفاتها ومكانها حيث يستطيعون أن يرهقونا بقنابلهم ويقضوا علينا بهجومهم. فلكي تمنعهم من التحرك سأصب قنابلي على مخابئهم. أنا أسهر منذ ثلاثة أيام على مراقبتهم بدقة. والآن يا ولدي تيقظ أنت بدورك، لأنني لا أقوى على البقاء هكذا أكثر مما فعلت. وإذا جد أمر، أعلمني حالاً، وستجديني عند الحاكم لأنني ذاهب توجاً إليه. : استرخ يا أبي، ولا يقلق لك بال، فلن أزعجك اذا تمكنت من رؤيتهم.

الابن

(يخرج ضابط المدفعية).

(يدخل من جسر البرج العالي اللوردات سالزبري وتالبوت وسير ولیم كلانتسديل وسير توماس كزكرياف وغيرهم).

: يا تالبوت، أنت كل حياتي وسعادتي، كيف جئت الى هنا؟ وكيف عُولمت وأنت في الأسر؟ كيف استعدت حريتك؟ أرجوك أن تخبرني، ونحن صاعدون الى هذا البرج.

سالزبري

: كان لدى دوق يدفورد أسير شجاع اسمه سير بنطون كزاتراي، فاستبدلني به. أولاً أراد أن يستبدلني برجل سلاح غير مرموق، لكنني رفضت ذلك بإباء، وأعلنت له أنني أفضل الموت على هذه المقايضة. أخيراً استجاب طلبي. لكن خيانة فتولف مرّقت قلبي. وسأقتله بيدي متى وقع في قبضتي.

تالبوت

: لكنك لم تخبرني كيف كانت معاملتك هناك.

سالزبري

: طبعاً لم أنج من الاهانة والتحقير. إذ إقذت الى ساحة عامة وعرضت لعيان كل السكان، وقد قيل عني أنني أمثل الارهاب

تالبوت

الفرنسي، وأناي أخيف جميع الأطفال. فخلصت حالاً من الضباط الذين اقتادوني واقتلعت بأطفاري حجارة من الطريق ورميت بها المتفرجين على مذلتى. واذا بغضبي يرعب الجميع فولوا هارين ولم يجسر أحد على الاقتراب مني خوفاً من الموت المحتم. لأن الناس لم يصدقوا أني محجوز ضمن قضبان من حديد. ولقد تفاقم فرعهم حتى أفقدهم ذكر اسمي صوابهم وظنوني قادراً على تحطيم القضبان، وإن كانت من الفولاذ، وعلى هدم الأعمدة مهما كانت صلبة كالصخر. لذلك احاطوني بحراس أشداء لا يفارقوني. ولو أتيت وأنا في سريري بأقل حركة لكانوا أفرغوا رصاص غذاراتهم في قلبي وقضوا عليه.

(يدخل ابن المدفعي ويده قضيب مشتمل لاطلاق قنابل المدفع).

سالزبري : تألمت لعلمي بأنك قاسيت الأمرين. الآن حان موعد العشاء في أورليان. ومن خلال الحاجز يسعني أن أعدّ الجنود الفرنسيين وأن أرى أين يتحصنون. لننظر الى هذا المشهد المفروح. يا سيدي توماس كاركراف وسير وليم كلانسدايل صارحاني بآرائكما بالضبط، والى أين تريان أن من الأفضل توجيه قذائفنا لتدميرهم بفعالية محكمة.

كاركراف : أعتقد بأن من الأنسب توجيهها نحو الباب الشمالي حيث تتجمع أكثرية قواتهم.

كلانسدايل : أنا أرى من الأنسب توجيهها الى جادة الجسر.

تالبوت : أرى أن الأوفق هو تجويع هذه المدينة واضعافها بمناوشات طفيفة ولكن متابعة.

(تطلق قنلة مدفع من الحاجز. فيسقط سالزبري وكركراف).

سالزبري : يا الهي، اشفق علينا ونجّنا.

كاركراف : يا الهي، ارحمني أنا التيس.

تالبوت : ما هذه الكارثة التي تشلّ فجأة مساعينا؟ تكلم يا سالزبري، اذا كنت لا تزال تستطيع الكلام. كيف حالك يا خيرة المحاربين؟ ها قد فقدت عيناً وجرحت خدّاً بهذه القذيفة. مشؤوم هذا التصرف، وملعون اليد التي أطلقتها وسببت لنا هذه المأساة الفاجعة! لقد انتصر سالزبري في ثلاثة عشر معركة عملت أولاهها على ايصال هنري الخامس الى العرش. فكان سيفه يحصد الرؤوس في ساحة الوغى كلما علا صوت البوق ودوى رنين الطبل. ألا تزال على قيد الحياة يا سالزبري؟ فاذا خانك النطق أمكنك أن ترفع عينك الباقية نحو السماء وتلمس الرحمة والعون فالشمس بعين واحدة تشلّ أشعتها الكون بأسره. لا تشفقي أينها السماء على أحد من الأحياء اذا لم ينل سالزبري من لذلك نعمة. اجلبوا جثمانه الى هنا، كي أساعد على دفنه. وأنت يا سير توماس كاركراف ألا تزال حيّاً؟ كلم تالبوت على الأقل وارفع انظارك اليه. يا سالزبري عزّي نفسك بهذه الفكرة : لن تفارق الحياة طالما... هو يشير اليّ بيده ويتسم، كأنه يقول لي : عندما أموت وأرحل لا تنسَ أن تثار لي من الفرنسيين. فأنا كأحد أفراد عائلة بلاتاجينه أتعهد بذلك. ونظير نيرون سأعزف على القيثارة وأنا أرى المدن تحترق. أريد أن تسبب شهرتي شقاء فرنسا (يقصف الرعد. ثم نسمع موسيقى التحذير). ما هذا الضجيج؟ ما هذا الصخب الآتي من السماء؟ ما هو مصدر هذه الانذارات المدوية؟

(يدخل الرسول).

الرسول : سيدي اللورد، لقد عزز الفرنسيون قواتهم، بينما ولي العهد

تسانده عذراء نيّة ظهرت حديثاً، قد وصل مع جيش لجب  
لفكّ الحصار.

(يتنهّد سالزيري).

تالبوت : اسمعوا، اسمعوا كيف تنهّد سالزيري. ها هو يتحرّس لأنّه  
لا يقوى على الانتقام. أيها الفرنسيون سأحلّ محلّ سالزيري.  
فان كانت هناك عذراء أو حية رقطاء، أو كان ولي عهد  
أو أشرس أسد، سأسحق رؤوسكم بحوافر جوادي وسأجعل  
من أدمغتكم المهذورة وحلاً قدراً. خذوا سالزيري الى خيمته،  
وسرى ما بوسع هؤلاء الفرنسيين الجبناء أن يفعلوا.  
(يخرجون وهم يحملون جثمانه).

## المشهد الخامس

أمام باب من أبواب مدينة أورليان

(تبدأ المعركة. تسمع موسيقى استنفار. تجري اشتباكات.  
يمرّ تالبوت على المسرح وهو يطارد ولي العهد الهارب أمامه.  
ثم تمرّ العذراء وهي تطارد الانكليز الهارين.  
يدخل حينئذ تالبوت).

تالبوت : أين عزيمتي؟ أين شجاعتي؟ أين قواي؟ ان فيالقنا الانكليزية  
تسحب، وأنا لا أستطيع ايقافها، لأن امرأة مرتدية درعاً  
تطاردهم.

(تدخل العذراء).

ها هي قد أقبلت. أنا مستعد لمنزلتك، أينها الخبيثة،

وسأستحضر روحك بعد مماتك. سأسفك دمك، أيتها  
الساحرة الشريرة، وأرسل حالاً نفسك الى زبانية الجحيم  
التي تخدمينها.  
: تعال، تعال لأذكّ وأقضي عليك.

العذراء

(يتماركان).

: كيف تسمحين بانتصار الشيطان هكذا، أيتها السماء، حتى  
إن انفجر صدري من بذل أقصى جهودي، وإن تفكّك ذراعي  
عن كفتي، سأنزل أشد العقاب بهذه الغادرة المناقة.  
: وداعاً يا تالبوت. لم تأتِ ساعتك بعد ولم يحن أجلك.  
عليّ الآن أن أذهب لأموّن أورليان بالأغذية. إنتظرنني اذا  
استطعت، فأنا لا أبالي بقوتك. اذهب وأشحذ همم جنودك  
الذين أنهمكهم الجوع. ساعدُ سالزيري على كتابة وصيته.  
فهذا نهارنا الموعد وستبعه أيام لا تحصى من العزّ.

تالبوت

العذراء

(تدخل العذراء الى المدينة مع جنودها).

: رأسي يدور كدولاب الهواء. لا أدري أين أنا ولا ماذا أفعل.  
هناك ساحرة سلاحها الارهاب لا المقدرة نظير هنيعل قد  
شئت رجالنا وظفرت كما يحلو لها. هكذا يطرد النحل  
من قفيره بواسطة سحب الدخان، والحمام من برجه بواسطة  
الروائح الكريهة. ونحن، بسبب تشبثنا، ندعى كلاباً انكليزية،  
ونظير الجراء نهرب فرعاً ونحن نواصل العواء.

تالبوت

(تسمع موسيقى تحذير قصيرة).

اسمعوا يا بني قومي، إما أن تجددوا العزم على القتال، وإما  
أن تنتزعوا رسم الأسود من شعار انكلترا، وتتخلوا عن أرض  
آبائكم وأجدادكم وتضعوا بدل الأسود خرافاً لأن الخراف

وحدها تهرب أمام الذئاب. فالخيل والبقر تهرب أمام النمر  
 المتوثب بأقل جبانة منكم حين تولون الأدبار أمام هؤلاء  
 الانكليز الصعاليك الذين كثيراً ما أخضعتموهم في الماضي.  
 هذا لا يصدق. (تُسمع موسيقى واستغاثات جديدة). انسحبوا الى  
 خنادقكم؛ فأنتم جميعاً شركاء في موت سالزيري. لأن لا  
 أحد منكم يريد أن يضرب ضربة ليثار له. ولقد دخلت  
 العذراء أورليان رغم أنفنا ورغم كل جهودنا. آه! كم أشتهي  
 أن أموت مع سالزيري! لأن عاراً كهذا يضطرني الى إخفاء  
 وجهي خجلاً.

(تُسمع موسيقى استغفار، ويلبها انسحاب. يخرج تالوت ورجاله بلاحقهم  
 الفرنسيون).

## المشهد السادس

### في ذات المكان

(تظهر العذراء على الحاجز ومعها شارل ورييه والنون وجنودهم).

العذراء : إرفعوا على الجدران أعلامنا الخفاقة. فقد أنقذنا أورليان من  
 أياب الذئاب الانكليز. وهكذا بررت بوعدي.  
 شارل : يا مباركة، يا شجاعة، إنك تستحقين كل تكريم على بطولتك.  
 ان وعودك مثل حدائق أدونيس، بالأمس كانت مزهرة واليوم  
 بالذات أثمرت اينع الفواكه. لقد انتصرت فرنسا على يدك  
 القديرة وأنقذت مدينة أورليان، ولم تشهد بلادنا منذ زمن  
 بعيد مثل هذا الحدث المجيد.  
 ريه : لماذا لا تطلب قرع أجراس المدينة؟ يا سموّ ولي العهد،  
 أصدر أوامرك الى المواطنين كي يضرموا نيران الفرح ويعيدوا

ويقيموا الولائم في الشوارع احتفالاً بالظفر الذي من الله به علينا.

آلسون : ستتهج كل فرنسا عندما تعلم بأننا أثبتنا رجولتنا وبسالتنا بهذا النصر العظيم.

شارل : ها هي جان دارك، لا نحن، قد ربحت معركة هذا النهار. وعرفانا بجميلها سأشركها معي في الحكم. فجميع رجال الدين في مملكتي سيهللون ويشيدون بفضلها، وسأبني لها هرمًا أضخم من أهرام ممفيس في مصر. ولتخليد ذكرها بعد وفاتها، سأحتفظ برماد جثمانها في صندوق صغير من خشب ثمين مطعم من مخلفات داريوس، سنطوف به أمام ملوك فرنسا وملكاتهن. وستكون جان دارك العذراء شقيقة بلادنا فرنسا. ها نرجع الآن لنحتفل بمأدبة ملكية بهذا اليوم المجيد المظفر.

(تصيح الموسيقى. ثم يخرج الجميع).

## الفصل الثاني

### المشهد الأول

#### أمام مدينة أورليان

(مبط الليل. وظهر أمام باب المدينة رقيب فرنسي واثنان من الحرس).

الرقيب : إلى أمكتكم يا رفاق، وكونوا يقظين. فاذا لاحظتم قيام ضجة أو اقتراب جندي من السور، اعلموا الحرس بإشارة بارزة.

الحارس الأول : نعدك بذلك، أيها الرقيب. (ينسحب الرقيب). وهكذا يظل الحرس منيقظين في عتمة الليل وتحت الأمطار يتحملون البرد، بينما الآخرون يغطون في النوم على أسرّتهم الدافئة.

(يصل تالبوت وبدفورد وبوركون وجنود حاملين سلاط، وغيرهم يقرعون الطبول بشدة).

تالبوت : أيها اللورد الوصي، وأنت يا بوركون المريع، وقد أعدت لنا بتحالفك معنا صداقة مناطق ارتوا ووالون وبيكارديا، بينما الفرنسيون في هذه الليلة الهادئة يستريحون بأمان، بعد أن شربوا وأكلوا أثناء المأدبة طوال النهار. هيّا نغتنم هذه الفرصة

لمعاقبتهم على خيانتهم التي لم تنجح والحمد لله رغم تفنتهم  
وسحرهم المشؤوم.

بدفورد : كم لطّخ الفرنسي الجبان اسمه بالعار، وهو يشكّ بقوة زنده،

فلجأ الى زبانية الجحيم مستعيناً بمكرهم وخداعهم.

بوركون : لا أعرف أن للخونة شركاء. ولكن من هي هذه الصبية  
التي تشيدون بطهارتها؟

تالبوت : يقال أنها عذراء.

بدفورد : عذراء، وتحارب بضراوة؟

بوركون : نتمنى أن تظل طويلاً على هذه الحالة من الرجولة كي تظل  
تقاتل وهي مدجّجة بالسلاح تحت لواء فرنسا كما بدأت.

تالبوت : دعر الناس يتحدثون هكذا عن الأرواح الشريرة. سينصرنا  
الله ويمنحنا الظفر، فما علينا إلا أن نصمم على السير في  
طرقاتهم الحجرية حتى نستولي عليها.

بدفورد : اصعد أيها الشجاع تالبوت وسلحق بك.

تالبوت : ليس كلكم دفعة واحدة. الأنسب، على ما أرى، أن ندخل  
من عدة جهات، حتى اذا أخفق أحدها يتسنى للباقي أن  
ينقضوا على أعدائنا.

بدفورد : أنا موافق. وسأذهب من هذه الناحية.

بوركون : وأنا الى تلك الجهة.

تالبوت : وهنا سأنجح أو أخفق. والآن يا سالزبري، أحارب لأجلك  
ولأجل تثبيت حقوق هنري ملك انكلترا. هذه الليلة سأبرهن  
لكم كم أنا وفّي لك وله.

(يسلّق الانكليز الأسوار وهم يصرخون : عونك اللهم، أنصر تالبوت،  
ويدخل الجميع المدينة).

حارس (من الداخل) : الى السلاح، الى السلاح. فالعدو يهاجمنا.

(يقفز الفرنسيون على الأسوار وهم بالقمصان. يصل من عدة أمكنة اللقيط وآلسون ورييه وهم نصف عراة).

آلسون : ما هذا يا سادة؟ جميعكم هكذا تقريباً عراة.  
اللقيط : عراة! أجل ونحمد الله على نجاتنا.  
رييه : حان الوقت كي نستيقظ ونغادر أسرّتنا، لأننا سمعنا الانذار  
يعلو عند أبواب غرفنا.  
آلسون : في الحقيقة منذ أن أصبح حمل السلاح مهنتي، لم أسمع  
أبداً بمغامرة أسوأ من هذه.  
اللقيط : أظن أن نالوت شيطان قادم من الجحيم.  
رييه : وان لم يكن من الجحيم، فالسماء تُعنيه.  
آلسون : ها هو شارل مقبل. وقد أدهشتني غيرته وحماسه.

(يدخل شارل تصحبه العذراء).

اللقيط : هذا أمر مفروغ منه طالما جان دارك تعهدت بحمايته.  
شارل (لجان دارك) : هل هذا كل ما تحسنين عمله، أيتها الآنسة الخبيثة؟  
لقد خدعتنا أولاً إذ أمنت لنا ربحاً زهيداً، ثم أنزلت بنا  
خسارة فادحة.

العذراء : لماذا أنت قليل الصبر حيال صديقتك؟ هل تريد أن تكون  
مقدرتي على الدوام شرعية سواء أكنت نائمة أو متيقظة؟  
هل يتحتم عليّ أن أكون متصرة باستمرار، وإلا وجّهت  
إليّ اللوم والعتب؟ أيها الجندي المتسرع، لو تيقّظت كما  
يجب لما حلّت بك هذه الكبوة.

شارل : الخطأ صادر عنك يا دوق آلسون. فبصفتك الضابط المولج  
بالحراسة ليلاً، كان الأولى بك أن تظل ساهراً على تأدية  
مهمتك.

آلسون : لو كانت جميع مواقعك محروسة جيداً نظير الموقع الذي  
كان في عهدي لما حلّت بنا هذه الكارثة المشينة.

- اللفيط : موقعي أنا كان محروساً جيداً.  
رينيه : وكذلك موقعي، يا مولاي.  
شارل : أما أنا فطوال الليل لم أكفَ عن اجتياز مقرّ العذراء ذهاباً  
وابأباً، يميناً ويساراً، وأنا أتفقد الحراس في كل مكان. فكيف  
ومن أين دخل الأعداء؟
- العذراء : لا تسألوا يا سادتي كيف ومن أين؟ لا شك في أنهم وجدوا  
ثغرة، حراستها ضعيفة وغير كافية، فسلّلوا منها. والآن لم  
يبق، أماناً إلا جمع شتات رجالنا ودرس خطط جديدة  
لمواجهة العدو وقهره.
- (يسمع تحذير. يدخل جندي إنكليزي وهو يصرخ : تالبوت، تالبوت.  
يهرب الفرنسيون تاركين ثيابهم فيلثمها الجندي).
- الجندي : أسمح لنفسني بأن آخذ ما تركوه. وقد أعددتي صرخة تالبوت  
كأنها طعنة خنجر. ها أنا أجمع ما خلفه الهاربون وراءهم،  
بدون استعمال أي سلاح إلا المناداة باسمه فقط.  
(يخرج).

## المشهد الثاني

### في أورليان، وسط ساحة السوق

- (يدخل تالبوت وبدفورد وبوركوت وضابط وسواهم).
- بدفورد : ها قد طلع الصباح وهزم ظلام الليل الذي كان يغطي الأرض  
بوشاحه الأسود. هيّا بنا ندق النفير للانتحاب، ونوقف  
مطاردتنا الحامية.
- (ينفخ بوق الانسحاب).

تالبوت : هاتوا جثمان سالزبري العجوز، ضعوه هنا في ساحة السوق وسط المدينة الملعونة. الآن وفيت بالوعد الذي قطعته على نفسي أمامه. فلقاء كل قطرة دم سالت من جسمه، مات هذه الليلة خمسة فرنسين على الأقل. ولكي ترى الأجيال القادمة كم أوقعنا من الخسائر في صفوف الأعداء انتقاماً له، سأقيم في أكبر معابدهم ضريحاً يدفن فيه جثمانه ويكتب على بلاطه بوضوح ما يشهد بما أنزلناه من ويلات بمدينة أورليان، وبالفخ الذي سبب موت المأسوف عليه الذي زرع الرهبة والفرع في كل فرنسا. لكن يا سادة، يدهشي أن لا نتكلم أيضاً عن سمّ ولي العهد، ولا عن فضيلة جان دارك، ولا عن أي من هؤلاء الشركاء الجاحدين.

بدفورد : يبدو لي، يا لورد تالبوت، أنهم في أول المعركة طردوا من أسرّتهم، وإنهم راحوا يسيرون، وهم غارقون في النوم، ويخترقون صفوف المسلّحين، ثم يقفزون من فوق الحواجز كي يلجأوا إلى البراري.

بوركون : أنا ذاتي، بقدر ما تنسى لي أن أميز من خلال أبخرة الشفق عند اقتراب الليل، أراني واثقاً بأنني جعلت ولي العهد يهرب مع حسناؤه المسيطرة عليه وهما لا يفترقان نهائياً وليلاً متشابكتي الأيدي كالعشاق. فعندما يتم اتخاذ كل التدابير هنا سنطاردهما بكل قوانا.

(يدخل رسول).

الرسول : مولاي، عليك السلام. من هو هذا المركب الأميري، المدعو تالبوت المحارب الذي تشيد بمآثره مملكة فرنسا بأسرها.

تالبوت : ها أناذا تالبوت. فمن يريد أن يكلمني؟

الرسول : سيدة فاضلة، هي كونتيس أوفارن المعجبة بشجاعتك وشهرتك، وهي التي تلتبس منك على لسان، أيها اللورد

- الكريم، أن تنازل وتزور قصرها المتواضع لكي يتسنى لها أن تفاخر بأنها رأت فعلاً رجلاً تملأ أمجاده الدنيا.
- بوركون : هل هذا صحيح؟ اني ألاحظ أن حروبنا متصبح مهازل سلمية اذا كانت السيدات يلتمسن مثل هذه المقابلات. لا يسعك، يا مولاي، أن تزدري مثل هذا الطلب.
- تاليوت : لا تستغرب كثيراً إن احتقرت ذلك. فان ما لا تقوى مجموعة من الرجال أن تناله مني، سهل على امرأة لطيفة، أن تفرضه عليّ فرضاً. (للسول) قل لها اذاً أنني مستعد لتلبية طلبها، وأني سأذهب اليها بكل طيبة خاطر. (لنوق بوركون وبدفورد) ألا تريدان، يا سيديّ، أن ترافقاني؟
- بدفورد : كلا، لأن هذا يخالف اللياقة، وقد سمعت مراراً أن الضيف غير المنتظر لا يلقي أي ترحاب.
- تاليوت : اذاً، بما أن هذا رأيكم، فسأضفي وحدي لاختبار حسن ضيافة هذه السيدة. تعال الى هنا أيها الضابط. (يكلم الضابط بصوت خافت). أنت تفهم قصدي.
- الضابط : طبعاً يا مولاي. وسأعمل بموجب تعليماتك.
- (يخرجان).

## المشهد الثالث

### في باحة قصر أوفارن

(تدخل الكونتيس يبعها البواب).

- الكونتيس : أيها البواب تذكر أوامري. وبعد أن تنفذها أرجع إليّ المفاتيح.
- البواب : أملك مطاع، يا سيدتي.
- (يخرج).

الكونتيس : لقد رسمت الخطئة. واذا نجحت سأكسب شهرة نظير «توميريس شيتي» عند موت سيروس. كانت شهرة هذا الفارس تطبق الآفاق وأعماله العظيمة باهرة. أريد أن أضيف الى ما تسمعه أذناي ما تراه أيضاً عيناى من هذه القصص الفريدة.

(يدخل رسول تالبوت).

الرسول : سيدتي، حسب مشيئتك وتلبية لدعوتك الكريمة، ها هوذا تالبوت يلتي دعوتك.

الكونتيس : أهلاً وسهلاً. هل هو هذا؟

(تشير الى تالبوت).

الرسول : أجل يا مولاتي.

الكونتيس : هل هو من أنزل الضرب بفرنسا وقد أرجف اسمه القاصي والداني، وعقل لسان الأولاد؟ فمما أراه أمامي أستتج أن التقارير خيالية ومغلوبة، اذ كنت أنتظر أن أرى مارداً كهرقل وجباراً كهكتور، رؤيته ترعد الفرائص وجسمه الضخم وعضلاته المفتولة تبعث الرعب في النفوس. لكنني أبصر أمامي ولداً صغيراً بل قزماً مضحكاً. ولا يعقل أن يكون هذا الهزيل التحيل قد ضرب أعداءه ضربة قاضية أنزلت بهم الموت والدمار.

تالبوت : سيدتي، يؤسفني أن أزعجك. أراك الآن غير مرتاحة. لذا سأزورك فيما بعد.

(ينتهي للخروج).

الكونتيس : ماذا تقول؟ (للرسول) اذهب واسأله الى أين هو ماضٍ.

الرسول : أرجوك أن تقف يا مولاي، لأن السيدة تودّ أن تعرف الى أين أنت متّجه فجأة.

تالبوت : والله، هي مخططة. وأنا أنوي أن أثبت لها أنني باقر ها هنا.  
(يدخل البوّاب ومعه المفاتيح).

الكونتيس : ان كنت أنت تالبوت، فأنت اذاً سجين.

تالبوت : سجين من؟

الكونتيس : سجيني أنا، أيها اللورد الملطخ اليدين بالدم. ولذلك استدرجتك للمجيء اليّ. منذ زمن بعيد، خيالك في قبضتي، لأن رسمك معلق في قاعة قصري. أمّا اليوم فشخصك بالذات انتهى الى شرّ المصير. سأكبّل يديك ورجليك بالحديد أيها الطاغية المستبدّ، بعد اجتياحك بلادنا وقتلك مواطنينا وأسرك أولادنا وأزواجنا.

تالبوت (بتهق ضاحكاً) : ها ها ها.

الكونتيس : أراك تضحك أيها الشقي الحقيّر. سأقلب ضحكاتك الى آهات وتنهّدات.

تالبوت : أنا أضحك لأنني أجدك في غاية الباطة، يا سيدتي. أنت تتصورين أنك تملكين خيال تالبوت طبقاً لأهوائك السخيفة.

الكونتيس : أولاً تكون الرجل المقصود؟

تالبوت : بلي، أنا هو.

الكونتيس : اذاً، أصبح الأصل في قبضتي، كما كنت أحتجز الخيال.

تالبوت : لا، لا. أنا لست خيلاً. أنت واهمة. فأنا شخصياً لست

هنا. لأن من تشاهدينه أمام عينيك ليس سوى جزء صغير

من الرجل. أوكد لك ذلك يا سيدتي، ولو كان هنا بكامله،

فنظراً الى ضخامته الهائلة، لا يتسع له سقفك مهما علا.

الكونتيس : أرى أن هذا المشعوذ يتكلم بالألغاز. فهو حاضر هنا ويدّعي

أنه غائب عنا. ما هذه التناقضات، وكيف التوفيق بينها؟

تالبوت : سأبين لك ذلك حالاً. (ينفخ في الأبواق وتقرع الطبول. ثم تقصف المدافع وتخلع أبواب القصر ويدخل الجنود). ما قولك، يا سيدتي؟ هل اقتنعت بأنك لا تريد سوى خيالي؟ وما هو شخصي بعينه، وما هي عضلاتي وذراعاي وقواي التي استخدمها لوضع جميع المتمردين المقاومين تحت نير سيطرتي فأجتاح المدن وأقلب الأوضاع رأساً على عقب وأدهور كل شيء في هوة العدم كأنه ما كان.

الكونتيس : أيها المنتصر تالبوت، أطلب منك السماح على ما الحقته بك من سوء. فأنت حقاً تفوق ما توحى به طلعك. أسألك أن لا تقابل استهتاري بغضب، لأنني آسفة على كوني لم أقابلك بالاحترام اللائق بمقامك وبمقدرتك.

تالبوت : لا ينشغل لك بال، أيتها السيدة الحسنة، ولا تتجاهلي شهامي كما جهلت تفوقي. فإذ ما بدر منك لم يغلطني أبداً، والمئة التي التمسها منك هي أن تذيبني خمرك وما يتوفر لديك من أطياب الحلوى، لأن شهية الجندي دائماً مفتوحة وممتازة. الكونتيس : حباً وكرامة. يسعدني ويشرفني أن استضيف على مائدتي محارباً لامعاً مثلك.

(يخرجان).

## المشهد الرابع

في لندن، وسط حديقة المعبد

(يدخل الكونت سومرت وسوفوك وورويك وريشار بلاتاجيه وفرنون ورجل قضاء).

بلاتاجيه : أيها اللوردات والسادة، ما معنى هذا السكوت؟ لا أحد يجرؤ على اعلان الحقيقة.

- سوفولك : نحن نضج كثيراً داخل المعبد. هذه الحديقة أنسب لحديثنا.  
بلانتاجنيه : اعترفوا كلكم حالاً بأنني بينت الحقيقة، وإن المشاغب  
سومرست مخطئ.
- سوفولك : لعمرى، أنا لست بارعاً في تطبيق مبادئ علم الحقوق، ولم  
أخضع أبداً للقانون. لذلك أخضعت القوانين دائماً لمشييتي.  
سومرست : أحكم إذاً بيننا أنت، يا لورد ورويك.
- ورويك : على كل حال، من منكما يرتفع صوته في الجوارح أكثر؟ ومن  
من الكلبيين نباحه أعلى؟ ومن من النصلتين حدّها أرهف؟  
ومن من الجوادين قياده أسهل. ومن من الصييتين تغمز بعينها  
أفضل؟ أعتقد بأن لي من النظر الثاقب ما يكفي للبت في  
كل هذه المسائل. إنما في هذه القضايا الدقيقة لست أولى  
حكماً من سواي.
- بلانتاجنيه : لا، لا، هذا مهرب مهذب. فالحقيقة المجردة بادية للعيان  
لا يغفل عن رؤيتها حتى كليل البصر.
- سومرست : ومن جهتي، هذه ظاهرة ناصعة كالشمس لا تحتاج إلى  
برهان، حتى أنها لا تغيب عن عيون الأعمى.
- بلانتاجنيه : بما أنك لا تفتح فمك وتأبى أن تتكلم، ما عليك إلا أن  
تعبّر عن رأيك بشهادة صامتة. فمن ولد في أحضان النبل  
يرز نسبه العالي ويؤمن بأنني أدافع عن الحق، فيقطف من  
هذه الشجيرة وردة بيضاء.
- سومرست : ومن ليس جباناً ولا متملقاً يجسر على الوقوف إلى جانب  
الحق ويقطف معي من بين هذه الأشواك وردة حمراء.
- ورويك : أنا لا أحب الألوان، وبدون الألوان لا تلمیحات ولا نزلفات،  
لذا أقطف وردة بيضاء مع بلانتاجنيه.
- سوفولك : أنا أقطف هذه الوردة الحمراء مع سومرست الشاب، وأضيف  
أنه وقف إلى جانب الحق.
- فرنون : تمهلوا، أيها اللوردات والسادة، قبل أن تتابعوا ما باشرتموه،

وأعلموا أن الذي يقطف من الاثنين وروداً أقل عدداً يكون هو صاحب الحق.

سومرست : أيها الأستاذ فرنون، هذا حل ملائم، وإذا كان نصيبي أنا العدد الأقل فاني أوافق بصمت.  
بلانتاجنيه : أنا كذلك.

فرنون : إذا باسم الحقيقة والعدل، أقطف هذه الزهرة الشاحبة خفراً وحياءً كوجتي العذراء، وبذا أعلن قراري بتأييد الوردة البيضاء.

سومرست : لا تدع الشوك يؤلم أصابعك، وأنت تقطف الورود خوفاً من أن تصبغها بحمرة دمك وتنحاز إليّ قسراً.  
فرنون : مولاي، إذا سفكت دمي في سبيل رأيي فان رأيي يضمد جراحي ويشدني إلى من وقع عليه اختياري.  
سومرست : حسناً. هيا، من يقطف أيضاً؟

رجل القضاء (سومرست) : إن لم تخدعني دراساتي ومجلداتي، أعلن أن هذه الطريقة غير سليمة. لذلك أنا أيضاً أقطف وردة بيضاء.

بلانتاجنيه : والآن أين حجتك يا سومرست؟

سومرست : هنا في غمد سيفي. وما عليّ إلا أن أحتكم اليه لأصغ وردتك البيضاء بدمك الأحمر.

بلانتاجنيه : في هذه الأثناء أرى وجتلك قد استعارتا لونهما من ورودنا التي شجبت لدى بروز الحق الي جانبي.

سومرست : لا يا بلانتاجنيه، ليس خوفاً بل غضباً، وقد احمر خداك عاراً وخزياً بينما أنت ترفض أن تعترف بغلطك.

بلانتاجنيه : أليس من دودة تنخر وردتك، يا سومرست؟

سومرست : أليس من أشواك تحيط بوردتك أنت، يا بلانتاجنيه.

بلانتاجنيه : نعم، أشواك حادة مؤلمة تدافع عن الحقيقة، بينما دودتك تلتهم دناءتك.

- سومرست : لن أعدم أصدقاء يحملون ورودي الدامية ويؤكدون أن ما أعلنه هو عين الصواب بينما المراءغ بلاتاجنيه لا يجرؤ على الظهور في الساحة.
- بلاتاجنيه : اذا، بحق الوردة النضرة التي أمسكها بيدي أنا أحتقرك وأحتقر شعارك، أيها الولد العاق.
- سوفولك : لا تحوّل ازدراءك الى هذه الناحية، يا بلاتاجنيه.
- بلاتاجنيه : لقد فعلت ذلك، أيها المتعجرف، وأنا أحتقركما كليكما.
- سوفولك : أنا أهرأ بهذا الاحتقار وأردّ كيدك الى نحر.
- سومرست : كفى، كفى يا عزيزي وليم. نحن نكرم هذا المشعوذ أكثر مما يستحق بمواصلة حديثنا معه.
- ورويك : والله أنت تهينه يا سومرست. كان جده ليونيل دوق كلارنس ثالث أبناء ادوارد ملك انكلترا. فهل من هذه الأسرة العريقة ينحدر مثل هذا الدجال؟
- سومرست : بحق من خلقتني سأقرن أقوالي بالافعال على أي صعيد كان. أولم يُنفذ بوالدك ريشار كونت كمبريدج حكم الاعدام عقاباً على خيانه في عهد الملك الراحل؟ وبخيانه ألا يلحق بك العار ويجردك من كل نبل عائلتك العريقة؟ ان جريمتك لا يزال خزيها يسري في عروقك وإلى أن يعاد اعتبارك ستظل في نظر الجميع مشعوذاً دجالاً.
- بلاتاجنيه : لقد اتهم أبي زوراً، ولم يلحق به أي عار. بل نفذ به حكم الاعدام عقاب خيانة مزعومة. لكنه لم يكن خائناً، وأنا مستعد لأن أثبت ذلك بالرغم من ادعاءات من هم ألع من سومرست عندما يحين الأوان حسب خطتي. بينما يلتصق بك وبشريكتك في الخساسة، هذا الافتراء الذي لن أنساه، وسأنزل بكما القصاص لازم في حينه لغسل اسماءكم بحقي. فكونا على حذر متيقظين.
- سومرست : أجل، سنكون دائماً على أتم الاستعداد، وستذكرك بعدائنا

هذه الألوان التي سيجملها أصدقائي شئت أو أبيت.  
بلاتاجنيه : بحق السماء، سأحمل هذه الوردة الشاحبة غضباً كرمز حقدي  
الذي سيرتوي من دمك، كما يحملها جميع أنصاري الى  
أن تذوي معي في القبر أو تفتتح أكمامها فرحاً في جو  
انتصاري.

سوفولك : أكمل، وليقتلك غرورك. على هذا أودّعك حتى لقائنا القريب.  
(يخرج).

سومرست : سأبعثك. فالوداع يا ريشار الغبي.  
(يخرج).

بلاتاجنيه : لقد احتملت سماجتهم ووقاحتهم، وعليّ أن أصمد في  
وجههم.

ورويك : ان هذه اللحظة التي يعيون بها اسرتك ستمحي في أول  
اجتماع للمجلس المدعو الى اقرار الهدنة بين ونشستر  
وكلوستر. فان لم ترق الى مقام دوق يورك، فأنا لن أكون  
ورويك. في هذه الأثناء وكهربون لما أحفظه لك من مودة  
ولسومرست ووليم من عدواة، سأحمل هذه الوردة وأكون  
الى جانبك. وإليك ما أتوقعه : ان المناقشة التي جرت في  
حديقة المعبد، وهذا الانقسام الى فريقين، وردة حمراء ووردة  
بيضاء، سيؤدي بحياة ألوف الرجال في هذه الليلة الجنائزية  
بالذات.

بلاتاجنيه : عزيزي الأستاذ فرنون، أنا مدين لك لأنك قطفت زهرة  
لصالحي.

فرنون : ولأجلك سأحملها على الدوام.  
رجل القضاء : وأنا أيضاً.

بلاتاجنيه : أشكركم يا سادتي. هيا بنا نتناول طعام العشاء نحن الأربعة.

فاني أجسر على القول أن هذه المشادة ستروي دماء غزيرة  
في وقت قريب.

## المشهد الخامس

### في برج لندن

(يدخل مرتيمور يحمله اثنان من الحراس على كرسي).

مرتيمور : يا حارسي الأمين في شيخوختي المتخاذلة، دعني أنا المنازع  
أسترخ ها هنا. فان سجنني الطويل قد سبب لي العرج كأني  
رجل انقذ هذه اللحظة من منصة الأعدام. فقد شخت نظير  
نسطور من كثرة الهموم، وأعلنت هذه الشعرات البيضاء نذير  
الموت، قرب نهايتي أنا ادمون مرتيمور، وخمد النور في  
عيني نظير سراج شحّ زيته وكاد ينطفئ، وأرهق كفيّ الهزليتين  
وقر الحزن والأسى، وارتعشت يداي كأوراق الخريف التي  
تساقط الى الحضيض عن أغصانها اليابسة، وفقدت رجلاي  
قواهما، وقد جفّ عودي، ولم تعودا قادرتين على حمل  
جسمي الذي أمسى كالخزف المعطوب يسير بي الى القبر  
برجلين هرمتين عاجزتين كأنهما أحسّا بأنني بت لا أملك  
ملاذاً ولا ملجأ في هذه الدنيا الفانية. قل لي بربك أيها  
الحارس هل سيأتي ابن أختي؟

الحارس الأول : أجل، سيأتي ريشار بلاتاجنيه يا مولاي. فقد ارسلنا  
الى المعبد وإلى منزله من يستدعيه، وقيل لنا أنه قادم.

مرتيمور : هذا يكفي لتهدئة روعي. مسكين هذا الوجه! ان مذلة  
هي مذلتني. فمنذ بدء حكم هنري « مونموت » الذي سبقت  
عظمته أمجادني السالفة التي أورثتني الاحتجاز منذ ذلك

الحين، غاب ريشار عني وتركني في غياهب النسيان، كما خسرت ميراث العزّ والشرف. لكن الموت هو نصيب اليائس ومنقذ البائس من الشقاء والهوان، لن يلبث أن يوجد عليّ بالخلاص. وكم وددت أن يكون زمن هزّاته العنيفة قد ولّى وأن يدعني وشأني بأمان وسلام.

(بدخل ريشار بلاتاجنيه).

الحارس الأول (لمرتيمور) : مولاي، وصل ابن أختك الحبيب.

مرتيمور : ريشار بلاتاجنيه نسيي؟

بلاتاجنيه : أجل، يا خالي النبيل المتّم بالدنايا، وصل ابن أختك تدفعه اليك اهانة جديدة.

مرتيمور : اقرب مني كي أضمك الى صدري بذراعيّ الهزيلتين، قبل أن ألفظ أنفاسي الأخيرة. دع شفتي تقبل وجنتيك بعطف وحنان. والآن اشرح لي يا سليل أسرة يورك العريقة ما ألمحت اليه من تحقيق جديد.

بلاتاجنيه : اتكئ على ذراعي بيدك الهزيلة فأعلمك بسبب انزعاجي. في نقاش حول قضية حقوق، تبادلُ اليوم أنا وسومرست بضع كلمات ناشفة إذ عيّرتني بظروف موت والدي. فأغلق هول هذا الاتهام فمي، وإلا كنت ألقمته جواباً كالحجر. لذا أرجوك، يا خالي العزيز، باسم والدي وفي سبيل شرف أسرنا واکراماً لنسابتنا، أن تفيدني بصراحة عما سبّب وفاة أبي كونت كمبريدج، ولماذا قطع رأسه؟

مرتيمور : نفس الحجة، التي من أجلها سجت أنا يا ابن أختي، منذ أيام شبابي وأودعت زنانة ضيّقة بغیضة، كانت الدافع الى اعدامه الرهيب.

بلاتاجنيه : أرجوك أن تذكر لي ما أجهله من تفاصيل لا أستطيع تخيلها.

مرتيمور : سأشرحها لك بقدر الامكان اذا لم تباغتني منيتي قبل أن

أنهي لك القصة. ان هنري الرابع جد الملك الحالي قد  
 خلق ابن اخته ريشار، بكر الملك ادوارد الثالث، وريثه.  
 وفي عهده وجد أفراد عائلة برسي الشمالية أن اغتصابه التاج  
 كان ظلماً وعدواناً فحاولوا أن يجلسوني على العرش. وادّعى  
 هؤلاء اللوردات المناوئون أن أبعاد ريشار تمّ هكذا لأنه  
 ليس وريثاً شرعياً له من صلبه، وهذا يجعلني أقرب بالنسب  
 الى الإستثار بالملك، لأن والدتي سليلة ليونيل دوق كلارنس  
 ثالث أولاد ادوارد الثالث، بينما هو ينتسب الى يوحنا دي  
 غان الذي لم يكن سوى الرابع في هذه السلالة. انما، إستمع  
 الي جيداً، في هذه القضية الخطيرة التي ترمي الي ردّ الحقوق  
 الشرعية لصاحبها، قد فقد المعارضون حياتهم كما فقدت  
 أنا حريتي. بعد زمن طويل، خلف هنري الخامس، المتوفي  
 الآن، والده بولبروك على العرش، بينما والدك كونت  
 كمبريدج انحدر من النبيل ادمون لنكلي دوق يورك الذي  
 تزوج أختي والدتك، ففصّل لحزني العميق، وجند جيشاً جديداً  
 كي ينفذني ويعيد اليّ التاج. لكن هذا الكونت المنصف  
 أخفق مثل غيره ففُقد فيه حكم الاعدام وقطع رأسه. وهكذا  
 أيدت أسرة مرتيمور صاحبة الحق بهذا العرش المتنازع.

بلانتاجينه

: وأنت، يا مولاي، آخر شخص من هذه السلالة الكريمة.  
 : هذا صحيح. وبما أنني لم أرزق أولاداً، وكلامي المتهدج  
 ينشأ بدنو أجلي، فأنت وريثي الوحيد، وأرجوك أن تستخلص  
 مرامي. لكنني أوصيك بالحذر الشديد أثناء تنفيذ مهمتك الشاقة  
 الخطرة.

مرتيمور

: لن أنسى ما تسديه اليّ من نصح سديد. انما يخيل الي  
 أن أنزال عقوبة الاعدام بوالدي لم يكن سوى عمل دموي  
 شنيع وطمعاني دنيء.

بلانتاجينه

: أكرم، يا ابن أختي هذا السر السياسي، لأن أسرة لنكاستر

مرتيمور

قد وطدت قواعدها وكالجبل الراسخ لا سبيل الآن الى  
زحزحتها بسهولة. لكن خالك على وشك الانتقال الى العالم  
الآخر كما ينقل الأمير بلاط حكمه وقد تعب من طول  
الاقامة في نفس المكان.

بلاتاجنيه : آه! يا خالي. كم أود التخلي عن سنين عديدة من عمري  
لاطالة أيام شيخوختك.

مرتيمور : هل تريد أن تزيد شقائي وآلامي نظير الجزار الذي يطعن  
عدة مرات ضحيته، بينما طعنة واحدة تكفي للقضاء عليها.  
لا تأسف على ما فات، إلا إذا كانت سعادتك رهينة في  
الميدان. أصدر أوامرك لدغني بشكل لائق. وعلى هذا  
استودعك الله، آملاً أن تحقق جميع امانيك، وأن تكون  
حياتك حافلة بالأفراح والتوفيق في أيام السلم وأيام الحرب  
على السواء.

بلاتاجنيه : لترافق السلامة نفسك الراحلة. لقد أقمت طويلاً في السجن.  
وقضيت أيامك في عزلة كالناسك المتعبد. أجل، سأحفظ  
نصائحك في أعماق قلبي وسأسعى الى تحقيق أحلامي. أيها  
الحراس خذوه من هنا وسأقيم له جنازة لائقة أبهى من  
حياته القاتمة. (يخرج الحراس حاملين مرتيمور) هنا انطفأ مشعل  
وجود مرتيمور، وقد خبا نوره الذي أعمدته الأطماع  
الخسيسة. أما الاهانة والمسبات البذيئة التي وجهها سومرست  
الى أسرتي فلن أسكت عنها أبداً بل سأعمل على رفع الحيف  
عني لإحقاق الحق المغتصب. لذلك سأسرع الى المجلس  
حيث أسعى الى ردّ اعتباري واسترداد مكانتي جاعلاً من  
الشر أداة لخيري.

(يخرج).

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

في لندن، وسط قاعة المجلس

(تصيح الموسيقى. يدخل الملك هنري واكسائر وكلوستر وورويك وسومرست وسوفولك وأسقف ونشستر ورينشار ملاتاجيه وغيرهم.  
يتقدم كلوستر لتسليم وثيقة اتهم فيتنزعها منه ونشستر وبمزقها).

ونشستر : أنت تأتينا بمستند استغرقت كتابته تفكيراً طويلاً وبمنشور متقن التدبير، يا همغري كلوستر. فإذا كنت تنهمني ولديك ما تثبت به قولك، لا تأخر أبداً عن ابرازه بدون استعداد، لأنني متأهب لردّ جميع ادعاءاتك حالاً بصورة ارتجالية.  
كلوستر : يا رجل الدين، يا متجبر، ان هذا المكان يفرض عليّ البصيرة والصبر، وإلا لكنت عدّدت لك ما ألحقته بي من إهانات. لا تظن إن بينت لك كتابةً جميع جرائمك المنحطة اني اخترعتها واني غير قادر شفاهياً على تكرار ما سطرته ريشتي. كلا، يا محترم. فهذه جارتك الحفيرة أردّها اليك مع كل مساوئك التي لا تخفى حتى على الأولاد، مقرونة بكبرياتك وعجرتك. فانت أبغض المرائين وعلى جينك وصمة أسفل

الطباع، أنت عدو السلام أما خيانتك فلا تحتاج الى برهان. ألم تحاول أن تسلبني حياتي في كمين عند جسر لندن بالقرب من برجها. واذا نبشنا خباياك أخشى أن لا ينجو حتى مليكك نفسه من جبال حصدك وحقدك الأسود أيها اللئيم العاتي.

ونشتر : اني أتحداك يا كلوستر. تكرموا يا سادة باصفائكم الى ردي. لو كنت طامعاً جشعاً أو معتصباً دينياً كما تدعي، فكيف بقيت فقيراً؟ لماذا لا أحاول أن أتقدم أو أن أترفع بل أكتفي بتتيم واجبات منصبي؟ ومن جهة الفوضى، من هو المتشبت بالسلام أكثر مني إلا حين إستجابة التحدي. لا يا سادتي الأفاضل، ليس هذا ما يفيظ الدوق ولا ما يثيره. المهم هو أنه يريد أن ينفرد بالحكم وأن يتمتع وحده بالخطوة في عيني الملك. ان ما يجعل خدي يصطيفان بالاحمرار هي الإتهامات الموجهة اليه. لكنه سيعلم أنني أوازيه نسباً وكرامة ومقداراً.

كلوستر : أنت توازيني؟ يا لقيط جدي؟  
ونشتر : أجل أيها المحتال. أنت لست سوى مدعٍ يسيطر على عرش سواه.

كلوستر : أولست أنا حامي هذا العرش أيها الأحمق الوقح؟  
ونشتر : وأنا، أولست من رجال الدين البارزين؟  
كلوستر : بل أنت سارق استوليت على هذا القصر وجعلت منه مغارة لصوص.

ونشتر : تبا لك من منافق دجال، يا كلوستر!  
كلوستر : ان ما يستدعي الاحترام هو مقامك الرفيع لا شخصك الوضع.  
ونشتر : ستعالج روما هذه المشكلة.  
ورويك : هيا بنا أيها الرجل الفريد في عصره.

سومرست (لورويك) : يا مولاي، من صالحك أن لا تصل المسألة الى روما.

ورويك (سومرست) : حاول أن توقف الأسقف عند حده.  
سومرست : يخيل إلي أن على مولاي أن يعرف جميع واجبات رجال الدين.

ورويك : يخيل إلي أنا أيضاً أن الواجب يقضي عليك، يا سيدي، أن تكون متواضعاً إذ لا يليق برجل الدين أن يخوض مثل هذا المباحكات المرية.

سومرست : نعم، عندما يمس وقاره واعتباره.  
ورويك : لا أهمية هنا لوقاره (بشر إلى كلوستر) أوليس سيادته حامي الملك؟

بلاتاجنيه (على حدة) : أنا بلاتاجنيه، كما أعتقد، علي أن أصون لساني من الزلل، خشية أن يُقال لي : تكلم يا صاح، عند الاقتضاء. هل لحكمك الجريء من محل في مناقشات اللوردات؟ وإلا كنت ألقمت ونشستر أحجاراً تخرسه إلى الأبد.

الملك هنري : يا اخواني كلوستر ونشستر أبرز حراس المصلحة العامة، أودّ إن كان لرجائي من وزن لديكم، أن تصلحوا بين المتخاصمين بصدقة ومودة. ما هذه الفضيحة التي تطل عرشي الذي اختلف في خدمته اثنان من النبلاء أمثالكم. صدقوني يا سادتي ان قلت لكم ان الخلاف المدني كالحية الرقطاء تسمّ أحشاء الحكم. (تسمع صرخات من الخارج) لتسقط البزات الصفراء. ما هذا الضجيج؟

ورويك : هذه مشاجرة أثارها رجال الأسقف.

(صیحات حديدة : الحجارة، الحجارة).

(يدخل محافظ لندن ووراءه بعض الحرس).

المحافظ : يا سادتي الكرام، وأنت أيها الملك الفاضل هنري، اشفقوا على مدينة لندن هذه وارحمونا. ان رجال الأسقف ورجال كلوستر الذين حُرّم عليهم من عهد قريب حمل السلاح

قد ملأوا جيوبهم حجارة وانقسموا الى فريقين متعادين  
وراحوا يترشقون بعنف حتى كادت رؤوسهم تنهشم. لقد  
تكسّر زجاج نوافذنا في جميع الشوارع واضطربنا من قبيل  
الاحتياط الى اغلاق حوانيتنا.

(يدخل رجال كلوستر، ورجال ونشتر وهم يتضاربون).

الملك هنري : اني انذركم، بموجب سلطتي، أن تجمدوا أيديكم الآثمة  
وان تلمزوا الهدوء والسلام. أرجو يا عمي كلوستر أن  
تضع حداً لهذه المشاغبات.

الحارس الأول : اذا منعم عنا الحجارة قاتلنا بأساننا.  
الحارس الثاني : تجاسروا قدر استطاعتكم، فنحن مصممون على العراك.  
(يتواصل الشجار).

كلوستر : أنتم رجالي، وأنا أطلب منكم أن توقفوا هذه المشاحنة وأن  
تضخوا حداً لهذا النزاع السافل.

الحارس الثالث : نحن نعلم أن سعادتك رجل مستقيم، وتحاول، بفضل كرم  
نسبك الملكي ونظراً الى كونك لا تعترف بسيّد عليك سوى  
جلالة الملك، أن تكون أميراً فاضلاً على رأس حكم صالح،  
وأن لا تطلق أية اهانة من صعلوك، لذا ترانا مع نساتنا  
وأولادنا مستعدين جميعاً للقتال في سبيل نصرتك ومحاربة  
أعدائك وافدائك بدمائنا.

الخادم الأول : أجل، سنقاتل، وبأظفارنا سننبش أرض المعركة اذا قدر لنا  
أن نموت لأجلك.

كلوستر : قفوا، قفوا، أقول لكم. ان كنتم حقاً تحبونني كما تصرحون،  
أرجوكم أن تبرهنوا على صدق نيّتكم وتمالكوا أنفسكم.  
الملك هنري : كم يدمي قلبي هذا الخلاف! هل بإمكانك يا لورد ونشتر  
أن تسمع أناتي وترى دموعي بدون أن يرقّ فؤادك لحالي؟

مَنْ غيرك سيكون حليماً رحوماً بحقي؟ مَنْ يصون السلم  
إذا حلا لرجال الدين ان يتخاصموا؟

ورويك : يا حامي المملكة، تحمّل مسؤوليتك، وإذا لم تشأ أن تليي  
نداء الواجب اقلّ ملكك واهدم أركان المملكة. انظر كم  
سببت بعدائك من الشقاء ومن الضحايا. بادِرْ إلى توطيد  
التفاهم والوثام إذا لم تكن متعطشاً إلى سفك الدماء.

ونشستر (يشير إلى كلوستر) : إمّا أن يعلن خضوعه أو لن أَرْضَى أبداً بالوفاق.  
كلوستر : اشفائي على الملك يضطرنني إلى الإزعاج. وإلا عمدت إلى  
ازهاق روح هذا الحبر قبل أن أُلين.

ورويك : أنظر يا مولاي ونشستر؟ لقد تحاشى الدوق موجة التذمّر،  
وهذا مجيئه الهادئ يدلّ على ذلك. فلماذا يلازمك هذا  
العبوس المأسوي.

كلوستر : إليك يا ونشستر أمدّ يدي.

الملك هنري : تبأ لك يا عمي يوفور. لقد سمعتك تؤكد في مواعظك  
أن الحقّ خطيئة فظيعة. فهل لك أن تطبق بنفسك الدرس  
الذي تلقّيه على غيرك، وأن لا تكون أول المخالفين؟

ورويك : أسمع أيها الملك الكريم، جئير هذا الأسقف المرائي؟ يا  
للعار، يا لورد ونشستر. سلّم بالواقع. ما هذا التصرف؟ أحتاج  
إلى ولدٍ كي يعلمك واجبك؟

ونشستر : إذا، تراني أنحنّي أمامك، وأقابل مجتكَ بمودتي وأصافح  
اليد الممتدة إليّ.

كلوستر (على حدة) : أخشى أن يكون تصرّحك عكس ما تضمّره لي.  
اسمعوا يا أصدقائي، ويا مواطني المخلصين. هذا يدلّ على  
وجود هدنة فيما بيننا نحن الاثنين وبين جميع رجالنا. فاسأل  
العون من الله كي يوفّقني في كلّ مساعيّ.

ونشستر (على حدة) : ربنا لا يأخذ بيدي، إن لم أكن صافي النية.  
الملك هنري : يا عمي العزيز، دوق كلوستر الكريم، كم يسرني هذا

التفاهم والوثام! (رجال الدوق ورجال الأسقف): اذهبوا يا أصحابي، ولا تسبوا لي أي قلق كما فعل سادتكم.  
الخدام الأول: أمرك مطاع يا مولاي. أنا ماضٍ إلى الجراح.  
الخدام الثاني: وأنا أيضاً.  
الخدام الثالث: وأنا ذاهب لأرى أي دواء أجرح في الحانة.

(يخرج المحافظ ورجال الدوق ورجال الأسقف).

ورويك : أيها الملك الحكيم. نلتمس منك أن تقبل باسم ريشار بلانتاجينييه، ما نقدّمه لجلالتك.

(يقدم ورقة معروض للملك).

كلوستر : فكرة ممتازة يا مولاي ورويك. (للملك) فعلاً، أيها الأمير العزيز، إذا أخذت جلالتك هذه الظروف بعين الاعتبار يكون الحق بجانبك خاصة إذا منحت ريشار حقوقه حسب ما يبتغى أنا لجلالتك في محلة ألتهام.  
الملك هنري : هذه الأسباب، يا عمي العزيز، كانت موجبة. وهكذا، يا سادتي اللوردات الأكارم، يسعدني أن أعيد إلى ريشار جميع ما يحقّ له بسحب مولده النبيل.

ورويك : لئلا أعيد إلى ريشار جميع حقوق أسرته، وهكذا يُعوّض عما لحق بوالده من اهانات.

ونشستر : ما يريده سائر الوجهاء أريده أنا أيضاً.  
الملك هنري : إذا كان ريشار أميناً، فلن أتوقف عند هذا بل أعيد إليه كل ما يخصه من إرث بيت يورك الذي ينحدر منه رأساً.  
بلانتاجينييه (للملك): خادمتك المطيع يعاهدك على الخضوع لأوامرك وعلى خدمتك بوفاء حتى الممات.

الملك هنري : إركع اذاً، وضع ركبتك تجاه رجلي، ولقاء هذا الامتثال أقفدك سيف يورك الموسوم بالشجاعة والإقدام. إنهض يا

ريشار بصفتك كفرد أصيل من آل بلانتاجنيه. إنهض أيها الأمير، دوق يورك.

بلانتاجنيه : أتمنى لريشار كل النجاح، ولأعدائه السقوط، كما أرجو أن تبرهن دائماً عن اخلاصك، وليهلك كل من أراد سوءاً بجلالك.

الجميع : لنحيا أيها الأمير الكبير، دوق يورك القدير.

كلوستر (للملك) : الآن أصبح من الضروري أن تستعجل بجلالك في اجتياز البحر كي تتوج ملكاً على فرنسا. لأن حضور الملك يولد الحب في قلوب رعاياه وأصدقائه الأوفياء ويخزل جميع أعدائه.

الملك هنري : عندما يتكلم كلوستر بصدق، يتعاطف شأني كملك لأن نصيحة الصديق تفشل مكائد الأخصام.

كلوستر : مراكمكم جاهزة.

(يخرج الجميع ما عدا اكستر).

اكستر : أجل علينا أن نعتصم بالاقدام سواء في انكلترا أو في فرنسا. لأننا لا نعلم بما يخبئه لنا المستقبل. أن هذا الخصام المتأجج بين الزعماء يشتعل تحت رماد خداع وصدقة مصطنعة لا بد لها من أن تنفجر وتلتهم نيرانها الأخضر واليابس معاً. ونظير أعضاء فاسدة في الجسم تلتفها القروح وتنخر فيها العظم واللحم والأعصاب، هكذا ينتشر الحسد في الدين ويلتهم كل شيء وقد بت الآن أخشى تحقيق هذه النبوءة المشؤومة التي تملأ، في أيام هنري الخامس، حتى أفواه الأطفال الرضع قائلين :

للملك هنري المولود في « منموت » كل الأفراح  
وللملك هنري المولود في « وندسور » كل الأتراح.  
هذا بديهي لا يحتاج الى برهان، حتى أن اكستر تمنى

أن يدنو أجله قبل أن تحلّ بنا هذه الكوارث الفظيعة.

(يخرج).

## المشهد الثاني

في فرنسا، أمام حواجز مدينة روان

(تدخل العنراء منخفة مع جنود مرتدين ثياب فلاحين  
حاملين أكياساً على ظهورهم).

العنراء : ها هي أمامنا أبواب مدينة روان التي يجب علينا أن نفتح  
فيها ثغرة. انتبهوا وخذوا حذرکم، وأثناء حديثکم تكلّموا  
كسائر أهل السوق الذين يأتون لبيعوا قمحهم. فإذا تمكنا  
من الدخول كما أتمنى، ووجدنا المكان مهملًا غير محصّن،  
نبهت أصدقاءنا بإشارة كي يطلبوا من ولي العهد شارل  
المبادرة الى مهاجمتهم.

الجندي الأول : سنملأ أكياسنا من غنائم المدينة ومنصبح قرياً سادة  
روان. لذلك علينا أن نطرق بشدة.

(يطرقون الأبواب).

الحارس (من الداخل) : من الطارق؟

العنراء : نحن فلاحون مساكين من فرنسا جئنا نبيع قمحنا.

الحارس : ادخلوا، ادخلوا. فقد افتتح السوق.

(يفتح الأبواب).

العنراء : والآن، يا روان، سأزعزع شوارعك وأهدمها برمتها.

(تدخل العنراء مع جنودها الى المدينة).

(يتقدم شارل ولقيط أورليان وآلثسون والقوات الفرنسية حتى الحواجز).

شارل : لتبارك السماء هذا التدبير الحكيم، سننام مرتاحين في روان هذه الليلة.

اللقيط : من هنا دخلت العذراء مع جنودها. وبما أنها أضحت قرية منا ستدّلنا على الممر الآمن والأفضل.

آلثسون : ان رَفَعْنَا المشعل في أعالي هذا البرج دلّ ذلك على أن المكان الذي تسلّلنا منه مهمل غير محروس.

(تظهر العذراء في أعلى البرج ممسكةً بمشعل يلتهب).

العذراء : ها هي الشعلة المباركة التي تجمع مدينة روان بسلطانها وهي مصدر شؤم على أتباع تالبوت.

اللقيط : أنظر أيها النبيل شارل مشعل صاحبتنا الذي ينير أرجاء هذا البرج.

شارل : دعها تضيء نظير الشهاب المنتقم، مؤذناً بسقوط جميع أعدائنا.

آلثسون : لا تُضِيع الوقت سدى. فلتفاصيل نتائج خطيرة. تعالوا ندخل هاتفين لولي العهد، ثم ندمّر مراكز العدو.

(يدخلون المدينة).

(تسمع موسيقى انذار. يدخل تالبوت وبعض الإنكليز).

تالبوت : كَفَرِي يا فرنسا بدموعك عن هذه الخيانة، إن عاش تالبوت بعد هذا الجحود. وهذه العذراء الساحرة، هذه الدجالة الماكرة قد فاجأتنا بمكيدتها الجهنمية التي نجونا منها بشقّ النفس وكانت لصالح الفرنسيين.

(يدخل الجميع الى المدينة. تُسمع موسيقى انذار، تليها حركة جنود يخرج بدفورد من المدينة مريضاً محمولاً على كرسي يتبعه تالبوت وبوركون وجنود الإنكليز. حيث تظهر العذراء على الحاجز مع اللقيط وآلثسون ورييه وغيرهم).

العدراء (للاكلير) : نهاركم سعيد، أيها الذوات، هل تحتاجون الى قمح لصنع خبزكم؟ أظن أن دوق بوركون سيصوم بعض الوقت قبل أن يحصل على خبز بهذا الثمن لأن القمح كان مملوفاً زواناً وكان مذاقه مرّاً.

بوركون : تندري على هواك، أيتها الماكرة الخبيثة. أرجو أن أدوسك قريباً برجلي مع قمحك، وأنا ألعن هذا المحصول الكريه. شارل : قد تموت سيادتك جوعاً قبل أن تصل الى هذه الغاية. بدفورد : ليكن انتقامنا لقاء هذه الخيانة، بالفعل لا بالقول.

العدراء : ماذا تنوي عمله أيها الشائب المتطاوول؟ هل تود أن تكسر رمحك وأن تحمل النير، وأنت مقعد على هذا الكرسي؟ تاليوت : تباً لهذه الشيطانة الفرنسية، هذه العاهرة خالعة العذار المحاطة بعشاقها المتهتكين، هذه الماكرة التي لا تتورّع عن الهزء بشيخوخة رجل نصف مائت ونعته بالجبانة. سأريك أيتها الأنسة حين أهاجمك مرة أخرى، أنا تاليوت، كيف سأغلب عليك، وإلا متّ خجلاً وخزياً.

العدراء : ألا تزال شديد الحماس يا مولاي؟ عليّ أن ألوذ بالصمت، ومهما دوى صوتك، يا تاليوت، ستمطر السماء حتماً (يتشاور تاليوت وأصحابه). بارك الله في المجلس. مَنْ سيكون الخطيب هذا النهار؟

تاليوت : تجاسروا واخرجوا كي تنصّدوا لنا في السهل. العدراء : سيادتك، على ما يظهر، تظن أننا مجانين لتعرض لمساءلة لا تخصنا.

تاليوت : أنا لا أكلم الدجالة الساحرة، بل أكلّمك أنت وآلنسون والآخريين. هل تريد أن تخرج للقتال على غرار هؤلاء الجنود؟ آلنسون : كلا، يا سيدي.

تاليوت : اذهب واشتق نفسك، يا هذا. تباً لسائقي البغال الفرنسيين،

الذين يظنون مختبئين خلف الجدران كاللصوص الأنذال،  
ولا يجروون على حمل السلاح كالرجال الشجعان.

العذراء : هيا نسحب أيها الضباط، ونغادر الحاجز، لأن نظرات تالبوت  
لا تنبئ بأية بادرة صالحة. (تالبوت) : ليكن الله معنا يا مولاي.  
لقد جئنا لنراك ونثبت وجودنا هنا.

(تغادر العذراء الحاجز مع الجنود).

تالبوت : وبعد قليل من الوقت ستكون هناك حيث أودّ أن أستبدل  
العار بأعظم مجد يليق بالبواصل أمثالي. أستحلفك يا دوق  
بوركون بشرف اسرتك التي عانت اضطهاد الشعب الفرنسي،  
أن تسارع الي انقاذ هذه المدينة التي توشك أن تموت.  
بوركون : أمنيته تعانق أمنيته.

تالبوت : لكن قبل الذهاب تعالوا نعتني بهذا الأمير الموجوع دوق  
بدفورد الهمام. تعالَ يا مولاي. ستمكث في مكان آمن من  
هنا وأنسب لمرضك ولتقدمك في السن.

بدفورد : يا لورد تالبوت، لا تدلني هكذا. أريد أن أبقى داخل روان  
لأشاركتك السراء والضراء.

بوركون : أيها الشجاع بدفورد، دعنا نؤكد لك...

بدفورد : لن أرحل عن هذا المكان. كلا، لقد قرأت في الماضي  
أن التين بندراكون كان مريضاً. فحضر وهو على فراشه  
الى ساحة الوغى وانتصر على أعدائه. يخيل اليّ أنا أيضاً  
أني أستطيع استنهاض همم جنودنا لأنني كنت دائماً على  
وفاق معهم.

تالبوت : ثباً لروحك المتمرد في جسم عليل منازع. ليكن ما تشاء،  
ولتحرسك السماء يا بدفورد العجوز. والآن كفّ عن النقاش،  
يا بوركون المقدم. علينا أن نستجمع قوانا المشتة وننقضّ  
على عدونا الوقح.

(يخرج بوركون وتالبوت ورجالهما تاركين بدفورد وحرسه. يسمع نغير التحذير، وتتحرك الجيوش. يدخل سير جون فستولف وضابط).

الضابط : الى أين أنت ذاهب هكذا بسرعة، يا سير فستولف؟  
فستولف : الى أين ذاهب؟ أنا هارب لأنجو بنفسى. اذ ربما خسرتنا المعركة.

الضابط : ماذا تقول؟ أنت هارب يا لورد تالبوت؟  
فستولف : أجل، أنا وجماعة تالبوت، لنغنم أنفسنا.

(يخرج).

الضابط : يا لك من فارس جبان! ليحل بك البؤس والشقاء.

(تسمع موسيقى الانسحاب وتليها حركة جيوش. العذراء وآلنسون وشارل والفرنسيون يخرجون من المدينة مشتين).

بدفورد : لتنتلق الآن نفسى الى خالقها بأمان! لأن عيني أبصرتا هزيمة أعدائنا أين هي ثقة الرجل المتخاذل، وأين قوته؟ ان من يتحدثوننا ببذاءتهم هم الآن راضون بالخلاص هرباً من بطشنا.  
(يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو محمول على كرسى).

(تسمع موسيقى تحذير. يدخل تالبوت وبوركون وسواهما).

تالبوت : لقد خسرتنا المدينة واسترجعناها في يوم واحد. وهذا عمل عظيم يا بوركون. فلكحفظ لنا السماء كل أمجاد هذا الانتصار الخالد.

بوركون : يا تالبوت المحارب الظافر، انى أقدرك شخصياً كل التقدير وأشيد بنبل بطولتك وسمو شمائلك.

تالبوت : أشكر، أيها الدوق الكريم. لكن أين العذراء في هذه الساعة؟ أعتقد بأن شيطان حماسها يرقد الآن. وأين عتريات اللقيط، وأين أعلام شارل؟ هل تبددوا جميعاً؟ ان روان تنكس رأسها

وهي ترثي لحال المنهزمين من أبنائها الشجعان. هيا بنا نحتلّ  
النقاط الحساسة في المدينة، ونوكل امر حراستها الى ضباط  
يقظين. ثم نذهب الى باريس لموافاة الملك، لأن هنري  
الشاب قد سبقنا اليها مع البلاء من رجاله.

بوركون : كل ما ترغب فيه يا لورد تالبوت يعجبني.

تالبوت : على كل حال، قبل أن تمضي لا تنسَ النبيل بدفورد الذي  
لفظ أنفاسه الأخيرة منذ هنية. علينا أن نقيم له في روان  
جنازة تليق بمقامه الرفيع. اذ ليس من محارب أشجع منه  
أبلى البلاء الحسن، وليس من انسان أنبل منه ساهم مثله  
في ادارة شؤون البلاط. لكن الملك والعظماء لا بدّ لهم  
هم أيضاً من أن يشربوا كأس المنيّة، لأن هذه النهاية مصير  
محتوم على كل البشر بدون استثناء في هذه الدنيا التعيسة  
الباطلة.

(يخرجون).

## المشهد الثالث

### في سهل قرب مدينة روان

(يدخل شارل واللقيط آنون والعذراء ورجالهم).

العذراء : هذّنوا روعكم أيها الأمراء في هذه المحنة، ولا تسمحوا  
لأنفسكم بأن تروا روان مستردة على هذا النمط. فالعطف  
ليس دواءً شافياً بل سماً زعافاً يقضي على كل من يتجرّعه  
مستكيناً. دعوا المتعصب تالبوت يتصر لحظة ويعرض ريشات  
ذيله كالطاووس المغرور. سننقّض عليه ونحطّم كبرياءه، ولن

تتجه اليه بعد ذلك أنظار ولي العهد وسواه من المخدوعين بأوهام تبجحهم.

شارل : لقد تبعناك حتى الآن ونحن لا نشك بمهارتك. ولن نتينا

عن الاتكال عليك أية كبوة عابرة تعترض سبيلك.

اللقبط : ابحتي أينها العذراء في ذهنك عن دوافع سرية، ونحن نجعل شهرتك تطبق الآفاق.

آنسون : سنقيم لك تمثالاً في مكان بارز ونكرمك كأنك قديسة. فصرّفي كعذراء لطيفة ولا تسعي إلا لصالحنا.

العذراء : هذا ما يتحتم عليكم أنتم أيضاً عمله. فصواب الرأي يقضي بأن تقع دوق بوركون بحجج دامغة يدعمها كلام معسول، وأن نحمله على التخلي عن نابوت والاتحاق بنا.

شارل : بربك يا صديقي، اذا نجحتنا في الوصول الى مبتغانا فان رجال هنري لا يسعهم أن يصمدوا في فرنسا. وستقلع هذه الأمة عن مقابلتنا بوفاحتها المعهودة فتقتلع جذورها من مناطقنا.

آنسون : سنبدهم عن فرنسا الى الأبد، ولن يكون لهم موطن قدم في بلادنا.

العذراء : سترون يا سادة ما سأفعله لبلوغ المرام. (تقرع الطبول). اسمعوا يمكنكم أن تعرفوا من قرع هذه الطبول ان جنودهم يزحفون نحو باريس.

(يسمع النشيد الانكليزي. نابوت ورجاله يجتازون المسرح متعدين).

ها هو نابوت يمر وأعلامه مرفوعة، وكل الجيش الانكليزي يتبعه.

(يصدح النشيد الفرنسي. ويدخل دوق بوركون وقواته).

الآن يسير الدوق وأصحابه في المؤخرة، وقد جعله حظه

الميمون في هذا الوضع. تعالوا نطلب التحدث اليه ونفاوضه.

(يدق النفير لطلب مفاوض).

- شارل : التفاوض مطلوب، يا دوق بوركون.  
بوركون : من يطلب مفاوضتي؟  
العذراء : مواطنك شارل أمير فرنسا.  
بوركون : قل حالاً يا شارل، ماذا تريد؟ فأنا راحل من هنا.  
شارل : تكلمي يا عذراء، واسحريه بالفاظك الحماسية.  
العذراء : أيها الشجاع بوركون، يا أمل فرنسا الذي لا يخيب، قف  
لتحدثك خادمك المتواضعة.  
بوركون : تكلمي بإيجاز ولا تسهي.  
العذراء : انظر الى بلدك الجميل، انظر الى فرنسا الخصبة، وشاهد  
المدن الكبيرة والصغيرة التي شوحتها وحشية غزوات العدو  
الشرس. وكما تتأمل الأم المنهوكه ولدها الذي اختطفه  
الموت من بين ذراعيها، انظر، انظر الى نزاع فرنسا. أبصر  
هذه الحراح العميقة الخيشة التي أثختها بها. هيا وجه خنجرك  
الى صدر غيرها، واطمن من طعنوها لا من دافعوا عنها  
بیسالة. ان كل قطرة دم تسيل من قلب وطنك الصريع يجب  
أن تؤلمك أكثر من نهر من دم الغريب. اذرف اذاً سِلاً  
من الدموع لتغسل بها جراح بلدك المغلوب.  
بوركون : لقد سحرتني بكلماتك البليغة واستدررت عطفی فجأة.  
العذراء : ان جميع الفرنسيين يستغيثون بك، وهم لا يشكون بأصالة  
مولدك وشرعية نضالك. قل لي من حالفت؟ آمنة شامخة  
لا تثق بك الا بقدر ما تخدم مصالحها؟ ان تالبوت متى  
استقر في فرنسا بعد أن يستخدمك كأداة شر لتهديم البلاد،  
من من الانكليز غير هنري سيكون سيدك؟ حينئذ تصبح  
مبيوذاً ومطارداً كالهارب من وجه العدالة. تذكر الماضي

وفكر جيداً حتى تقتنع بصحة ما أقوله لك. ألم يكن دوق  
أورليان عدوك اللدود؟ ها قد أطلق سراحه بدون فدية نكاية  
ببوركيون وبجميع أصدقائه. أنت تقاثل أبناء وطنك وتناصر  
من سيكونون قريباً جلاًدك. ها عُدّ إلى رشدك أيها النبيل  
الضالّ. فان شارل وجميع أعوانه يفتحون لك صدورهم.

بوركون : أنا مقتنع بسموّ هذه الكلمات التي صمقتني كقذائف المدفع،  
والتي حدث بي إلى الركوع على ركبتيّ. سامحني يا وطني،  
واعفوا عني يا أبناء بلدي. وأنت أيها المولى الكريم تقبّل  
اخلاصي ومودتي. ها هي كل امكانياتي، وها هم جميع  
رجالي في خدمتك. والآن وداعاً يا نالبوت لأنني لم أعد  
أثقي بك.

العذراء (على حدة) : ها هوذا الفرنسي الصادق في عواطفه الذي لا يحيد  
عن الحق.

شارل : أهلاً بك أيها الدوق الباسل. ان صداقتك عزيزة على قلوبنا.  
اللقيط : وتنفخ فينا روح الجرأة والبالاة.

آلنسون : لقد قامت العذراء بدور رائع تستحق عليه إكليلاً من الغار.  
شارل : ها بنا الآن إلى السير يا سادة، لننضمّ إلى قواتنا ونسعى  
للتغلب على عدونا.

## المشهد الرابع

### في باريس، داخل القصر الملكي

(يدخل الملك هنري وكلوستر ونبلاء آخرون وفرون وباسيه وغيرهم وبأني لملاقاتهم تالبوت وبعض ضباطه).

تالبوت : أيها الأمير الوسيم، وأنتم أيها النبلاء الأشراف، علمت بقدمكم الى هذه المملكة فأوقفت بعض الوقت نشاطي الحربي لكي آتي وأقدم لمليكي واجب الاحترام. وبناء على ذلك، وبعد أن أخضعت لسلطتك أكثر من خمسين قلعة واثنتي عشرة مدينة كبيرة وسبع مدن صغيرة محاصرة رغم أسوارها المتينة العالية، وما يناهز المئة والخمسين سجيناً من كبار القوم، ها هي يدي تضع سيفي عند أقدام جلالتك، وبأمانة الجندي الأمين أتوج هامتك بأكليل فتوحاتي مرضياً بذلك ربّي وضميّري الذي يأبى إلا المجد والشرف الرفيع. الملك هنري : عمي كلوستر، هل هذا هو اللورد تالبوت الذي أقام طويلاً في فرنسا؟

كلوستر : أجل يا مولاي، هو تحت تصرف جلالتك. الملك هنري : أهلاً بك أيها الضابط الشجاع، أيها اللورد المظفر. عندما كنت أنا فتى، ولا أزال في شرح الشباب، أتذكر بأني سمعت أبي يكرر أن ليس من بطل امتشق الحمام وحارب بمثل مهارتك. فمئذ أمد طويل أنا أقدر وفاءك وخدماتك الجليلة. ومع ذلك لم تل مني أية مكافأة على شهامتك ولا أي شكر على براعتك قبل هذه الساعة لم يتسن لي أن أراك وجهاً لوجه. فلأجل هذه الخدمات أسألك أن تنهض لأنحك لقب كونت شروز بري، وتظهر بهذه الرتبة الرفيعة في حفلة تتويجي.

(يدق النفر وتقرع الطبول، ويخرج الملك هنري وكلوستر وناليت والبلاء).

فرنون (لباسه) : والآن يا سيدي، أنت الذي قتلت فوق أمواج البحر ورفعت  
عالياً لوائي الذي تحمله الى جانب النيل لورد يورك، هل  
تجاسر على ترديد الكلام الذي قلته فيما مضى؟  
باسيه : أجل يا مولاي، اذا جرؤ لسانك على العواء أمام اللورد النيل  
دوق سومرست.

فرنون : أيها المحتال، أنا أكرّم اللورد على ما يستحقه.  
باسيه : من هو هذا الرجل، وهل يساوي يورك؟  
فرنون : كلا، على ما أعلم. أسمعني؟ وكبرهان على ذلك، خذ هذا.  
(يضرب باسيه).

باسيه : أيها الوقح، أنت تعلم أن شريعة السلاح تقضي بانزال عقوبة  
الموت بمن يشهر سيفه، وإلا فهذه الطعنة ستسيل دمك  
الطاهر كالنهر. أنا ذاهب لمقابلة جلالته، وسأطلب منه السماح  
لي بالانتقام منك على هذه الاهانة التي لا تغتفر، سترى  
ما سيكون من أمري. سألحق بك وأجعلك تدفع باهظاً  
ثمن تصرفك الأرعن.  
فرنون : حسناً؛ أيها اللئيم. سأكون الى جانب الملك حالما تمضي  
اليه. ثم سألحق بك حالما تشاء أن أوافيك.

(يخرجان).

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

في باريس، وسط قاعة التوزيع

(يدخل الملك هنري وكلوستر واكستر ويورك وسوفولك وسومرست وونشستر وورويك وتالبوت وحاكم باريس وغيرهم).

كلوستر : أيها اللورد الأسقف، ضع التاج على رأسه.

ونشستر : حفظ الله الملك هنري السادس.

كلوستر : الآن وأنت حاكم باريس، اقم اليمين (يركع الحاكم) أقسم بأنك لن تعترف إلاّ بسلطة الملك، وأن تعتبر أصدقاءه أصدقاءك وأعداء الذين يناوئون حكمه كأعدائك، وأنت ستفي بعهدي هذا. وفقك الله في جميع مساعيك.

(يخرج الحاكم وحاشيته).

(يدخل سير جون فستولف).

فستولف : أيها الملك الكريم، بينما كنت آتياً من مدينة كاليه على

جوادي لأصل بأسرع ما يمكن وأشهد تنويحك، سلمني  
أحد الرجال رسالة موجّهة اليك من دوق بوركون.

تالبوت

: تبأ لك يا دوق بوركون، ولك أيضاً أيها الفارس القدر.  
لقد أقسمت، في أول مرة أصادفك بأنك لست أهلاً لنيل  
حمالة جرابك وهي سمة شرف لا تستحقها نظراً إلى جباتك  
(بتزع عنه حمالة جرابه) اني أفعل ذلك لأنك تدنس مثل هذا  
الامتياز السامي. أعذرني أيها الملك هنري، وأعذرني أنتم  
أيضاً أيها النبلاء. عندما لم يكن لديّ في معركة « باتيه »  
سوى ستة آلاف محارب، وكان الفرنسيون حوالي عشرة  
مقابل واحد، قبل الصدام الأول، وقبل أن أسدّد أية ضربة،  
هرب هذا الجبان نظير صعلوك رعديد. وفي هذه المعركة  
فقدنا ألفاً ومئتي رجل. وأنا والعديد من النبلاء فوجئنا بذلك  
وكان نصيبنا الأسر. فاحكموا أيها السادة الكرام، اذا كنت  
أسأت التصرف، وإذا كان هؤلاء الجبناء يستحقون أن يحملوا  
شارة الفروسية الرفيعة هذه.

كلوستر : في الحقيقة هذا عمل خسيس يعيب حتى الرجل العادي،  
فكم بالحري الفارس والضابط والوجيه.

تالبوت

: عندما أنشئ هذا الامتياز، يا سادة، كان فرسان حمالة الجراب  
من ذوي الأصل النبيل والشجعان الأفاضل ومن الرجال الذين  
برزوا كالأبطال في ساحات الوغى لا يهابون المنايا ولا  
تال منهم الشدائد، بل يتغلبون على الصعاب والمحن. أما  
من لا يملك المواهب والمزايا الحميدة فلا يستحق أن يكون  
من الفرسان، لأنه يُلطّخ هذا الشرف السامي، وبناءً على  
ذلك، حتى إن كان أهلاً للحكم في مثل هذا الموقف،  
يظل مجرداً من هذا الشرف كدجال حقير مولود في ظل  
سياج ويدّعي أصالة النسب العريق.

الملك هنري (لتستولف) : استمع أيها المنبوذ في قومك الى الحكم الصادر

عليك بأن ترحل حالاً من هنا، وإن كنا اعتبرناك فارساً بدون استحقاق، فمن الآن وصاعداً نحن نحتقرك ونريد بعدك تحت طائلة معاقبتك بالموت الزوأم إن خالفت مشيبتنا (بخرج نستولف) والآن يا مولاي حامي المملكة، إقرأ هذه الرسالة التي وردتني من عمي دوق بوركون.

كلوستر (يقرأ الرسالة) : ماذا يريد مولاي أن يقول؟ هل غيّر رأيه؟ ما هذا التعبير الجاف : الى الملك؟ هل نسي أن العاهل سيده وولي نعمته؟ ما هذا التوجيه الوقح؟ هل هو دليل تقدير واحترام؟ ماذا جرى؟ يقرأ : « لأسباب خاصة، وقد صمقتني كارثة بلادي، كما آلمني الشكوى المريرة التي صدرت عمن ثقل عليهم وقر ظلمك، قد أبيت مخالفتك المشؤومة وانضويت تحت لواء شارل ملك فرنسا الشرعي ». يا للخيانة المشينة! هل للصداقة والمودة والايامن المغلظة أن تؤول الى مؤامرة أخط وأقذر من هذه؟

الملك هنري : ماذا جرى يا عمي، يا مولاي بوركينون المقفرة؟

كلوستر : أجل، لقد أصبح اللورد عدوك اللدود.

الملك هنري : هل هذا النبأ السيء كل ما تضمنته الرسالة؟

كلوستر : نعم يا مولاي. هذا كل ما هو مكتوب.

الملك هنري : اذاً، سيذهب اللورد تالبوت ويكلمه وسينال عقابه على هذه

السفالة. (تالبوت) ما قولك أيها السيد؟ هل يناسبك هذا

التدبير؟

تالبوت : تسألني ان كان يناسبني يا مليكي الكريم! أجل، ولو لم

تنهني اليه لكنت التمس منك تكليفي بهذه المهمة الخطيرة.

الملك هنري : هيّا اجمع قواتك وهاجمه، وليعلم كم ساءتني خيائته وأية

جريمة ارتكب بحق أصحابه.

تالبوت : أنا ذاهب يا مولاي وكلّي توق الى جعلك تلمس لمس

اليد تخبط اعدائك وتدهورهم.

(يخرج).

(يدخل فرنون وباسيه).

فرنون : دعني أقاتل، أيها الملك الكريم.  
باسيه : وأنا أيضاً يا مولاي، إسمح لي بخوض المعركة الى جانبه.  
يورك (مشيراً الى فرنون) : هذا أحد رجالي، أرجوك أن تستمع اليه أيها الأمير النبيل.

سومرست (مشيراً الى باس) : وهذا من رجالي، أيها الحبيب هنري، أرجوك أن تشمله بعطفك ورعايتك.

الملك هنري : صبراً أيها اللورد. دعهما يذهبا. (لفرنون وباسيه) قولا لي ما سبب هذا الطلب، ولماذا ترغبان في القتال، ومن ستقاتلان؟  
فرنون (مشيراً الى باس) : أنا سأنازله لأنه أهانني.

الملك هنري : ما هي هذه الإهانة التي تشكوان منها كلاكما؟ هل لي أن أعرفها لأرى بماذا أجيبكما؟

باسيه : بينما كنا نجتاز البحر من انكلترا الى فرنسا، لامني هذا بكلام قاسٍ على اختياري الوردة التي أحملها وهي بلون الأحمرار الذي صبغ خدّي سيدي ذات يوم حين شاء أن ينكر الحقيقة في قضية حقوق كانت موضوع نقاش حادٍ بينه وبين دوق يورك. وقد أضاف اليها بضع كلمات غير لائقة بل مهينة. فلكني أعاقبه على هذا التحقير الغليظ، ودفاعاً عن شرف مولاي طلبت تعزيز هذا الشرف بقوة السلاح.  
فرنون : وأنا أيضاً طلبت الأمر عني أيها اللورد النبيل، لأنه مهما كان بارعاً في دفاعه المزيف الخداع، ومهما لطف الجو بنفاقه المعهود، أعلم يا مولاي أنه تحداني وتهجّم على هذا الرمز النبيل (يشير الى الوردة البيضاء التي يحملها) مدعياً أن شحوب لون هذه الوردة دليل على انحطاط مولاي.

يورك : أولن تكفّ عن هذه الأساليب الوضيعة يا سومرست؟

سومرست : حقدك الشخصي، يا لورد يورك، يظهر عليك دائماً بصورة  
مبطنة لا تستطيع اخفاءها.

الملك هنري : يا الهي، ما هذا الهوس الذي يسيطر على عقول البشر؟  
لأنّغ الأسباب يشهرون عداوتهم القاتلة. فيا أبناء عمي يورك  
وسومرست، هذنا روعكما وعيشا بسلام.

يورك : لئصف حساباتنا هذه بالاحتكام الى السلاح أولاً، ثم تفرض  
جلالتك علينا السلام والوثام.

سومرست : المشاجرة لا تخصّ أحداً سوانا نحن الاثنين، فاسمح لنا  
بأن نصفّهما فيما بيننا.

يورك (يرمي بقفّازه في وجه خصمه) : هذا هو ردّي، فاسمح لي بجوابك، يا  
سومرست.

فرنون : كلا، لتظلل المناوشة حيث بدأت.

باسيه : تفضّل بالقبول، أيها اللورد الوقور.

كلوستر : أطلب موافقتي؟ ملعونة هي مشاجراتكما. ولتهلككما معاً  
ولتقصر على ثمراتكما الوقحة. تباً لكما من شريرين  
متبجحين. أولاً تخجلان من المجيء بهذه البذاءات والطلبات  
المشينة، لتقلقا وتضايقا الملك وتضايقانا أيضاً؟ (ليورك  
وسومرست) وأنتما أيها اللوردان، يخيل اليّ أنكما مخططان  
بتشجيع اتهاماتهما المجرمة. والأفطع أنكما تستفيدان من  
خلافاتكما لتيرا الحزازات بينكما شخصياً. اسمعا جيداً،  
عليكما أن تنتهجا سبلاً أحكم من هذا.

اكساتر : الأمر يؤلم جلالتة. فأرجوكم أيها اللوردات الكرام أن توثقوا  
عري الصداقة فيما بينكم.

الملك هنري (لباسه وفرنون) : إقتربا مني أنتما اللذان تودّان أن تتقاتلا. أرجو  
منكما إن كنتما حقاً تريدان راحة بالي أن تنسيا مشاكلكما  
وأسيابها. (ليورك وباسيه) وأنتما أيها اللوردان تذكّرا أننا نحن  
هنا في فرنسا وسط شعب متقلب متمايد، اذا عرف ما

بينكما من خصام وانقسام انقلب علينا وتحذانا بتمرد عني  
 وثورة جارفة. وما عدا هذا، فأية اهانة تلحق بكما عندما  
 يعرف الأمراء الأجانب انكما لأجل مسألة تافهة، أنتما كبيراً  
 نبلاء الملك هنري، تعاديان وتتأحران وترجآن مملكة فرنسا  
 في أسوأ المهالك. أناشدكما أن تتذكرا فتوحات والدي،  
 وسني حدائتي، كي لا نخسر، لأسباب تافهة، عرش فرنسا  
 الذي كلّفنا دماء ذكية ثمينة. دعوني أفصل في هذا الخلاف  
 المريب. (يتناول وردة حمراء) اذا حملت، هذه الوردة فأنا لا  
 أرى موجباً للظن بأنني أميل الى سومرست أكثر من يورك.  
 فكلاهما من أنسابي، أنا حامل التاج والصولجان. لعمري  
 ان ملك اسكتلندا المتوّج هكذا يقنعكم ويؤدّكم بما هو  
 أفضل من ارشاداتي وحججي. وإلا لما جئنا لنواصل بسلام  
 عيشنا في ظل التفاهم والانسجام. يا ابن عمي يورك، انا  
 أختارك وصياً على ولايات فرنسا، وأنت أيها اللورد الكريم  
 سومرست إجمع رجالك وفرسانك، وكناصرين أوفياء  
 ومخلصين كرماء أباً عن جدّ، سيروا بشجاعة واتفاق، وصبّوا  
 جام غضبكم على رؤوس أعدائنا. فاني أيها اللورد حامي  
 المملكة، بعد استراحة قصيرة، سأعود الى مدينة كاليه، ومن  
 هناك الى انكلترا حيث آمل أن يبلغني قريباً نبأ الانتصار  
 على الملك شارل والنسون وكل الزمرة الخائثة.

(تسمع موسيقى، ويخرج الملك هنري وكلوستر وسومرست وونشر  
 وسوفوك وباسيه).

ورويك : أيها اللورد يورك، يخيل إليّ أن الملك قد أصغى راضياً  
 الى خطابي.

يورك : في الواقع، هذا ما لا يعجبني، لأنه يحمل شعار سومرست.  
 ورويك : هذه ليست سوى أهواء. فلا نلهم عليها. يسرني أن أوكد  
 لك أيها الأمير العزيز، أنه لم يفكر بأي شر.

يورك : لو صدّقه!... لكن الأولى بنا أن نفعل هذا الأمر، إذ لدينا مسائل أخرى يجب أن نهتم بها.

(يخرج يورك وورويك وفرنون).

اكسائر : حسناً فعلت يا ريشار، إذ قطعت فوراً كل صلة بهذا الموضوع. فلو اظهرت غواطفك، لكنّا اكتشفنا، كما أخشى، اشنع حقد وأقبح عداء وأعنف تعصّب يمكن تصوّره واحتماله. مهما كانت القضية شائكة، فالرجل الأكثر بساطة يسعه أن يصير الخلافات المؤذية البعيدة عن المروءة وعن اتفاق رجال البلاط وتكاتفهم، بل هذا الانقسام المفضي الى تفاقم الحزازات والى التناحر المشووم، في الحقيقة لا يستبعد أن يكون الصولجان مجلبة الويلات عندما يكون في يد ولد عديم الخبرة، ويكون شرّه أفدح عندما ينخر قلبه الحسد والخاسة التي تجرّ الفوضى والخراب.

(يخرج).

## المشهد الثاني

في فرنسا، أمام مدينة بوردو

(يدخل تالبوت ومعه رجاله).

تالبوت : يا نافخ النفير إذهب الى أبواب بوردو، واطلب ظهور القائد على الحاجز. (يسمع صوت النفير ويظهر القائد الفرنسي عند الحاجز) أيها الضابط الذي يدعو الانكليز جون تالبوت، ويعتبرونه أكبر رجل مسلح في خدمة هنري ملك انكلترا الذي يقول لك : افتح أبواب المدينة واخضع له. واهتف لملكي كأنه

مليكنك، قدم له الاحترام والإجلال كأحد رعاياه الأوفياء  
وسنتعد عنكم أنا ورجالي الأشداء. أما اذا احتقرتم السلام  
الذي أعرضه عليكم فستمطرون عليكم الغضب والوبال من  
أسلحتي الثلاثة المبيدة، ألا وهي الجوع الكافر والحديد  
المدمر والنار المحرقة التي بطرفة عين تحوّل أبراجكم الشامخة  
الى ركام، ومنازلكم العامرة الى حطام على رؤوسكم جميعاً،  
اذا رفضتم الصداقة التي أكتها لكم.

القائد

: يا لك من يوم مشؤوم يقود الى الخراب والدمار، وهو آفة  
شعبنا وقد ذاق مر الاستبداد. أنت لا تستطيع الدخول إلينا  
إلا على أشلاء القتلى. لأننا، كما أعلنت لك، محصّون  
ومستعدون للقتال بضراوة. فاذا صممت على الانسحاب،  
فولي العهد المحاط بحامية شديدة البأس متأهب لرجلك  
في غياهب الهلاك على ساحة الوغى. فحولك، أينما كنت،  
تلاقي فرقاً شاكية السلاح، واقفة لك بالمرصاد فوق الأسوار  
لتسفيك كاسات المنون وتسدّ عليك ممالك الهرب، فلا  
تقوى على التحرك يميناً أو يساراً بدون أن تواجه الموت  
الزؤام الذي يحصد أمثالك الجبناء ممّن يتهيئون لمواجهة  
إلا بوجوه شاحبة وأسنان تمطك هلعاً. لقد أقسم عشرة  
آلاف فرنسي على صبّ قنابل مدافعهم بدون هوادة على  
رأس تالوت الانكليزي. فها أنت واقف هنا تفيض حيوة  
وحسن نيّة وهمّة عالية وقناة لا تلين. وهذا أقصى تكريم  
أخصّك به أنا عدوك لقاء أمجادك السالفة. لأنّي قبل أن  
يتم نزول الرمال في الساعة الزجاجيّة، وفيما العيون البرّاقة  
تبصر الصحة التي تملأ برديك قد ذوت وشحبت كأن صفرة  
الموت تعلو محياك. (يسمع قرع طبول بعيدة) اسمع اسمع. هذه  
الطبول تعلن وصول ولي العهد، بل هذا نذير نهايتك وناقوس

الحزن الذي ينشئ بقرب موكب جنازة شخصك البغيض،  
ونعي موتك المريع فوراً.

(ينسحب القائد وجنوده من الحاجز).

تالبوت

: هذه ليست رواية. ها أنا أسمع العدو يقترب، هيا بنا أيها  
الفرسان الشجعان نستكشف طلائعه. تباً لهذه المحاولات  
المستهترة البائسة. اننا مطوّقون من كل الجهات. قبحاً لكم  
أيها القطعان الانكليزية الحائرة التي تحاصرها جماعات  
الفرنسيين بيقظة وإحكام في أيها الانكليز، ان كنتم فعلاً  
كالغنم، فكونوا من نوع أصيل، لا بهائم تخاف المطاردة،  
بل كونوا كالغزلان النافرة التي ترند بقرونها الجارحة، فتزرع  
الهلع في قلوب مهاجميها. على كل منا أن يدع العدو يدفع  
ثمننا باهظاً من حياته قبل أن ينال منا الوطر. أجل دعوهم  
يدفعون ثمن هجومهم غالباً أيها الأصدقاء، بعون الله وشفيعنا  
الفارس جاورجيوس. فحياة تالبوت، وبحق انكلترا، يجب  
أن تظل بنود أعلامنا خافقة ومرفرفة فوق معاركنا الضارية.  
(يخرجون).

## المشهد الثالث

### في سهل بمنطقة كشكون

(يدخل يورك مع رجاله، ثم يوافيه رسول).

يورك

: هل عاد الكشافه البواسل الذين أرسلناهم لمطاردة جيش ولي  
العهد؟

الرسول

: أجل عادوا، يا مولاي، وأعلنوا لنا أن ولي العهد قد توجه

الى بوردو مع قواته لمحاربة تالبوت. وفي هذه الأثناء أبصر  
جواسيسك جيشين أهم من جيش ولي العهد قد انضمّا اليه  
وتابع الجميع مسيرتهم الى بوردو.

يورك : تباً لهذا الحقيّر سومرست الذي يؤخر هكذا وصول الإمدادات  
الموعودة، من خيالة لفلّك هذا الحصار. ان تالبوت الأكمعي  
ينتظر نجاتي. لكني ذهبت ضحية خائن حقير، وما عدت  
قادراً على مساندة هذا الفارس النبيل. كان الله بعونه في  
هذه المحنة. فاذا أخفق، فعلى حروب فرنسا السلام.

(يدخل سير وليم لونسى).

لوسى (ليورك) : يا قائد القوات الانكليزية، هل من حاجة أمّس من هذه الآن  
ونحن على أرض فرنسا؟ سارع الى نجدة النبيل تالبوت  
الذي يحيط به حالياً حزام حديدي يهدّده بالهزيمة والدمار.  
فاللى بوردو، أيها الدوق المحارب، الى بوردو، يا يورك.  
ولاً وداعاً يا تالبوت، ويا فرنسا، ويا شرف انكلترا.

يورك : يا الهي، إن سومرست هذا الذي يعيمه كبرياؤه، يشلّ  
حركتي. لماذا لم يذهب عوضاً عن تالبوت؟ لكنّا أنقذنا  
وجهاً باسلاً، وتخلّصنا من خائن جبان. إنني أبكي غضباً  
وتحرّفاً، وأنا أرى أنفسنا نهلك هكذا، بينما الخونة المارقون  
يرقدون هنا غير مباليين.

لوسى : هيا ارسلوا نجدة الى هذا المولى الغائص في ضيق خائقي.  
يورك : إن مات فقدنا كل شيء. وأكون أنا قد نقضت وعدي  
كمحارب. نحن نيكى وفرنسا تضحك، نحن نتهزم وخصومنا  
يتصرفون علينا دائماً. وكل ذلك بسبب الخائن الحقيّر  
سومرست.

لوسى : تفمّد الله اذا تالبوت بفيض رحمته، وكذلك ابنه الشاب جون  
الذي وافاه منذ ساعتين. بعد أن انقضت سبع سنوات بدون

أن يشاهد أحدهما الآخر، ولم يلتقيا اليوم إلا ليموتا معاً.  
: يا للأسف! كم كان فرح تالبوت عظيماً وهو يرحّب بولده  
ليترافقا الى القبر. كفى. يكاد الألم يخنقني، وأنا أفكر بهذين  
الصديقين اللذين فرّق بينهما البعد طويلاً، وهما يلتقيان ساعة  
دنوّ أجلهما. وداعاً يا لوسي. ان كل ما يوسعي أن أفعله  
هو أن ألعن المانع الذي حال دون مساعدتي هذا الرجل.  
فقد ضاعت من أيدينا مدن ماين وبلوا وبواتيه وتور بسبب  
اهمال سومرست وتقاعسه.

يورك

(يخرج).

: وهكذا بينما سوس الخلاف والعداء ينخر قلوب قوادنا نرى  
الجمود والاستهتار يؤمّنان لأعدائنا الفتوحات المينة وقد امتاز  
بها القائد الأكبر الذي يكاد جثمانه أن يبرد، أعني به الرجل  
الدائم الغلبة هنري الخامس. وفي هذه الساعة، كل وجودنا  
ومجدنا وأرضنا، برمتها تندهور الى أعماق الهاوية ويتلعهما  
العدم.

لوسي

## المشهد الرابع

في سهل آخر من مقاطعة كنكون

(يدخل سومرست مع قواته، يرافقه أحد ضباط تالبوت).

: لقد فات الأوان. لم يعد بإمكانني أن أرسلهم في هذه الساعة.  
سومرست فيورك وتالبوت قد تهاونا في التفكير بهذه الحملة. وكل  
قواتنا مجتمعة يمكن تطويقها وهي خارجة من هذه المدينة  
المحصارة. لأن تالبوت المستهتر قد غامر بجميع أمجاده

بحماقة، ولأن يورك أرسله ليحارب ويموت بحقارة كي  
يتسنى له هو أن يبرز بعد أن يغيب الموت تالبوت عن  
المرح العسكري.

الضابط : ها هو سير وليم لوسي الذي انتدبه الجيش معي لنصر  
المهزومين.

(يدخل سير وليم لوسي).

لوسي : من أرسلك؟ اللورد تالبوت الذي ذهب ضحية الخيانة والعداء  
اللدود؟ فقد طلب العون الذي لم يؤمن له، فحاصره الموت  
وقضى عليه. وبينما الضابط النبيل تنزف أعضاؤه المهشمة  
دماً غزيراً ويطلق المقاومة بانتظار وصول النجدة، أنت أمله  
الخائب، أنت مستودع شرف انكلترا كنت واقفاً على الحياد  
بدافع حسدك الدنيء. لا تدعُ حقدك الشخصي يحرمة من  
المدد الذي يتوجب عليك تقديمه له حين عرض هذا الوجيه  
الكريم حياته لقوى ساحقة. ان لقيط أورليان وشارل وبوركون  
وآلنسون ورييه يحيطون به، وتالبوت يهلك بسبب تخاذلك  
وحقدك.

سومرست : يورك الذي دفعه الى القتال، ويورك هو الذي يجب عليه  
أن يغيثه.

لوسي : ان يورك من جهته يناهض سعيك ويقسم بأنك أنت الذي  
تمنع عنه النجدة.

سومرست : يورك كاذب. كان عليه أن يطلب الفرسان، وكان حصل  
عليهم. أنا لا أحترمه كثيراً، ولا أحفظ له أية مودة. وأعتقد  
بأن أهواءه المنحطة هي التي دفعته الى الامتناع عن ارسال  
المدد.

لوسي : ان جحود انكلترا، لا قوة فرنسا، هو الذي سبب التهلكة

تالبوت في إقدامه على هذا التجني. ولن يعود حياً الى  
انكلترا لأنه سيموت ويذهب ضحية خلافاتكما.

سومرست : هيا اذهب. سأرسل الخيالة حالاً، وبعد ست ساعات ستصل  
اليه وتجنده.

لوسي : سيصل هذا العون متأخراً، بعد أن يكون تالبوت قد أُسر  
أو قُتل، لأنه لن يتمكن من الهرب متى شاء، وهو لا يقبل  
أن يهرب حتى ان تمكن من ذلك.

سومرست : لقد مات اذاً. الوداع أيها الشجاع تالبوت.  
لوسي : بالرغم من أن مجده وشهرته تطبق الآفاق، ستأتي مذكته  
عن يدك أنت.

(يخرجان).

## المشهد الخامس

في معسكر الانكليز أمام بوردو

(يدخل تالبوت وانه جون).

تالبوت : لقد أرسلت في طلبك يا بني لأعلمك فنون الحرب حتى  
يظل اسم تالبوت حياً مزدهراً في شخصك بعد أن يجف  
عودي وأصبح عاجزاً عن الاتيان بأية بطولة، مقعداً على  
كرسي الشيخوخة والهزال. ولكن يا لسخرية القدر! ها قد  
وصلت لنشترك في وليمة الموت وسط الأخطار المحيطة  
بنا من كل جانب. لذا يا ولدي الحبيب، أطلب منك أن  
تمتطي أنشط جيادي وأن تبحث عن طريق للهرب فوراً.  
هيا لا تتأخر.

جون : أولستُ أدعى تالبوت؟ أولستُ ولدك؟ فكيف أهرب؟ لو

كنت تحب أمي لما لَوْتُ اسمها بالعار وحسبتي لقيطاً  
جباناً، لأن من يحمل اسم تالبوت يبقى في قلب المعركة  
ولا يهرب كالرعديد.

: أهرب، واثار لموتي، اذا أنا قُلت.

: من يهرب هكذا يظل دائماً في المؤخرة.

: اذا بقينا كلانا هلكنا حتماً معاً.

: اذا دعني أبق هنا، وانج أنت بنفسك. فلأن خسارتك ستكون

هائلة يجب عليك أن تأخذ حذرك وتحاط لكل طارئ.

أنا لا يعرفني أحد، فلن يكون لموتي أي صدى، ولن يفاخر

الفرنسيون بالقضاء عليّ بل بموتك أنت. فغيابك تضيع كل

آمالنا. وهربك لن يقي على الأمجاد التي اكتسبتها بشجاعتك،

بل سأفقد أنا أيضاً شرفي، وإن لم تبدر مني بعد أية مأثرة.

سيؤكد الجميع أنك هربت لتأتي بالعظام، أما أنا اذا ازعجت

لألحاحك سيؤكدون أن هربي ناجم عن الخوف. ان آمالي

هنا كبيرة بالدفاع عن حياتنا وشرفنا، وأنا أفصل ألف مرة

أن أبذل دمي هنا ولا أظل على قيد الحياة تحت نير الذل

والهوان.

: أنت تريد اذاً دفن كل آمال والدتك هنا في ضريح واحد.

: أجل هذا أولى عندي من تلوّث شرف أمي.

: برضاي عليك، ألتمس منك أن تذهب.

: سأقاتل، ولن أهرب أمام أعدائي.

: ستصون سمعة أبيك، إن أنت ابتعدت عن هذا الميدان.

: لن أجنّي هكذا سوى العار والذلّ.

: أنت لم تكتسب بعد أي مجد، وليس لديك ما تفقده.

: يكفيني مجد اسمك. فهل عليّ أن أُلطّخه بعار هربي؟

: اوامر والدك تغسل هذه اللطخة عنك.

تالبوت

جون

تالبوت

جون

تالبوت

جون

تالبوت

جون

تالبوت

جون

تالبوت

جون

تالبوت

جون : اذا قُلتُ، أتى لك أن تشهد بأنّي أضعك، واذا أزمعنا أن نموت كلانا حتماً فعلينا أن نهرب معاً.

تالبوت : وهكذا ادع رفاقي يقاتلون بدوني ويموتون. لن أرضى أبداً أن ألوث شبيتي بهذا العار.

جون : هل تريد اذاً أن أُلطّخ شباي بهذه الدنائة؟ لم يعد بإمكانني أن أنسلخ عنك وأنت ذاتك لا تستطيع أن تشطر الى اثنين. فابق أو اذهب. افعل ما يحلو لك، وأنا أصنع ما أنت فاعل، ولا أريد أن أحيأ اذا كان أبي سيموت.

تالبوت : استأذنك اذاً يا بني العزيز، فأنت ولدت لامعاً وخلقت لتفارق الحياة في هذا النهار بالذات. تعال لنحارب سوياً ونموت جنباً الى جنب فتعاق روحانا ونغادر أرض فرنسا معاً نحو السماء دار الخلود.

(يخرجان).

## المشهد السادس

### في ساحة القتال

(تسمع موسيقى استغفار ثم مناوشات. يخلص تالبوت ابنه المحاصر).

تالبوت : يا الهي أعنا وأعنا جودنا على القتال. لقد أخلف الوصي بوعدة لي وأسلمني الى غصبة سيوف فرنسا. أين ولدي جون؟ قف، يا بني وتنفس الصعداء. لقد منحتك الحياة وأنقذتك الآن من الهلاك.

جون : أنا أقدر أنك كنت لي أباً مرتين، وأني أصبحت ابنك مرتين. لقد أوشكت أن أفقد حياتي عندما أنقذتني بسيفك المرفف

الحَدِيث. ورغم كل ما كان يحيط بنا من مخاطر، منحتني  
هكذا بيسائك حياة جديدة.

تالوت

: عندما لمع سيفك بشرارة مستمدة من بريق خوذة ولي العهد،  
تاق قلب والدك الى تأمين النصر لك، لتكون دائماً مرفوع  
الرأس عالي الجبين. حينئذٍ تتعشش شيتي بحماس شبابك  
واندفاعك الى القتال، فيتقهقر آلون أورليان وبوركون،  
وتسلم أنت من غضب فرنسا. وكذلك لقيط أورليان كاد  
يهرق دمك يا ولدي. واذا بياكورة طعناتك النجلاء تنزل  
عليه كالصواعق، وتنقض على رأسه بغتة. وأثناء تبادل الضربات  
سفكت دمه الحقيق، ثم قلت له بازدرأ : ها هو دمك  
الجنس الفاسد الخسيس قد سال بدلاً من دمي النقي النبيل  
ودم ولدي الباسل الفخور بانتسابه الى أسرة تالوت العريقة.  
وفي هذه اللحظة كدت أسدّد اليه الطعنة القاضية عندما  
وصلت النجدة وأنقذت حياته. تكلم يا حبيب والدك، ألسنتُ  
مرهقاً، يا جون؟ كيف حالك الآن؟ هل تريد مغادرة ساحة  
القتال والابتعاد عن الهلاك، الآن وقد أصبحت أهلاً للفروسية؟  
فتأّر لموتي اذا حان أجلي، ما دمت لا أجد من يعوّض  
عن عضلاتك المقتولة. ان تعريض حياتي للخطر في مركب  
غير مأمون لهو هوس غير مشكور. فاذا لم ينل مني الفرنسيون  
اليوم مأرباً سأرزح غداً تحت وقر تقدّمي في السن. لن  
يربح أحد يقتلي، وبقائي هنا لن يطيل عمري سوى يوم  
واحد. أما موتك فيقضي على أمك وعلى اسمي وعلى مجد  
انكلترا. فاذا بقيت، تغامر بكل ما لدينا وأكثر، بينما جميع  
ذلك ينجو من الهلاك اذا هربت أنت.

جون

: ان سيف أورليان لم يجرحني، بينما كلامك قد أدمى فؤادي.  
وقبل أن نمرّغ كل هذه المآثر بأحوال الخساسة، قبل أن  
نضحي بهذا المجد الباهر لانتقاذ حياة هزيلة، وقبل أن يفارق

تالبوت الشاب أباه المسن ليغتم نفسه، أتمنى أن يسقط  
الحصان الجبان الذي سيجملني ويموت. هل كذب عليّ  
أن أكون أحقر من أي فلاح فرنسي، فيقتلني الحزن والأسف.  
لا، لا. بحق الأمجاد التي اكتسبتها، إذا هربت لن استحق  
أبداً أن أدعى ابن تالبوت. فلا تحدثني أبداً عن الهرب لأنني  
لن أطيعك. فان ابن تالبوت قد صمّ على أن يموت عند  
أقدام أبيه تالبوت المقاتل الشجاع الصديد.

تالبوت : اتبع اذاً خطى والدك في هذه المغامرة اليائسة، يا ابني الحبيب،  
ان حياتك غالية عندي. فاذا شئت أن تحارب، قاتل الى  
جانب أبيك، وبعد أن تثبت للجميع جدارتنا وبسالتنا، يمكننا  
أن نموت معاً.

(يخرجان).

## المشهد السابع

### في مكان آخر من ساحة القتال

(تسمع موسيقى استغار. تجري مناقشات. يدخل تالبوت جريحاً يسانده أحد الخدم).

تالبوت : أين حياتي الثانية؟ ان حياتي أنا قد انتهت. أين تالبوت الشاب؟  
أين جون الباسل؟ أيها الموت الظافر في ظل الأسر المشين،  
ان شجاعة تالبوت الشاب تجعلني أبتسم، لأنه عندما أبصرني  
جائئاً على ركبتي من شدة الألم شعر فوق رأسي سيفه  
الذي يقطر دماً، ونظير الأسد الجائع ضاعف غضبه وطعناته  
القاتلة. لكن حالما رأى المدافع عني أنه وحيد سهر على  
نزاعي بدون أن يواصل كره وفره، إذ انتابه دوار مدوّخ،  
راح يحوم حولي بالرغم من كثافة صفوف الفرنسيين

المحيطين بي. وفي بركة الدم هذه أغرق ولدي حماسه  
الثائر، فخرّ صريع شجاعته وأقدامه ولوى عنقه كالزهرة النضرة  
المتباهية وقد لفحتها حرارة الرياح الخمسينية المحرقة.

(يدخل الجنود حاملين جثمان جون تالبوت).

الخادم (لتالبوت): يا عزيزي اللورد، ها هو ابنك الشهيد.

تالبوت : تباً لك أيها الموت القاسي الغادر، لماذا وصمتنا بطابع بطشك  
وطغيانك؟ ستخلص قريباً من نير استبدادك. فقد اتحدنا  
بروابط المجد الأبدي وشققنا بأجنحتك عنان الفضاء الأزرق  
الفيح، وستنجدو كلانا، أنا وابني، من ربكة العدم والنسيان،  
اذ ندخل عالم الخلود من بابه العسير على مر الدهور. أنت  
يا من بجراحك جابهت الموت الفظيع، كلم أباك قبل أن  
يقضي نجه. تجلّد أجرح كأس الحمام بشمم وإباء، افترض  
أنه أحد أعدائك الفرنسيين، يا ولدي المسكين. يخيل إليّ  
أن ابني يتسم ويصرخ متحدّياً : اذا كان الموت فرنسياً،  
سيموت في هذا النهار بالذات. اقتربوا أيها الرجال ومدّوه  
هنا على ذراع أبيه. لم يعد قلبي قادراً على تحمّل مثل  
هذه المأساة. وداعاً أيها الجنود. لقد حصلت في هذه اللحظة  
على ما أردت امتلاكه الآن وقد أصبحت يداي نعثاً لشباب  
ولدي الحبيب.

(يخرج).

(تسمع موسيقى. يخرج الجنود والخدم تاركين الجثمانين على الأرض.  
يدخل شارل والسون وبركون واللغيط والعذراء مع قواتها).

الضابط : لو أرسل يورك وسومرست نجدةً لكان يومنا هذا اصطيغ  
بلون الدم.

اللقيط : بغضب مهووس ارتوى سيف تالبوت الشاب القليل الخبرة  
من دماء الفرنسي.

العذراء : لقد صادفته مرة وقتلت له : أيها الشاب البتول ستغلبك عذراء.  
لكنه بازدرء مباغت أجنبي : تالبوت الشاب لم يولد ليكون  
ضحية حيزبون. قال هذا وانقضَّ على الجيش الفرنسي،  
وتركتني وشأني بفخر كأني عدوة حقيرة.

بوركون : طبعاً كان نصيبه أن يصبح فارساً نبيلاً. لكنه دُفن بين ذراعي  
أبيه الذي جرَّ عليه اليأس والشقاء.

اللقيط : تعالوا نحطّم عظامه ونقطّع أشلاءه أرباً أرباً. فقد كانت  
حياته مجد انكلترا ودهشة فرنسا كلها.

شارل : لا، لا، لا تفعلوا ذلك لأنه غير لائق بكم. لا تهينوا الأموات  
الذين غادرونا بعد أن كانوا معنا أحياء مناضلين.

(يدخل سير وليم لوسي يحيط به بعض رجاله، ويتقدمه حارس فرنسي).

لوسي : أيها الحارس الأمين، أوصلي الى خيمة ولي العهد كي أعرف  
لمن يعود فضل انتصارنا في هذا النهار الميمون.

شارل : ما غاية مهمتك في تقديم الخضوع والولاء؟  
لوسي : الخضوع، يا مولاي ولي العهد، كلمة فرنسية محضّة. اما نحن  
المحاربون الانكليز فلا نعرف لها معنى. لقد جئت لأطلع على  
عدد اسرانا لديكم والتعرف على موتانا.

شارل : هل تتكلم عن أسرى؟ نحن سجننا جميع. لكن قل لي عمّن  
تبحث؟

لوسي : عن جبار ساحات الوغى اللورد تالبوت الشجاع كونت شروز  
بري الذي ما خُلِق إلا للانتصار في الحروب، كونت واشفورد  
وواترفورد وفالانس، لورد تالبوت وكودريك وأرشفيلد، لورد  
سترانج بلاكمير، لورد فردون ألتون، لورد كرومويل وينفيلد،  
لورد فورنفال شغيلد المثلث الظفر لورد فلكون بريدج الفارس

المغوار الحاصل على رمز الجزّة الذهبية، المارشال في جيش هنري السادس ملك فرنسا.

العذراء : هذا أسلوب غريب في النعوت الخيالية. ان من يملك خمسين دولة لا يكتب بمثل هذا الأسلوب السخيف. أمّا من تجود عليه بكل هذه الألقاب والنعوت فهي هو ملقى عند أقدامنا وقد أكل لحمه الذباب.

لوسي : لقد قتل تالبوت الذي كان يعتبر وحده ضربة فرنسا، هذا النمرد البارز في مخيلتكم فقط. لو كانت حدقتا عينيّ قذيفتين لأنطلقنا لتشويه محياكم. كم أود أن أرد هؤلاء الأموات الى الحياة، كي يرتجف أهالي فرنسا من الهلع. لو بقي ظله فيما بينكم لكان أشجعكم اصطكت ركبته من الفزع. أعطوني جسديهما لأحملهما وأدفنهما كما تستحق أمجادهما.

العذراء : يخيل اليّ أن هذا الوقح هو شبح تالبوت العجوز الغبي الذي تتكلم عنه باعتزاز. هيّا خذ هاتين الجثتين التنتين، إذ لو تركناهما هنا لأفسدتا اجوانا ولوثتا الهواء الذي نتنّقه.

شارل (لوسي) : عجّل في أخذ هاتين الجثتين من هنا.

لوسي : سأنقلهما. انما من رمادهما سينشق طائر الفينيق الذي سترتجف منه كل فرنسا هلعاً.

شارل : المهم أن تخلص منهما. افعل بهما ما يحلو لك، الآن وقد اسعدنا الحظ باحتلال باريس. كل شيء أصبح يخصنا بعد مقتل الطاغية تالبوت.

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

#### قصر الملك في لندن

(يدخل الملك هنري وكلوستر واكسائر)

الملك هنري : هل قرأت رسائل البابا والأمراطور والكونت ارمانياك؟  
كلوستر : أجل يا مولاي، وهذا مفادها : إلتماس من سيادتك بتواضع  
لعقد السلم بين مملكتي فرنسا وانكلترا.

الملك هنري : ما رأيك في هذا الطلب؟

كلوستر : انا موافق يا مولاي، لأنه الوسيلة الوحيدة لحقن الدماء  
وامتياح الأمن في كلا البلدين.

الملك هنري : أجل يا عمي العزيز. لقد فكرت دائماً في ذلك. لأن استمرار  
العداء عمل بربري غير طبعي، اذ لا داعي لسفك الدماء  
بين شعبين متجاورين.

كلوستر : فوق ذلك، يا مولاي، لتوطيد هذه العلاقة ودعم الصلح الذي  
يهم شارل صاحب السلطة في فرنسا، فان هذا الأخير يعرض  
عليك الزواج من ابنته الوحيدة التي تملك بائنة ضخمة وثمينة.

الملك هنري : انت تقترح عليّ الزواج يا عمي! لكنني لا أزال فتياً ودراستي وكسبي أنسب لي الآن من مناجاة أية حبيبة. على كل حال ليدخل السفراء، فيتلقّى كل منهم الجواب الذي يرضيه، ولن أرفض أي فخر يضاف الى أمجاد بلادتي. فعلى بركة الله.  
(يدخل جبر وسفيران ثم ونشستر بحلّة كردهال).

اكستر : ما هذا؟ اللورد ونشستر جالس الى جانب الكردهال؟ هل نرى تحقيقي نبوءة هنري الخامس حين قال : اذا أصبح هذا الرجل يوماً كردهالاً فان قبعته ستعادل تاج الملك.  
الملك هنري : سادتي السفراء، لقد تفحصنا طلبات كل منكم وناقشناها ووجدنا أن عرضكم صالح بقدر ما هو معقول. لذلك قررت أن أصدر شروط الصلح على أساس الصداقة، ولن أتأخر في ارسالها مع اللورد ونشستر الى فرنسا.  
كلوستر (لأحد السفراء) : اما بما يخص اقتراح سيدك، فقد أفهمتم سموه مفصلاً ما يقتضي عمله، حتى أنه أعجب بفضائل العروس وجمالها وما ستحملة اليه من بائنة فخمة، وبات ينوي أن يجعل منها ملكة انكلترا.

الملك هنري (للسفير) : وبرهاناً على رضاي، قدّم له هذه الجوهرة كعربون مودتي (كلوستر) وبناءً على ذلك شكّل موكب الحرس أيها اللورد حاملي المملكة لترافق السفير بأمان الى مرفأ دوفر. وهناك يركب السفينة لترجعه الى بلاده.

(يخرج الملك هنري وحاشيته، ثم كلوستر واكستر والسفراء).

ونشستر : قف أيها الحبر الجليل. ستال قبل رحيلك مبلغ المال الذي وعدتك به لقاء الشعائر الخطيرة التي خلعتها عليّ.

الحبر : انا لا أنتظر انعام جلالتك.

ونشستر (على حدة) : والآن أرجو أن لا يقدم ونشستر خضوعه، وأن لا

يستلم الى نبيل أكثر منه شموخاً. يا همفري كلوستر  
سترى بالرغم من عراقه نبيك وسعة نفوذك أن الأسقف  
لن يدعك تسلط عليه. سأجعلك تنحني أمامي وتجنو على  
ركبتك، أو أقلب هذه البلاد بالخلافات والدسائس رأساً  
على عقب.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

في فرنسا، وسط سهل منطقة أنجو

(يدخل شارل وبوركون وآنون والعذراء والفرق الراجعة).

شارل : هذه الأنباء يا سادة، يجب أن ترفع معنوياتنا المنهارة. يقال  
أن الباريسيين الأقوياء قد ثاروا وعادوا الى حزب فرنسا  
الحربي.  
آنون : إزحف على باريس، يا شارل فرنسا بصفتك الملكية ولا  
تدغ جيشك يستولي عليه الجمود.  
العذراء : ليكن السلام حليفك، اذا عادوا الينا. وإلا ليحلّ الدمار في  
قصورهم.

(يدخل أحد الكشافين).

الكشاف : تمنى النجاح لقائدنا البطل الهام والازدهار لأنصاره  
الشجعان.  
شارل : أسألك أن تقول لي ما هي توجيهات كشافينا؟  
الكشاف : الجيش الانكليزي مقسوم الى شطرين، وقد جُمع الآن في  
وحدة متلاحمة لشنّ هجوم كاسح عليكم في الحال.

- شارل : هذا تنبيه مفاجئ، يا سادتي. لكننا على أتم الأبهة لمواجهة كل طارئ.
- بوركون : انا متكل على غياب ظلّ تالبوت عن هذا المكان. فالآن وقد رحل عن هذا العالم، يا مولاي، لا أرى من دافع للخوف.
- العذراء : من كل الاحساسات الخبيثة، الخوف هو أبشعها. أصدر أوامرك، للجيش كي يتقدم ويحرز النصر الذي أصبح في متناول يدك يا شارل، مهما أرغى وأزبد هنري، ومهما أسف الكون بأجمعه لهذه الحقيقة الأكيدة.
- شارل : إلى الأمام إذاً، يا سادة، وليكن النصر حليف فرنسا العزيزة.
- (يخرجون).

## المشهد الثالث

### أمام مدينة أنجي

- (تسمع موسيقى انذار تليها حركة جنود، وتدخل العذراء).
- العذراء : الوصي يتنصر والفرنسيون يهربون. فهلّم بنا إلى نجدتهم بعضا سحرية وتعاويز فعالة. وأنت أينها الأرواح المختارة تبهيني وتشيرين إلى الأمور التي ستحدث قريباً. (يسمع صف رعد) أينها الخدام الأتماء، وأنصار ملك الشمال القادر، إظهروا لي وساعدوني في هجومي.
- (يدخل بعض الشياطين).

لدى ظهوركم هذا العاجل، أعترف بمبادرتكم المألوفة. والآن أينها الأرواح المأنوسة التي الجأ إليها من بين جميع القوات الكامنة في أرجاء العالم الأسفل، ساعدوني هذه المرة أيضاً،

وأمنوا لي انتصار فرنسا. (يتجول الشياطين صامتين). لا تتركوني حائرة بصمتكم الطويل. لقد تعودتم أن تتغذوا بدمائي، وأنا مستعدة لأن أقطع أحد أعضائي وأعطيكم اياه مقابل خدمات جديدة، بشرط أن تتنازلوا وتساعدوني مرة أخرى. (يحنون رؤوسهم). لا أمل بالنجدة. سأجعل جسمي مكافأة لكم اذا ليّنتم طلبي. (يهزون رؤوسهم). ماذا تعنون؟ هل أن تضحيتي بجسمي وبدمي لا تستحق الحصول على مساعدتكم المعتادة؟ اذا خذوا نفسي، أجل، وجسمي أيضاً وكل ما أملك لأن هذا أفضل من أن تنتصر انكلترا على فرنسا. (ينبون). ها هم يتركونني وحيدة. فهل حان اذاً زمن سقوط فرنسا وفقدانها كل عزا وسعادتها، ودرجة رأسها في أحضان انكلترا؟ ان تضرعائي السابقة أضحت هزيلة فقوي الجحيم عليها ولم أجرو على منازلته. والآن أرى مجد فرنسا ممرغاً في الوحل. (تخرج).

(تسمع موسيقى استغار. يدخل الفرنسيون والانكليز وهم يتقاتلون والعذراء ويورك ينمساكان بالأيدي فتؤثر العذراء ويهرب الفرنسيون).

يورك : يا ابنة فرنسا، اعتقد بأنك وقعت أخيراً في قبضتي. والآن أنقذي نفسك بعصاك السحرية، وحاولي أن تتردّي مني حريتك. هذه كبة نادرة لا تليق بدهاء الشياطين. انظروا الى هذه المشعوذة كيف تقطّب حاجبيها أنها ساحرة تريد أن تمسخني على هواها.

العذراء : لا سبيل الى مسخك وجعلك أقبح مما أنت عليه.  
يورك : ان ولي العهد شارل شاب لطيف وليس من أحد غيره معجب ببريق عينيك.

العذراء : لعن الله شارل، ولعنك أنت أيضاً. أتمنى لكما أن تطالكما أيدي الشر المدمرة وأنتما في سريريكما.

يورك : يا لك من ساحرة بغيضة ومجدفة سليطة اللسان تستحقين قطع لسانك.

العذراء : دعني أصب عليك جام غضبي ولعتي.  
يورك : صيها على فسقك، يا فاجرة، عندما تحترقين قرياً فوق  
كومة الحطب المتأججة جمرأ.

(يخرجون).

(سمع موسيقى. يدخل سوفولك مسكاً يد السيدة مرغريت).

سوفولك : أيا كنت، تظلين سحيتي (بفتحة). ما أروع جمالك  
الجذاب. لا تخشي أمراً ولا تهربي. فلن أمسك بأذى. دعيني  
أقبل هذه الأنامل الناعمة بخشوع وهدوء، وأتركيني أضع  
يدي على خصرك النحيل. (يرسل إليها قلة على رؤوس أصابع  
يده، ويطلق خصرها بذراعه). من أنت؟ أنا معجب جداً بشخصك  
الكريم.

مرغريت : اسمي مرغريت. وأنا ابنة ملك نابولي.

سوفولك : أنا كنت سوفولك. لا تخافي، يا آية الآيات. لن أدعك  
تفلتين من يدي. وكما تحتضن البجعة صغارها تحت جناحيها  
الداخين هكذا أود أن أحتضنك أنا، أيتها الحساء الفاضلة.  
لكن إذا كان هذا الحبس يغيظك، سأطلق حريتك وأعتريك  
صديقتي العزيزة (تدير ظهرها كأنها تريد الذهاب). أرجوك أن  
تبقى هنا، لأنني لا أتحمل غيابك. ان يدي تود انقاذك. اما  
قلبي فيمانع للاحتفاظ بك. ان الشمس التي ترسل أشعتها  
على صفحة ماء ينبوع الصافي كالبور ليست سوى انعكاس  
لمعان عينيك. هكذا يترأى بهاؤك لناظري، وأتوق الى  
مغازلتك. لكن لساني لا يطاوعني. أريد أن أصف بهاء  
جمالك، وسأطلب قلماً وحبراً لكي أسطر افكاري على  
الورق. تباً لصمتي! أولاً أحسن الكلام؟ أولم اصبح في

الحقيقة اسير لحظتك الفتان، أنت، يا أميرة الحسن التي يربط  
الحياء لسانك وتسحر انظارك جوارح قلبي وأصدق مشاعري؟  
مرغريت : قل لي يا كونت سوفولك، إن كان هذا اسمك، ما هي  
الفدية التي يتحتم علي دفعها لكي أغادر هذا المكان بصفتي  
سجيتك؟

سوفولك (على حدة) : كيف يمكنني أن أذلّ صدّها وأن أبين لها عمق حبي  
وأعرف إن كانت هي أيضاً تهواني؟  
مرغريت : لماذا لا تجيبي؟ ما هي الجزية التي يجب عليّ أن أدفعها  
لك؟.

سوفولك (على حدة) : هي جميلة، ولا بدّ لي من مغاللتها، وهي امرأة ولا  
بدّ لي من امتلاكها.

مرغريت : أتريد أن تقبل منّي الفدية أم لا؟  
سوفولك (على حدة) : ما أغباني! عليّ أن أتذكر أن لي زوجة. فكيف تصبح  
مرغريت عشيقتي؟

مرغريت : الأولى بي أن أدعه وشأنه، لأنه لا يريد أن يفهم ما أسأله.  
سوفولك : كلامها يفسد وصولي اليها ويفرقتني في بحر الشقاء والأشواق.  
مرغريت : هو يتكلم بدون ادراك، ويدو لي كأنه مهووس.  
سوفولك : مع ذلك يمكنني أن أتساهل معها قليلاً.  
مرغريت : أفضل أن تجيب عليّ سؤالي.

سوفولك (على حدة) : لا بد لي من الحصول على هذه السيدة المدعوة  
مرغريت. لكن لمن؟ أجل، لمليكي. (بصوت مرتفع). خطّتي  
فاشلة.

مرغريت : يتحدث عن خطة. فلا بد من أن يكون متأمرأ.  
سوفولك (على حدة) : لكن هواي قد يرتضي ذلك ويعود السلام الى  
المملكتين انما هناك عقبة كأداء، لأن أباهما، وإن يكن ملك  
نابولي ودوق أنجو ودوق ماين، هو فقير وعنيد ولا يتنازل  
الى هذا التحالف.

- مرغريت : أنصتْ الي أيها الضابط. هل لك أذنان سامعتان؟  
 سوفولك (على حدة) : بالرغم من قلة الاكثرات أرى أن هنري لا يزال  
 شاباً، ولا بد له من الازعان. (بصوت مرتفع) لديّ سرّ أود  
 أن أبوح لك به، يا سيدتي.  
 مرغريت (على حدة) : لا بأس عليّ أن أكون أسيرته. يظهر عليه أنه فارس  
 لبق ظريف، ولن يقلل من احترامي على كل حال.  
 سوفولك : ارجوك أن تنازلي وتصغي الي ما سأقوله لك.  
 مرغريت (على حدة) : هل سينقذني الفرنسيون؟ في هذه الحالة لا حاجة الي  
 الامتنجاد بشهامته.  
 سوفولك : سيدتي العزيزة، أرجوك أن تعبريني سمعك في قضية...  
 مرغريت (على حدة) : لا بأس، كثيرات غيري كنّ أسيرات نظيري.  
 سوفولك : بماذا تشتمين هكذا، يا سيدتي؟  
 مرغريت : سامحني على هذا الالتباس.  
 سوفولك : قللي لي، أيتها الأميرة اللطيفة : ألا تجددين أسرك لديّ مسلياً  
 ومفرحاً، اذا قبلت أن تصبحي ملكة؟  
 مرغريت : أعتقد بأن الملكة في الأسر هي أنعم وأشقى من أي عبد  
 في أدلّ عبودية.. ألا أعلم أن الأمراء يمتازون بحريتهم أولاً.  
 سوفولك : ستكونين حرة، اذا كان ملك انكلترا، البلد السعيد، حرّاً.  
 مرغريت : ماذا تفيدني حريته؟  
 سوفولك : أتعهد لك بأن أجعل منك زوجة هنري، وأن أضع صولجاناً  
 من الذهب في يدك وتاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة على  
 رأسك، اذا رضيت بأن تصبحي...  
 مرغريت : أصبح ماذا؟  
 سوفولك : عشيقتي.  
 مرغريت : أنا لا أستحق أن أكون زوجة هنري.  
 سوفولك : لا، يا سيدتي الفاتنة، انا الذي لا أستحق أن أنزل بسيدة

رائعة مثلك لأجعل منها زوجته بدون أن ينوبني نصيب من  
هذا الاختيار. فما قولك يا مولاتي؟ هل توافقين؟  
مرغريت : اذا قبل أبي بذلك، فأنا لا مانع لدي.  
سوفولك : اذاً علينا أن نرسل ضباطنا وأعلامنا أمامنا. ثم عند أسوار  
قصر والدك نطلب مفاوضته بواسطة مندوبينا.

(تتقدم الفرق الانكليزية).

(تسمع موسيقى تشريفية، ويظهر رينيه على الحاجز).

سوفولك : اسمع، يا رينيه. ان ابنتك أسيرة.  
رينيه : اسيرة من؟  
سوفولك : أسيرتي انا.  
رينيه : وما العمل يا سوفولك؟ انا جندي، ولا يسعني البكاء ولا  
التحمل.

سوفولك : هناك حل، يا مولاي، إقبل للاحتفاظ بعظمتك، بأن تزوج  
الملك ابنتك التي أقنعته ورضيت به بصعوبة، فيؤمن هذا  
الأسر الحلو حرية ملكية لابنتك.

رينيه : هل تتكلم جدياً، يا سوفولك؟  
سوفولك : الحساء مرغريت تعلم بأن سوفولك لا يحايي ولا يراوغ  
ولا يكذب.

رينيه : نظراً الى شرفك الرفيع، أصدقك وأسعى لتلبية طلبك النبيل.  
سوفولك : وأنا أنتظر مجيئك.

(رينيه يغادر الحاجز).

(تسمع موسيقى، ويظهر رينيه عند أسفل السور).

رينيه : أهلاً وسهلاً ومرحباً بك في ديارنا، أيها الكونت الشجاع.  
يمكنك أن تصرف في مقاطعة أنجو كما يحلو لسموك.  
سوفولك : شكراً يا رينيه، يا أيها الأب السعيد بهذه الابنة الجميلة

- التي خلقت لتكون شريكة حياة ملك. ما هو ردك على طلبي؟  
 رينه : بما أنك تنازلت الى مغازلة ابنتي لتجعل منها أميرة زوجة ملك هو سيد خطير، أرجو أن تدعني أحكم مقاطعتي أنجو وماين، بعيداً عن كل الضغوط وكل ولايات الحرب. وفي هذه الحالة تصبح ابنتي قرينة هنري، اذا شاء هو ذلك.
- سوفولك : ان فديتي هي أن أردّ اليها حريتها. اما المقاطعتان المذكورتان فاني أتعهد لك بأن تحتفظ بهما بكل أمان واطمئنان.
- رينه : اذا باسم جلالة الملك هنري، وبصفتك مثلاً لهذا المعامل الكريم، أرجوك أن تقبل يد ابنتي لتكون زوجته الوفية.
- سوفولك : يا رينه، أمير فرنسا، أقدم لك كل احترامي، وأنا أخدم مصالح مليكي (على حدة) على كل حال يسرني أن أقوم بهذه المهمة بكل فخر واعتزاز. (بصوت عالٍ) انا عائد اذا الى انكلترا بهذا النبأ السار، لأستعجل هذا الحدث السعيد. فوداعاً يا رينه. ضع هذه الجوهرة النادرة في مكان امين داخل قصرك الذهبي الذي يليق بها.
- رينه : أعانقك كما أعانق الملك هنري، لو كان حاضراً ها هنا.
- مرغريت : وداعاً، يا مولاي، أقدم لك أطيب تمنياتي وثنائي واحترامي.
- (ينعد).
- سوفولك : وداعاً يا سيدتي العزيزة. اسمعي، يا مرغريت. ألا توجّهين كلمة مجاملة لمليكي؟
- مرغريت : أحمل اليه من قلبي أجمل تمنيات تليق بصبية عذراء تضع نفسها في خدمته.
- سوفولك : كلامك اللائق المتواضع في محله. انما، يا سيدتي، اسمحي لي أن أسألك : أليس لديك من بادرة حب نحو جلالته؟
- مرغريت : هذه قبلة لك، لأنني لا أجسر أن أوجّه اليه بادرة زهيدة كهذه.
- (يخرج رينه وتبعه مرغريت).

سوفولك : لماذا هذه ليست لي؟ قف يا سوفولك. عليك أن لا تضع  
في هذه المتاع، لأن مسوخواً قبيحة تختبئ فيها وتضمر  
الشر والخيانة. عليّ أن أقنع هنري بما أصفه له من جمالها  
ومزاياها الفريدة. تذكر فضائل مرغريت السامية وبهاء طلعتها  
ومواهبها وما تتقنه من الفنون الجميلة، وتخيل صورتها الفاتنة  
المعكوسة على صفحة الماء، حتى اذا مثلت، بين يدي هنري،  
تتمكن من استرعاء كل انتباهه وحصر كل أفكاره فيها.  
(يخرج)

## المشهد الرابع

في معسكر دوق يورك ضمن مقاطعة انجو

(يدخل يورك وورويك وغيرهما).

يورك : التي بهذه الساحرة المشعوذة، المحكوم عليها بالموت حرقاً.  
(تدخل العذراء يحيط بها الحرس والى جانبها أحد الرعاة).

الراعي : آه! يا جان، هذه هي الضربة القاضية التي تصيب قلب والدك.  
لقد بحثت عنك في كل البلاد، وعندما حظيت بشخصك  
الحبيب تحتم عليّ أن أشاهد موتك الأليم. آه! يا ابنتي  
العزيرة جان، سأموت معك.

العذراء : أيها المنكود الحظ، انا من عائلة نبيلة، وأنت لست أي  
ولا قريبي.

الراعي : كفى، كفى. لا تتكذّر، يا مولاي. كل الناس يعرفون انها  
ابنتي، وامها التي لا تزال على قيد الحياة تؤكد ذلك أيضاً.  
ورويك (للعذراء) : يا جاحدة، تريدان أن تنكري أهلك!

يورك : هذا دليل على خساسة حياتها المجرمة المنحطة. ان موتها  
أولى عقاب على جريرتها.

الراعي : تبا لك، يا جان! أنت هكذا عبيدة؟ الله يعلم أنك من  
لحمي ودمي وقد أجريت من عيني سيلاً من الدموع. أسألك  
أن لا تنكريني، يا عزيزتي جان.

العذراء : أليك عني، أيها الفلاح الدنيء. أنت تنتسب إليّ، أيها الرجل،  
لنحطّ من قدر امرتي وعراقة محتي.

الراعي : لا شك في اني شرفّ رجل الدين الذي عقد زفافي الى  
أمك. اركعي وتلقّي بركتي، يا ابنتي الكريمة. الا تريدان  
الازعان للواقع؟ فاذا ملعونة ساعة ولادتك. ليت اللبن الذي  
أرضعتك اياه امك ينقلب الى سمّ قاتل. وحين ترعين خرافي  
في الحقول، كم أتمنى أن يفترسك ذئب جائع. أنت تنكرين  
والدك، أيتها الفتاة الجاحدة. احرقوها، احرقوها. فالتار أولى  
بها أن تلتهمها وتريحني من عقوقها.

(يخرج).

يورك : حذوها. كفاها أن تعيش في الأرض فساداً.

العذراء : دعني أؤكد لك أولاً أنني، أنا التي ترذلها، لست ابنة راعٍ.  
أفاق، بل أنا سليلة ملوك، وبتول فاضلة مباركة، اختارتها  
العليا، بناءً على وحي سماوي، لصنع معجزة خارقة. لا  
علاقة مطلقاً بيني وبين الأرواح الشريرة. انما أنتم الذين  
ارتكبتم الف إثم، لأنكم تتمتعون بما يستحقه غيركم من  
النعيم، تظنون أن اجتراح العجائب لا يمكن أن يتم إلا على  
أيدي الشياطين. أنتم مخطئون لأن جان دارك لا تزال عذراء  
منذ طفولتها وعفيفة نقية حتى في أفكارها، ودم بتوليتها  
الطاهر الذي تسفكونه سيطلب بالانتقام منكم عند أبواب  
السماء.

يورك : أجل، أجل... خذوها الى الاعدام حرقاً.  
ورويك (للجلادين) : اسمعوا يا سادة، لا تنذروا بكونها عذراء كي تقللوا  
لها رزم الحطب. ضعوا الكمية اللازمة وادلقوا فوقها براميل  
القطران وعلى الخشبة التي تربطونها اليها بغية تقصير مدة  
عذابها.

العذراء : لا سبيل الى تلين قلوبكم القاسية، كالصخر الجلمود. فان  
جان تكشف لك عن دهائك الذي يؤمن لك الامتيازات  
القانونية. انا حبلى، أيها القتلة القساة. فاذا دفعتم بي الى  
مينة عنيفة، لا تقتلوا على الأقل الجنين الذي أحمله في  
أحشائي.

يورك : معاذ الله. العذراء حبلى!  
ورويك : هذه أكبر معجزة حدثت الى الآن. انظروا الى أي درك  
انحدرت بكم حماقتكم وتبحركم بالفضيلة.  
يورك : لقد فاجأها ولي العهد بكلام رقيق، فظنت أن في ذلك  
ملاذها ونجاتها.

ورويك : مهما كان الحال، اقضوا على أعدائكم لأننا لا نريد أن  
نمنح الحياة للقطاء، لا سيما عندما يكون شارل علة وجودهم.  
العذراء : أنتم على خطأ فاضح. ان جيني ليس من صلبه، ما دمت  
قد عشقت آلنسون.

يورك : آلنسون، هذا الداهية اللعين؟ سموت جنيك وان كان يملك  
الف حياة.

العذراء : اسمحوا لي بأن أبتين لكم سهوي. ليس شارل ولا الدوق  
الذي سميت منذ لحظة، بل هو ربنه ملك نابولي من أغواني  
وظفر بهيامي.

ورويك : رجل متزوج! هذا إثم لا يغتفر.  
يورك : ويحها من عاهرة! في الحقيقة، أظنها تحار بمن تتهم من  
الرجال العديدين في حياتها المشينة.

ورويك : هذا برهان قاطع على تهتكها واستهتارها في توزيع عواطفها.  
يورك : مع ذلك، أنت تدّعين، أيتها الفاجرة، أنك عذراء. ان اقولك  
تدينك، أنت وجنيك. لا تتوسّلي، لأن كل التماساتك باطلة.  
العذراء : هيا اذًا، انقلوني من هنا. فليس لديكم مني سوى اللعنات.  
أتمنى أن لا ترسل الشمس أشعتها الى البلاد التي تأويكم،  
وأرجو أن يظل الليل الكئيب والموت الزؤام مخيمين على  
كل ما يحيط بكم حتى يجثم على صدوركم كابوس اليأس  
والشقاء، وتطوّق أعناقكم أغلال الذل والهوان وتدفعكم الى  
شنق أنفسكم.

(تخرج بسوقها الحراس أمامهم).

يورك : سيحترق جسمك وتحولك النار الى رماد، لأنك من زبانية  
الجحيم.

(يدخل ونشتر والكردنال بوفور وحاشيته).

ونشتر : أحبك، أيها اللورد الوصي، وأنا أسلمك رسائل الملك. أعلم  
يا مولاي، ان الدول الصديقة قد أحزنتها هذه المؤامرة الدنيئة،  
لذا التمسّت بحرارة أن يقام سلم دائم يشمل شعبنا وفرنسا  
الطامعة وها هو ولي العهد وحاشيته قادمون ليفاوضوك في  
بعض البنود.

يورك : هل أفضت جميع جهودنا الى هذه النتيجة؟ بعد التضحية  
بعدد كبير من النواب والضباط والوجهاء والجنود الذين سقطوا  
صرعى بسبب هذا النزاع الذين لم يضنّوا بأنفسهم في سبيل  
خير وطنهم للوصول الى عقد صلح نسائي؟ ها قد خسرنا  
عن طريق الخيانة والخداع والذلة، أكثر مدنا التي فصحها  
اجدادنا البواسل! ورويك، يا ورويك، انا أتوقع بأنم فقدان  
مملكة فرنسا برمتها.

ورويك : صبراً، يا يورك. اذا عقدنا صلحاً، سيكون ذلك بأقصى شروط  
تجعل الفرنسيين لا يربحون سوى القليل القليل.

(بدخل شارل وحاشيته وآلسون واللقيط وربييه وغيرهم).

شارل : يا لوردات انكلترا، بما أن الاتفاق تمّ على اعلان الهدنة  
في فرنسا، جئنا نطّلع منك على شروط المعاهدة.  
يورك : تكلم، يا ونشستر، لأن الغضب المتفاقم الذي يثور في  
صدري، لدى رؤية هؤلاء الأعداء، يجعل صوتي يرتجف  
ويغصّ ثم يختنق في حنجرتي.

ونشستر : يا شارل، وأنتم جميعاً، هذا ما تقرر : بما أن الملك هنري  
يوافق بداعي الشفقة والرحمة على انقاذ البلاد من حرب  
مدمرة وعلى جعلكم تنقّسون الصعداء في سلم مشمر،  
ستصبحون اتباع عرشه المخلصين. وأنت يا شارل، في هذه  
الحالة سترعن للواقع وترضى بأن تكون نائب الملك وخاضعاً  
لأوامره، مع أنك تتمتع بالجلوس على العرش.

آلسون : هل يتحتم عليه أن يكون ظلّ نفسه، وأن يكلّل رأسه بتاج،  
لا يؤمن له من السلطة إلا امتيازات ابسط الرعايا؟ ان هذا  
العرض سخيف وغير معقول ولا مقبول.

شارل : من البديهي أنني أملك الآن على أكثر من نصف الأراضي  
الفرنسية، واني مكرّم ومعتبر كملك شرعي. فهل يتحتم  
عليّ أن أتنازل عن سلطتي المطلقة لكي استحصل على القسم  
الآخر، وأحكم ما تبقى من المناطق بصفة نائب الملك؟  
كلا، يا مولاي السفير، أنا أفضل أن أحتفظ بما لديّ وأن  
لا أفقد امكانية استرداد سائر الأراضي، وأنا اطلب المزيد.

يورك : يا شارل الثرثار، لقد تدخّلت بوسائل سرية للحصول على  
السلم. والآن وقد سوّيت الأمور بالحسنى تذرّع بحجج  
واهية توسعية. إقبل المنصب الذي تلمسه كمّة وجود بها

عليك مليكنا لا كحقّ تطالب أنت به. وإلا سنشنّ عليك  
حرباً ضروساً لا تنتهي.

رينيه : أنتم تصوّرون على مناقشة بنود هذه المعاهدة التي اذا ضاعت،  
أراهن على عشرة مقابل واحد، اننا لن نجد بديلاً لفرصة  
ملائمة مثلها.

آلسون (شارل بصوت خافت) : بالصراحة، من واجبيكم أن تحافظوا على سلامة  
رعاياكم، وتحموهم من المجزرة الرهيبة والابادة الشرسة التي  
يتعرضون لها من جرّاء متابعة هذه المعارك. إقبل اذاً هذه  
الهدنة، على أن تنقضيها متى شئت.

ورويك : ماذا تقول، يا شارل؟ ألا تزال شروطي معمولاً بها؟  
شارل : أجل، بهذا الاحتياط الوحيد، يمكنك أن تقلع عن كل طمع  
بالمدين التي تضمّ الحاميات.

يورك : أقسم لك بشرفك كفارس مغوار بأنك ستظل وفيّاً لجلالة  
الملك، وأنا واثق بأنك لن تعصى، ولن تنمرّد على تاج  
انكلترا، لا أنت ولا أنصارك الأتماء. (شارل ورجاله ينظّمون  
بالرضا) والآل سرّح حاشيتك اذا شئت، واطوِ اعلامك وأوقف  
قرع طبولك، لنبدأ منذ هذه اللحظة عهد سلام ووثام بيننا.  
(يخرجون).

## المشهد الخامس

في لندن، داخل القصر الملكي

(يدخل الملك هنري وهو يتحدث الى سوفولك ثم يدخل كلوسنر واكسائر).

الملك هنري : أيها الكونت النبيل، ان وصفك الرائع للحسناء مرغريت قد  
أدهشني، وفضائلها التي تعزّز مفاتها الخارجية، قد ولدت

في قرارة نفسي أشواق الحب العميق. ونظير عاصفة عيفة  
هَبَّ الهوى واجتاح كياني كأنه سفينة تتقاذفها الأمواج  
وتتلاعب بها كما لو كانت تجتذبها تارة الى أعماق اليم  
تريد إغراقها وطوراً تدفعها الى شاطئ السلامة لانقاذها. فهل  
يطول بي المدى كي أتمتع بأحلى ملذات الغرام؟

سوفولك : هذه القصة السطحية، يا مولاي، ليست سوى مقدمة مديح  
تستحقه، لأن مواهب هذه الصبية النادرة، لو كانت لي  
المقدرة، لوصفها على حقيقتها، لملأت المجلدات الضخمة  
في تعداد مزاياها الحميدة وخصالها الكريمة، لأنها تأخذ  
فعلاً بمجامع قلوب أغلظ الرجال، فكيف بفؤادك المرفه  
الحس. هناك ما هو أهم، إذ فوق ما هي عليه من بهاء  
وسناء، وما تتحلّى به من صفات ممنازة لا تضم حنايا ضلوعها  
الا نفساً متواضعة تنوي الخضوع لك وتتمنى دوام العز  
والسودد لعرشك. وهذا دليل قاطع على أن عفتها وشائنها  
ستكون دوماً عند حسن ظنك، يا ملكي المفدى هنري،  
كزوج محبوب مرهوب.

الملك هنري : وأنا لن أطلب منها أكثر من هذا. فيا أيها اللورد حامي  
المملكة أرجوك أن ترضى بأن تكون مرغريت ملكة انكلترا.

كلوستر : هكذا أكون قد قبلت بالشر المستطير. أنت تعرف، يا صاحب  
السمو، أنك خطيب فتاة أخرى رفيعة الشأن. فكيف تتصل  
من اتفاقك السابق بدون أن تسيء الى شرف تعهداتك؟

سوفولك : نظير حاكم يملص من قسم غير قانوني، أو نظير رجل  
قد تعهد بتجربة قواه في مغامرة لا يتسنى له الفوز فيها،  
فينسحب في الوقت المناسب قبل أن يفتضح أمره وينكشف  
عجزه، فيغتم نفسه بدون أن يتعرض للخجل والاهانة.

كلوستر : أرجوك أن تخبرني المزيد عن مرغريت هذه. فوالدها ليس  
سوى كونت مهما ادعى من ألقاب رنانة فارغة.

سوفولك : لكن أباه، أيها اللورد الكريم، هو ملك نابولي الشهير في إيطاليا، ومثل هذا المقام الرفيع في فرنسا، توطد محالفته السلام وتمكّن الفرنسيين من مواصلة مناصبتنا العداء.

كلوستر : هكذا هو حال الكونت ارمانيك، لأنه نسيب مقرّب الى شارل.

اكستر : من جهة ثانية، تؤمّن ثروته بائة ضخمة، بينما ربيبه يميل بطبعه الى الأخذ أكثر من العطاء.

سوفولك : بخصوص البائة، يا سيدي، أرجوك أن لا تحطّ من كرامة مولاك الملك ولا تضعه في مثل هذا المستوى من الخساسة والفقر، الى درجة أن يفضّل مصلحته على عواطف قلبه، والمادة على الحب. إن هنري قادر على اغناء زوجته الملكة، وليس بحاجة الى أموال قريبته لبضاعف ثراءه. كم من الفلاحين البؤساء يحاولون أن يساوموا على ثروات نسائهم كما يساومون على ثمن بقرة، أو نعجة أو فرس. فالزواج اسمي من أن يتم على يد سمار. هي ليست بالمرأة التي نتمناها نحن، بل شريكة الحياة التي يختارها قواد جلالة الملك والرفيقة الحبيبة التي يهاوها ويقودها الى مضجع الزوجية. وبما أن جلالته يفضل مرغريت، فهذه حجة أولى لكي تكون موضوع تحييدنا نحن أيضاً. لأن الزواج القسري ليس سوى جحيم لمدى العمر تتلاحق فيه الخلافات والمشاحنات والدسائس. بينما زواج الحب والرضى يؤدّي الى التفاهم والسعادة، وهو صورة مصغرة للسلام السماوي الدائم. وبالنسبة الى هنري كملك أتى له أن يجد نصيباً أنسب من الصبية مرغريت ابنة ملك نابولي. فجمالها لا يضاهيه حسن، وعراقه نسبها لا توازيه أية أسرة بالكرامة والرفعة. ثم أن شجاعته وخصالها تميّزها عن جميع نساء الأرض، ما عدا كونها متحدرة من سلالة ملكية فاضلة.

ان هنري ابن فاتح مؤهل لإنجاب غيره من الفاتحين. لا سيما اذا اقترن، بدافع الحب، بسيدة تحاكيه نبلاً كالحساء مرغريت. أرجوك اذاً أن تقبل يا مولاي بعقد هذا الزفاف الميمون الذي يجعل من مرغريت ملكة فريدة عصرها لا سبيل الى أية فتاة أخرى أن تكون لها بديلة.

الملك هنري : لست أدري إن كنت قد تأثرت بوصفك الرائع يا لورد سوفولك، أو بدافع شبابي المتحمس الذي لم يبلغ بعد درجة الهيام المستعر بحرارة الصباية والحنين، إلا أنني واثق بأن خفقان قلبي يزداد سرعة وأشواقى المليئة بالأمل والخشية تتجاذبن وتضاعف اضطراب أفكارى. أرجوك أن تعجل وتمخر عباب البحر الى فرنسا، يا مولاي، وان ترتب الأمور بكل الوسائل لجعل السيدة مرغريت ترضى بالمجيء إليّ على متن أول سفينة قادمة الى انكلترا لتتوج ملكة وفتة مباركة وتجلس الى جانبي على العرش. ولتغطية نفقات هذا الحدث الميمون يمكنك أن تفرض على شعبي ضريبة خاصة. أسألك أن تسرع في الرحيل، لأنني الى حين عودتك سأظل فريسة الهواجس والقلق. (لكلوسنر) وأنت أيها العم الحبيب، اطرد عنك فكرة الرفض. واذا حكمت عليّ بحسب ما كنت أنت عليه، لا بحسب حالتك الحاضرة، أنا واثق بأنك ستعذرني على اصراري المبالغ فيه. وبناء على رغبتي، سأنسحب الى خلوة أكون فيها بعيداً عن كل صحبة، كي أتأمل في هذه القضية واصبر اشواقى المستعجلة.

(يخرج).

كلوسنر : أجل، اشواقه التي أخشى أن تعذبه وترافقه مدى العمر.

(يخرج كلوسنر واكتاتر).

سوفولك : هكذا تغلب رأبي على رغبة الجميع. وهكذا يتوق العاشق  
المتيم الى الفوز بالحب آملاً أن يكون هذا الحب لخير  
وهناؤه. ها قد أصبحت مرغريت ملكة، ستدير الملك كما  
يحلوا لها، وأنا سأدير مرغريت على هواي، وبالتالي ادير  
الملك والمملكة معاً.

( تمت )

# هنري السائوسي

القسم الثاني

## أشخاص المسرحية

الملك هنري السادس.

همفري دوق كلوستر : عمّه.

الكردينال بوفور : أسقف ونشستر، عم والد الملك.

ريشار بلانتاجينه : دوق يورك.

ادوارد {  
ريشار { ولداه

دوق سومرست  
دوق سوفولك  
دوق بوكينجهام  
لورد ساي  
لورد كليفورد  
كليفورد الشاب  
من أنصار الملك {

كونت سالزبري  
كونت وزويك.  
من أتباع يورك {

لورد سكايل : حاكم البرج

سير همفري ستافورد : أخوه

سير جون ستانلي

فوكس

جاك كاد : مشاغب

جورج  
جون  
ديك  
ميشال  
أتباعه

سميث : الحائك

إسكندر إيدن : وجيه من كُنت.

وجيهان : سجينان لدى سوفولك.

هيوم  
ساوثويل  
كاهنان.

بولثيروك : ساحر.

روح : يستحضره هذا الأخير.

توماس هورنر : صانع دروع.

بطرس : أجيّره.

موظف شتهام.

محافظ ستلبان.

سُكوكس : شرّير.

ربّان سفينة.

بحّار.

ولتر ويتمور : بحار.

الملكة مرغريت : زوجة الملك هنري.

اليونور دوقة : كلوستتر.

مرجري جوزدن ساحرة

زوجة سُكوكس.

لوردات، سيدات، حاشية، مستدعون، قضاة، مرشد، شرطي، ضابط،

ذوات، أمراء، حَمَلَة صقور، حرس، جنود، رُسل، الخ.

تجري الأحداث في أنحاء مختلفة من انكلترا

## الفصل الأول

### المشهد الأول

لندن — في حديقة القصر الملكي.

(تُسمع موسيقى آلات مختلفة. من ناحية يدخل الملك هنري، ودوق كلوستر  
وسالزبري وَوَرويك والكردينال بوفور، ومن ناحية أخرى تدخل الملكة مرغريت  
يقودها سوفولك، ويتبعها سومرست ويورك بوككهام وغيرهم).

سوفولك : لقد كلفنتي جلالتك عند ذهابي الى فرنسا أن أمثّل سيادتك  
وأ تزوج باسمك الأميرة مرغريت، وها قد قمت بالمهمة الرفيعة  
وأجريت مراسم الزفاف في مدينة « تور » الأثرية الشهيرة  
بحضور ملوك فرنسا وصقلية ودوق أورليان وكالابر وبريطانيا  
وآلنسون وسبعة كونتات واثنى عشر باروناً وعشرين أسقفاً  
جليلاً. والآن أجتو بتواضع أمامك وأمام انكلترا الممثلة بنبلائها  
الكرام وأتنازل عن حقوقي على الملكة لأيادي جلالتك البيضاء  
بعد أن مثّلت بفخر واعتزاز ظلك الشامخ. فأليك بأروع  
هدية تسنى لمركز أن يمنحها، وأجمل ملكة، أسعد الحظ  
ملكاً أن يحظى بها.

الملك هنري : انهض يا سوفولك. أهلاً وسهلاً ومرحباً بك أيتها الملكة

مرغريت. لا يعني أن أجود عليك كعربون حبّي الكبير  
للك بأرق من هذه القبلة. لأنك بهذا المحيا الصبوح تعمين  
على نفسي بعالم واسع من الملمات الأرضية، في ظلال  
الطاف الهوى الذي يوحد أفكارنا.

الملكة مرغريت : يا ملك انكلترا العظيم، يا سيدي المبجل الكريم، إن  
الخطاب الطويل الذي وجهته إليك في ذهني، يا مليكي  
العزیز، نهاراً وليلاً، وفي سهراتي وأحلامي، في اجتماعات  
البلاد وفي ابتهالاتي جميعها تشجعتني على تحية مليكي بهذا  
الكلام البسيط النابع من وحي روعي وهو يغمر فؤادي بفيض  
من البهجة والسرور.

الملك هنري : لقد سحرني منظرها، لكن لطف حديثها الذي تحلّيه بها  
حكمتها، نقلني من رضى الامتنان الى دموع الفرح الذي  
يثلج قلبي. أرجو يا مولاي أن تحيّي حبيتي تحية الإعجاب  
الكامل.

الجميع (جائين على ركبهم) : لتحيا الملكة مرغريت بهجة انكلترا.  
الملكة مرغريت : أشكركم جميعاً.

(تصدح الموسيقى).

سوفولك : مولاي حامي المملكة، تفضل بقبول شروط السلم المعقود  
بين عاهلنا وملك فرنسا شارل. وقد قبلت بالإجماع لمدة  
سنة ونصف.

كلوسستر (يقراً) : هذا نص المعاهدة : لقد تمّ الاتفاق بين ملك فرنسا  
شارل وبين وليم بول مركز سوفولك، سفير هنري ملك  
انكلترا، على اقتران هذا الملك بالسيدة مرغريت ابنة رينيه  
ملك نابولي وصقلية، وأن يتوجّها ملكة على انكلترا قبل  
الثلاثين من الشهر القادم. وأن يتمّ الجلاء عن دوقية أنجو  
وكونتية ماين، وأن يُسلّمَا إلى أيّهما.

(يفع المستد من يده).

الملك هنري : ما بك، يا عمّاه؟

كلوستر : سامحني، يا مولاي، لقد أصابني خفقان مفاجئ في القلب، فأظلمت الدنيا في عينيّ الى حدّ أني لم أعد أقوى على متابعة القراءة.

الملك هنري : أرجوك، يا عمي ونشستر، أن تواصل القراءة عنه. الكردينال : ثم تمّ الاتفاق بين الدوقيتين أنجو وماين على إخلاصهما وتسليمهما الى أبيها الملك، وأن توافي العروس ملك انكلترا على نفقتها الخاصة بدون أن تكون مصحوبة بأية بائنة. الملك هنري : هذه الشروط تناسبي. أرجوك أن تركع أيتها المركيز لأجل منك دوق سوفولك، وأن أقلدك السيف. يا ابن عمي يورك، أرجوك أن تسلم منصبه كوصي على عرش فرنسا الى أن تنقضي مدة السنة والنصف بتمامها. أشكر عمي ونشستر، كما أشكر كلوستر ويورك وبوكنكهام وسومرست وسالزبري ووزويك. وأكرّر شكري لكم جميعاً على حسن الاستقبال الذي أحظتم به الأميرة مليكتي. هيا بنا لنعود ونهتّم عاجلاً باستعدادات التويج.

(يخرج الملك ثم الملكة وسوفولك).

كلوستر : يا نبلاء انكلترا، يا أعمدة الدولة الثابتة، لا بدّ لدوق همفري من الإفصاح لكم عن آلامه وآلامكم وآلام كافة الشعب في طول البلاد وعرضها. فإن أخي هنري سيبدل شبابه ومواهبه ويسكن الريف أيام برد الشتاء القارس وحرّ الصيف المحرق ليحتل فرنسا ويستردّ إرثه الشرعي. وأخي بدفورد يرهق ذهنه للحفاظ بالسياسة على ما اكتسبه هنري. وأنتم يا سومرست وبوكنكهام ويورك الشجاع وسالزبري المظفر ووزويك، لا بدّ من أن تكونوا قد تلقّيتم جراحاً بالغة في

فرنسا ومنطقة نورمندي. وأخيراً أنا وعمي بدفورد، وكذلك جميع المستشارين المحنكين في هذه المملكة، بعد أن نعقد الجلسات الطويلة صباحاً ومساءً لمناقشة وسائل توطيد دعائم إمبراطوريتنا في فرنسا، يكون سموه قد توج منذ حدثته في باريس، رغم أنف العدو، وهكذا سيخيب مسعانا ويضيع تعبنا ويهدر شرفنا سدى. فإن فتوحات هنري واجتهادات بدفورد اليقظ، وإنجازاتكم كمحاربين، ونصائحنا بأجمعها ستذهب أدراج الرياح. فيا نبلاء انكسروا، إن مجرد تحقيق هذه المعاهدة المشينة وهذا القران المشؤوم، يذهب بمجدكم ويمحو اسمكم من الأذهان والتاريخ، ويشطب ذكركم من سجل الأخلاق والقيم، ويهدم صرح فرنسا المحتلة ويلقي كل كيانتنا في هوة العدم، كأن شيئاً لم يكن.

الكرديتال : ما معنى هذا الكلام، يا ابن أخي؟ وما معنى هذا الأسف وهذه الملامة التي تجرّمنا جميعاً؟ إن فرنسا لنا، ونحن مصممون على الاحتفاظ بها الى الأبد.

كلوستر : أجل، يا عمّاه، سنحتفظ بها إن استطعنا. إنما الآن هذا مستحيل. فإن سوفولك الذي جعلت منه دوقاً منذ هنيهة، وخلعت عليه سلطة واسعة، قد منح دوقيتي أنجو وماين للملك رينه المسكين الذي لا تلائم ألقابه هزال مآلته. : بحق وفاة من مات لأجل الجميع، إن هاتين الكونتيتين كانتا مفتاح مقاطعة نورمندي. لكن لماذا تدمع عينك، يا بني الحبيب؟

ورويك : إذا بكيتُ فلأنّ ما تذكره قد ضاع منا الى الأبد. إذ لو كان هناك من أمل في استعادته، فإن سيفي سيهدر دماً زكياً، ومآقي ستذرفان دموعاً سخينة. فأنا قد احتلت مقاطعتي أنجو وماين، أجل أنا قد احتلتهما بقوة ساعدي، وضممتهما الى أراضينا، وها هي المدن التي تلقيت جراحاً

عديدة في سبيل كسبها، تُعاد لقاء كلام مسالم. يا إلهي،  
ما أتعس حظي!

يورك : ليت صوت دوق سوفولك يختنق في حنجرتي، لأنه سؤد  
صفحة شرف هذه الجزيرة المحاربة. إن قضية فرنسا تمزق  
قلي، قبل أن أوافق على هذه المعاهدة. لقد قرأت أن ملوك  
انكلترا كانوا دوماً يقتنون المبالغ الطائلة من المال ويتلقون  
بائتات ضخمة من زوجاتهم. لكن ملكنا هنري يرفض  
الاحتفاظ بممتلكاته ليتزوج فتاة لا تأتيه بأية بائة.

كلوستر : هذا مزاج سمج، بل أمر لم يسبق أن سمعنا بمثله. إن  
سوفولك يطالب بمبالغ ضخمة لأجل المصاريف والنفقات  
التي يقتضيها سفر السيدة الى هنا. أفما كان من الأفضل  
أن تبقى هي في فرنسا وأن تموت هناك من الجوع على  
أن...؟

الكردينال : يا مولاي كلوستر، أنت تحتد أكثر من اللازم. هذه رغبة  
مولانا الملك.

كلوستر : مولاي ونشستر، أنا عالم بما يجول في خاطرك. ليست  
كلماتي التي لا تعجبك، بل وجودي هنا هو الذي يضايقك.  
لا بد للحقد من أن يظهر، أيها الحبر المتجبر. ها أنا أبصر  
غضبك في محياك. هل تريد أن نعيد مشاجراتنا الى سابق  
عهدها؟ وداعاً يا مولاي. يمكنك أن تقول بعد خروجي  
من هذا المكان أنني توقعت فقداننا فرنسا.

(يخرج)

الكردينال : وهكذا ذهب حامينا غاضباً. أنت تعلم أنه من ألد أعدائي.  
ماذا أقول؟ من ألد أعدائنا كلنا، وأخشى أن يكون أقل صداقة  
من سواه نحو الملك. لا تمسوا يا سادة، إنه أقرب أمير  
للكل، وإنه الوريث المرتقب لتاج انكلترا. حتى إن اكسب

هنري بزواجه أمبراطورية وجميع ممالك الغرب الغنية، سيجد سبباً ليلظهر عدم رضاه. احذروه يا سادة، ولا تتخذوا بكلامه المعسول. كونوا حريصين ويقظين تجاهه. ما هم إن اكتسب الى جانبه غالبية أفراد الشعب الذين يعتبرون همفري دوق كلوستر الكريم ويصفقون له بأيديهم وهم يهتفون له بصوت عالٍ : حرسك الله يا صاحب الجلالة، أو حفظ الله دوق همفري النبيل. أنا أخشى، يا سادة، رغم كل هذا التمليق، أن نجد فيها حامياً خطراً ويصدق فيه القول : « حاميتها حراميتها ».

بوكنكهام : لماذا إذاً يحمي مليكنا الذي بلغ سن الرشد ويستطيع أن يحكم بنفسه؟ يا ابن عمي سومرست، انضم إليّ، وأتم جميعاً أيضاً، وبعون دوق سوفولك ستمكّن قريباً من قلب دوق همفري عن كرسية.

الكردينال : هذه المشكلة الهامة لا تتحمل التأجيل. فأنا ذاهب حالاً الى دوق سوفولك.

(يخرج).

سومرست : يا ابن عمي بوكنكهام، مهما عظم كبرياء همفري، وثقلت علينا وطأة سلطته، لا بدّ لنا من مضاعفة سهرنا على الكردينال المتفطرس ومراقبته. فإن وقاحته تتعدّى حدود الاحتمال أكثر من جميع أمراء البلاد مجتمعين. فإذا قلنا كلوستر، فهو الذي سيصبح حامياً للمملكة.

بوكنكهام : أنت ستصبح حامياً للمملكة، يا سومرست، أو أنا، إن لزم الأمر، رغم أنف دوق همفري والكردينال معاً.

(يخرج بوكنكهام ثم سومرست).

سالزبري : ها هو الكبرياء بعينه يفتح المسيرة ويتبعه التبعج والتجبر.

وبينما يعمل هؤلاء الرجال لأجل ارتقائهم، يجعل بنا أن  
نعمل نحن لصالح البلاد. لقد أبصرت على الدوام همفري  
دوق كلوستر يتصرف كوجيه نبيل الأخلاق، لكني غالباً  
ما شاهدت الكردينال المتشامخ جندياً أكثر منه رجل دين،  
متعالياً مزدرباً، كأنه سيد مطلق يستبد بالجميع، ويحكم  
كأنه لص يسلك سبلاً لا تليق برئيس دولة. يا بني ورويك،  
أنت عزاء شيخوختي، وأنا أعتبر أن مآثرك المجيدة وصراحتك  
وفضائلك التزيهة، هي التي أكسبتك تقدير كافة المسؤولين.  
وليس من أحد محبوباً نظيرك، ما عدا دوق همفري الكريم.  
أما أنت، يا أخي يورك، فإن أعمالك المشكورة في إيرلندا  
لاستياب الأمن والنظام بين الناس، وإنجازاتك الباسلة الحديثة  
العهد في فرنسا، عندما كنت وصياً على مليكتنا، جميعها  
تزيدك هبة وشرفاً في عيون الشعب. فلتتخذ إذاً لأجل الخير  
العام، ولتكتأف في جهادنا لردع كبرياء سوفولك والكردينال،  
والتصدي لقطرستنا وللتجم طمع سومرست وبوكنكهام.  
ولندعم بكل قوتنا وسلطاننا تصرفات دوق همفري، ما دامت  
مساعيها تستهدف صالح البلاد.

ورويك : ليكون الله في عونى، ما دمت أسعى لخير الأمة والوطن.  
يورك (على حدة) : أنا أقول هذا القول أيضاً لأسباب وأهداف أهم.  
سالزيري : هيا نستعجل ونبدل كل ما بوسعنا في هذا السبيل لخير  
الانسانية.

ورويك : أنت تتكلم عن الانسانية! إنك تذكرني، يا والدي، بمقاطعة  
ماين التي فقدناها والتي كان ورويك قد ضمها الى أراضينا  
والتي وُد أن يحافظ عليها ولو بذل آخر أنفاسه. أنت تتكلم  
عن خير الانسانية، يا أباي؟ بينما أنا أتكلم عن مقاطعة ماين  
التي سأنتزعها من فرنسا، ولو كلفني ذلك حياتي.

(يخرج ورويك ويتبعه سالزيري).

: لقد سُلِّمَتْ مقاطعتا انجو وماين للفرنسين، وضاعت باريس، ومصر مقاطعة نورمندي مربوط بخيط رفيع. ثم بعد كل هذه المصائب عقد سوفوك معاهدة، وجميع النبلاء وافقوا عليها. بينما هنري مغتبط بمبادلة دوقيتين مقابل حساء ابنة دوق. أنا لا يسعني أن ألوهم، إذ ماذا يهتمهم كل ذلك؟ إنهم يبدون أموالك يا يورك، لا أرزاقهم. هكذا أتيح للقراصنة أن يستفيدوا من غنائمهم، وأن يستخدموها لشراء الأصدقاء، وأن يحصلوا على المحظيات، وأن يبدروا أموالهم على الحفلات كما يفعل الأثرياء المترفون، وفي هذه الأثناء ترى المالك الشرعي، السخيف، العاجز، يكي ويندب كل هذه المقتنيات المفقودة ويتلوى من الألم ويهز رأسه يائساً ويقف مرتجفاً على انفراد. وهؤلاء الانتهازيون يتقاسمون أمواله ويستأثرون بها بينما هو يدع نفسه جائعاً بدون أن يجسر على التدخل أو على لمس درهم من رزقه. وهكذا يظل يورك هنا يكتوي بنار العذاب ويعض شفتيه أسفاً وحسرة، وهم يسامون ويبيعون ممتلكاته باستهتار. كأن ممالك انكلترا وفرنسا وایرلندا تستبد بلحمي ودمي كما فعل الهجران المشؤوم بالحساء، « أليه » التي أهلكت نفسها على حساب قلب الأمير كاليدون. أجل، أعطيت مقاطعتا انجو وماين للفرنسين. هذا النبأ يصعقتني لأنني وضعت كل اتكالي على فرنسا كما غرست كل ثقتي في تراب انكلترا الخصب. سيأتي يوم أطالب فيه، أنا يورك، بأرزاقی وممتلكاتي. ولهذه الغاية سأنضم إلى جماعة نافيل وأظهر ما يشبه العطف كي أحذره من دوق همفري، ثم عندما أجد الظرف المناسب، سأطالب بالتاج لأنه الهدف الذهبي الذي أنوي الوصول إليه. كلا، هذا المتكبر لنكاستر لن يغتصب مني حقوقي ولن يلمس الصولجان بيده، وهو الولد القاصر، ولن يحمل التاج

على رأسه أبداً ولن تظفر رغبته التقية بالعرش. إذاً لن يهدأ لي بال، أنا يورك، إلا إذا سنحت لي الفرصة لإشباع نهمي الى العظمة والمجد. وفيما الآخرون يغطون في نوم عميق، عليّ أنا أن أظلّ مستيقظاً حذراً حتى أستولي بفتة على مقدّرات الدولة. سأنتظر الى أن يسكّر هنري بخمرة الغرام مع عروسه، هذه الملكة الغريبة التي اشترتها له انكلترا بثمان باهظ، ويتخاصم بسببها دوق همفري وأترابه النبلاء. حينئذ سأرفع الوردة البيضاء بلون الثلج، وهي تعبق الجو بأريجها العطر، ثم أضيف على علمي شعار يورك كي أقاتل الى جانب آل لنكاستر وأجبر الملك بالقوة على التنازل لي عن عرشه، لأن سلطته الدينية قد أسقطت انكلترا.

## المشهد الثاني

### في قصر دوق كلوستر

(يدخل دوق كلوستر والدوقة).

الدوقة

: لماذا أرى سيدي منحنى الرأس كالسنبلة الناضجة الراححة تحت وقر كابوس « ساريس » المرهق؟ لماذا يقطب دوق همفري القوي حاجبيه كأنه يحتقر أفراح هذه الدنيا؟ لماذا تحقد عينك في بلايا هذا العالم كأن تأملاته تلف أنظاره بالظلام؟ ماذا أرى هنا؟ تاج الملك هنري تحيط به كل تشريفات العالم؟ فإذا صح هذا الأمر، عليك أن تسمر عيونك فيه وتزحف على بطنك حتى يستقرّ على رأسك، وما عليك إلا أن تفتح يدك حتى تقبض على ذهب الأمجاد. ماذا أرى أيضاً؟ هل أمست ذراعك قصيرة؟ هيا صلّها بذراعي،

وعندما نظفر كلانا ونستأثر بالعرش سترفع معاً رأسنا نحو السماء، إذ ذاك لن نخفض طرفنا حتى نثبت أقدامنا على الأرض كما نشاء. كما نشاء.

كلوستر : نلّي، عزيزتي نلّي، إذا كنتِ تحبّيني حقاً اطردني عنك الدودة الحقيرة التي تنخر أفكارك الطامحة. وحين تخامرك أبة فكرة عداء نحو مليكي، إبن أخي هنري الفاضل، سألفظ آخر أنفاسي في هذه الدنيا الفانية. حقاً إن حلمي الدنيء يقض مضجعي هذه الليلة.

الدوقة : بماذا حلمت، يا سيدي؟ قل لي، وأنا بدوري أروي لك الحلم الذي أبصرته هذا الصباح.

كلوستر : خيّل إليّ أن هذا العكاز، وهو رمز سلطتي في البلاط، قد كُسر وصار اثنين. من كسره؟ نسيت. لكنني أظن أن الجاني هو الكردينال. وفي طرف أحد قسميّ العكاز المكسور قد علّق رأس دوق سومرست، وفي طرف القسم الآخر رأس وليم بول دوق سوفولك. هذا كان حلمي الذي لا يعرف تفسيره إلاّ الله وحده.

الدوقة : لا تهتمّ للأمر، ولا تغتمّ. هذا يعني أن من يكسر قضياً من حديقة كلوستر سيدفع رأسه ثمناً لاستهتاره. لكن، اسمع، يا عزيزي همفري. يُخيّل إليّ أن كنت جالسة على عرش مهيب في كنيسة وستمنستر الكبيرة، حيث يترع الملوك عند تنويجهم مع ملكاتهم، وإذا بالملك هنري والسيدة مرغريت يركعان أمامي ويضعان التاج على رأسي.

كلوستر : لا بد لي، يا أليونور، من أن أحقّق لهذا كثيراً. يا لك من امرأة متعجرفة غريبة الأطوار! أولستِ السيدة الثانية في هذه المملكة وزوجة حامي البلاد الحبيبة؟ أولاً تتمتعين حقاً بالحياة أكثر مما يتسنى لأفكارك أن تتصور وتخيّل؟ مع ذلك تغيّلين إلى الخيانة لتُخرجني موقف زوجك وموقفك أيضاً بوضع

شرفه وشرفك معاً على حافة الهاوية والنبد والاحقار. هيا  
ابتعدي عني ولا تدعيني أسمع بذكرك بعد الآن.

الدوقة : ما الفائدة، يا سيدي، من صبّ جام غضبك عليّ أنا زوجتك  
بسبب حلم رويته لك؟ من الآن وصاعداً، سأحتفظ بأحلامي  
لنفسي كي لا أستوجب تعنيفك.

كلوستر : هيا لا تختفي. فقد هدأ روعي.

(يدخل الرسول).

الرسول : سيدي حامي المملكة، يسألك صاحب السمّ أن تستعدّ  
للذهاب الى سْتَلْبَان حيث يتظرك الملك والمملكة لصيد  
الصفور.

كلوستر : ها أنا ذاهب. هيا، يا نلي، ألا تريدان أن ترافقنا الى الصيد؟

الدوقة : أجل، يا سيدي الكريم، أنا لاحقة بكم. (يخرج كلوستر  
والرسول). من واجبي أن أتيهم. إنما لا يعني أن أكون  
الأولى في الذهاب، ما دام كلوستر بهذا المزاج الوضع  
المتنل. لو كنت رجلاً ودوقاً، وأرفع أمير في مثل مقامه،  
لكنت أزحت من دربي جميع هذه العقبات السخيفة، ولكنت  
مشيت على رؤوسهم المقطوعة المجدلة على الأرض. لكني،  
وإن أكن امرأة، لن أتردد في القيام بدوري في معرض الحظوظ  
والإمكانات. فأين أنت إذا يا سير جون؟ لا تخف، يا صديقي.  
نحن وحدنا، وليس هنا سوانا نحن الاثنين.

(يدخل هيوم).

هيوم : حفظ الله مقامك الملكي الرفيع.

الدوقة : ماذا تقول؟ مقامي الملكي، وأنا لست سوى أميرة.

هيوم : بفضل رعاية المولى، ونصائحي أنا هيوم الوفي، سترداد  
مكانتك رفعة.

الدوقة

: ماذا تقول يا صديقي؟ هل تحدثت الى مرْجُري جوزدن  
الساحرة الداهية، وروجر بولنبروك الساحر المحتال؟ هل  
يريدان أن يخدماني؟

هيوم

: لقد وعدا بأن يُرياكِ روحاً يُستحضر من أعماق العالم السفلي  
لتجيب على جميع أسئلتك يا سيدتي.

الدوقة

: هذا يكفي. سأفكر بالأسئلة، وعندما نعود من سَتلْبان سنحدّد  
الأُمُور التي نوَدّ تنفيذها. هيا يا هيوم، اقبل هذه المكافأة.  
اذهب الآن للتَّهَلِّي مع شركائك بهذه القضية الخطيرة.

(تخرج الدوقة).

هيوم

: لا بدّ لي من أن أتسلّى بذهب الدوقة. وهذا ما سأفعله  
بصفتي سير جون هيوم. فما عليّ إلا أن أغلق فمي ولا  
أنبس ببنت شفة. لأن المسألة تتطلب الصمت الكامل والسريّة  
المطلقة. فالدوقة أليونور تجود عليّ بالذهب لآتيها بالساحرة،  
وإن كانت الشيطان بعينه، سأرحّب بذهبيها أجمل الترحيب.  
على كل حال، أرى الذهب يتدفّق عليّ أيضاً من ناحية  
أخرى، ولا أجرؤ على البوح بأنه يأتيني من جهة الكردينال  
الغني ومن سوفولك الكبير الذي أصبح دوقاً منذ عهد قريب.  
مع ذلك أنا واثق من ذلك. لأنني في الحقيقة أعرف ما  
تطوي عليه السيدة أليونور من مزاج جامح. أنا أقبض المال  
لكي أحسّس الدوقة وأحشو دماغها بكل هذه الحماقات.  
يقال إن الثعلب المحتال لا يحتاج الى التدريب على الخداع،  
إنما إذا لم أكن حذراً لن أتمكن من السيطرة على هذين  
الخبين للوصول الى مأربي. في الواقع هذا هو حالي معهما،  
ولا أخشى أن تكون دسائسي أنا هيوم المراوغ مصدر توريط  
الدوقة وهلاكها الذي سيتبعه سقوط همفري أيضاً. ولتأتنا

الأيام بما هي جلى به، ما دمتُ أجمع الذهب الذي أتوق  
الى الحصول على الكثير منه.

(يخرج).

## المشهد الثالث في قصر الملك.

(يدخل بطرس وأشخاص غيره حاملين معارض).

المستدعي الأول : يا سادتي، لنكن مستعدين، فمولاي حامي المملكة  
سيحضر عمّا قريب الى هنا، ويتسنى لنا حينئذٍ أن نقدم  
عرائضنا حسب الأصول.

المستدعي الثاني : لعمرى، حرس الله مولاي، لأنه رجل طيب القلب.  
المستدعي الأول : ها هو آتٍ، علي ما أظن، وتصحبه الملكة. سأكون  
أول من يقابله طبعاً.

(يدخل سوفولك ومعه الملكة مرغريت).

المستدعي الثاني : عد الى مكانك، يا غبي. هذا هو دوق سوفولك وليس  
اللورد حامي المملكة.

سوفولك : يا صاحبي، ماذا تريد مني؟

المستدعي الأول : العفو، يا مولاي، ظننتك اللورد حامي المملكة.  
الملكة مرغريت (تقرأ العنوان) : الى اللورد حامي المملكة. معارضكم موجهة  
إذا الى سيادته. هيا نلقِ عليها نظرة. أي معروض يخلصك؟  
المستدعي الأول : إن معروضي، إذا أمرت، يا سيدتي، هو شكوى على  
حنّا بونوم، رجل مولاي الكردينال، الذي يحتجز بيتي وأرضي  
وزوجتي وكل ما أملك.

سوفولك : زوجتك أيضاً؟ هذا لا يطاق طبعاً. وأنت، ماذا تريد؟ ماذا أرى هنا؟ (يقرأ) : شكوى على دوق سوفولك لأنه احتجز أرزاق مفلور. ماذا تقصد أن تقول يا مغل؟  
المستدعي الثاني : وأسفاه! يا سيدي، أنا لست سوى حامل المعروض الذي يخص كل مدينتنا.

بطرس (يقدم معروضة) : هذه شكوى على معلمي توماس هوزنر، لأنه قال إن دوق يورك هو الوريث الشرعي للتاج.  
الملكة مرغريت : ماذا تدعي هنا؟ هل قال دوق يورك إنه الوريث الشرعي للتاج؟

بطرس : هل كان معلمي وريثاً؟ كلا، ثم كلا، وحق السماء. إن معلمي هو الذي صرّح بذلك وقال إن الملك ليس سوى مختص.

سوفولك : مَنْ القادم الى هنا؟

(يدخل بعض الخدم).

خذوا هذا الرجل، وارسلوا الى معلمه من يلاحقه. وسوضح القضية للملك.

(يخرج الخدم مع بطرس).

الملكة مرغريت : أما أنتم الذين تبحثون عن الاحتماء تحت أجنحة صاحب السيادة حامي المملكة، فأعيدوا كتابة معاريضكم وقدموها له (تمزق المعارض). الى الورااء أيها الأوغاد. أسألك، يا سوفولك، أن تحملهم على الانصراف عنا.

الجميع : هيا نذهب.

(يخرج المستدعون).

الملكة مرغريت : يا مولاي سوفولك، قل لي هل هذه العادة هنا؟ هل هذه

هي الطريقة المتبعة في بلاط انكلترا؟ هل هذه هي حكومة جزيرة بريطانيا؟ هل هذه هي أمبراطورية الملك ألبون؟ ما هذا؟ هل سيظل الملك هنري، ككلميد قاصر دائماً تحت وصاية كلوستر المتسلط؟ وهل أنا ملكة بالاسم واللقب فقط، وعليّ أن أكون تابعة للدوق؟ أنا أصرح لك يا بول، عندما كسرت أنت رمحاً في مدينة تور، إكراماً لحبيبي، وقد سحرت قلوب سيدات فرنسا، ظننت أنا ان هنري يشبهك بالشجاعة واللباقة والأناقة. غير أن روحه غير مشغول بسوى التقوى والصلاة، وأبطاله هم الرسل والأنبياء، وأسلحته هي شفاعات القديسين وآيات الكتاب المقدس، ومكتبه هو العربية، وحبه مكرّس للأيقونات البرونزية التي تمثل الأولياء الأبطال. فكم أتمنى أن يتخيه مجمع الكرادلة بابا ويأتوا به الى روما، فيكّل رأسه بالتاج المثلث الطبقات. هذا حقاً ما هو أهل له صاحب القداسة الكردينال.

سوفولك : جداً، يا سيدتي، إن كنت سبب مجيء سموك الى انكلترا، سأبذل ما بوسعي لأجعل سيادتك تنعمين بملء الرضى.

الملكة مرغريت : ما عدا حامي المملكة المتشامخ، لدينا بوفور، رجل الدين المستبد، وسومرست وبوكنكهام والحارد يورك، وأقلهم نفوذاً، نرى هيمنته في انكلترا أقوى من سلطة الملك عينه.

سوفولك : وأقدرهم هنا، ليس صاحب سلطان أقوى في انكلترا من أسرة نافيل، ثم أن سالزبري وورويك ليسا نبيلين بسيطين.

الملكة مرغريت : كل هؤلاء اللوردات مجتمعين لا يغيظونني تقريباً بمقدار هذه المتعجرفة زوجة اللورد حامي المملكة التي تراها تهادى في موكب سيدات البلاط كأنها أمبراطورة، لا زوجة دوق همفري. فيظن الغرباء أنها هي الملكة، وهي تحمل على ظهرها وارادات دوقية برمتها وفي سرّها تهين فقرنا وتحقرنا. فهل سأقضي حياتي كلها بدون أن يتسنى لي الانتقام من

هذه المخلوقة الزرية الدنية؟ تباً لها من متكبرة كانت تتجبح في ذلك اليوم، وسط المعجيين بها، بأن ذيل أحقر أنوابها يساوي أكثر من جميع أرزاق والدها قبل أن يعطي دوقتين لابتته.

سوفولك : يا سيدتي، أنا بذاتي قد طليت بالدق زجاجات بعض المشروبات ووضعت حولها سرباً من العصافير الفاتنة بشكل يجعلها تعلق لتستمع الى أناشيدها، ولا تعود الى انطلاقها الذي يزعجك. لذلك أرجو أن لا تهتمّي بها بعد الآن. اصغي إليّ يا سيدتي، إذ أسمع لنفسي بأن أقدم لك بعض النصح. فنحن مهما كرهنّا الكردينال، علينا أن نحالفه ونحالف اللوردات الى أن نطيح بدوق همفري ونفقده مكانته. أما دوق يورك فإن الشكوى المقدمة لا تفيده البتة. وهكذا نكون قد بقرنا بطن هذا وذاك، ونكون قد سلّمناك أخيراً دفة المركب السعيد لتوصله الى شاطئ السلامة.

(يدخل الملك هنري ويورك وسومرست وهم يتحدثون، وكذلك دوق ودوقة كلوسستر والكردينال يوفور، وبوكنكهام وسالزبري وورويك).

الملك هنري : من يقف الى جانبي، أيها اللوردات، أنا لا فرق لديّ إن كان الوصي سومرست أو يورك فكلاهما في مستوى واحد. يورك : إن كنت قد أسأت التصرف في فرنسا، فلاخرّم من الوصاية. سومرست : وإذا لم أكن أنا كفاً لشغل هذا المنصب، فليتولاه يورك، وأنا أتنازل له عنه راضياً.

ورويك : إن كنت أهلاً أو لا، يا صاحب السيادة، ليست هذه هي المشكلة، لأنّ يورك هو الأولى بها.

الكردينال : يا ورويك الطموح، اترك رؤساءك يتكلمون.

ورويك : ليس الكردينال رئيسي في ساحة المعركة.

بوكنكهام : الجميع هنا هم رؤساؤك، يا ورويك.

ورويك : أنا ورويك، بوسعي أن أحيأ طويلاً لأكون رئيسكم جميعاً.  
سالزبري : هذئوا روعكم، يا أولادي. وأنت يا بوكنكهام، قل لي لأي  
سبب يتحتم على سومرست أن تكون له الأفضلية في هذا  
المجال؟

الملكة مرغريت : لأن الملك يريد ذلك.  
كلوستر : الملك في سن تخوّله اتخاذ قراراته بذاته، يا مولاتي، وهذا  
الأمر لا دخل فيه للسيدات.  
الملكة مرغريت : إن كان الملك في مثل هذا العمر، فما الداعي لأن  
تكون سيادتك حامي جلالته؟

كلوستر : أنا حامي المملكة، يا سيدتي. فإذا كانت هذه رغبة الملك  
كما تقولين، فأنا على أتم الاستعداد للتنازل عن منصبي.  
سوفولك : تنازل إذأ، وأرخنا من وقاحتك. فمئذ أن أصبحت أنت في  
مقام الملك، إذ لا أحد يملك غيرك، فإن المصلحة العامة  
تدهور كل يوم وتقترب من الهاوية. فولّي العهد قد انتصر  
في ما وراء البحار، وجميع نبلاء المملكة ووجهائها قد شعبوا  
من تسلطكم.

الكردينال : لقد عصرت الواردات، ففرغت خزينة رجال الدين ونضبت  
من جراء ما تستجرّه من أموال طائلة.  
سومرست : إن قصورك الفخمة وزينة زوجتك وحدها قد كلفت الخزينة  
العامة مبالغ خيالية.

بوكنكهام : وأنت قد بالغت بشراسة ما نفذت من جرائمك ودست جميع  
القوانين، حتى أصبحت أنت ذاتك تحت رحمة القانون.  
الملكة مرغريت : إن تجاوزاتك في الوظيفة وفي مدن فرنسا، إن صحت  
شكوكنا في تصرفاتك، هي كافية وافية لدرجة رأسك عن  
كفليك (يخرج كلوستر، وتدع الملكة مروحتها سقط من يدها).  
أرجوك أن تناولني مروحتي. (لدوقة كلوستر) وأنت أيتها

الحساء، ألا يمكنك أن تعطيني إياها؟ (تضع الدوقة) استمحيك العذر، يا سيدتي، آنت فعلت ذلك؟  
الدوقة : أنا؟ أجل أنا، أيتها الفرنسية المتشامخة. لو أمكنتني أن أشوّه جمالك بأظفري لما تأخرت عن فرض مشيتي عليك.  
الملك هنري : يا امرأة عمي العزيزة، هدئي روعك. لقد تقوّمت بذلك عن غير قصد.

الدوقة : عن غير قصد! أيها الملك السموح، إحذرْها قبل فوات الأوان. فهي لن تحجم عن المراوغة وعن خداعك كأنك طفل صغير. ولو كان لبيد هذا المكان الهية اللازمة لما تمكنت السيدة اليونور من أن تضرب بدون أن تخشى أية عاقبة.

(تخرج الدوقة).

(يدخل كلوستر).

كلوستر : والآن، أيها اللوردات، وقد هدأت ثورة غضبي من جراء النزعة التي قمت بها في الحديقة المربعة الزوايا، جئت لأبحث بأمور الدولة. أما شكواكم الكاذبة البغيضة فعليكم أن تثبتوا صحتها كي أفضل فيها بالعدل والقسطاس. إنما أرجو من الله أن يشفق على نفسي بقدر ما أبذله من الاخلاص في سبيل مليكي وبلادي. لنعدّ إلى القضية التي تشغل بالنا. أقول، يا صاحب الجلالة، ان يورك هو أولى رجل يستحق أن يكون الوصي على مملكة فرنسا.

سوفولك : قبل اتخاذ أي قرار، اسمح لي أن أبين لك الأسباب الوجيهة التي تجعل يورك أهلاً لهذا المقام الرفيع.

يورك : سأقول لك يا سوفولك لماذا أنا أستحق ذلك. أولاً لأنني لا أعرف تمليق غرورك، ثم إن عُينت في هذا المنصب، ستركتني مولاي سومرست هناك بدون امدادات ولا مال ولا ذخيرة إلى أن تسقط فرنسا ثانية في يد وليّ العهد.

في المرة الأخيرة جعلتني أهواؤه أنتظر العون بفارغ الصبر  
الى أن طُوِّقَتْ باريس وحوَصِرَتْ وجُوعَتْ وفُقِدَتْ أخيراً.  
ورويك : أنا شاهد على صحة هذا الكلام، وليس من خائن ارتكب  
جريمة نكراء كهذه بحق بلاده.

سوفولك : اصمت يا ورويك الوقح.

ورويك : لماذا تريدني أن أسكت، يا وجه النحس المتعجرف.

(يدخل سوفولك، آتياً بهورنر وبطرس).

سوفولك : لأن هذا الرجل متهم بالخيانة. أجل، لذلك يريد دوق يورك  
أن يرر نفسه ويرى ساحته.

يورك : هل أتهم، أنا يورك، بالخيانة؟

الملك هنري : ماذا تقصد أن تقول، يا سوفولك؟ تكلم. من هم هؤلاء  
الرجال؟

سوفولك : من تشملهم بأنظارك ورعايتك، يا صاحب الجلالة. هذا الرجل  
يتهم سيده بالخيانة العظمى، وهو الذي قال إن ريشار، دوق  
يورك، هو الوريث الشرعي لعرش انكلترا، وإن جلالتك  
مقتصب محتال.

الملك هنري (لهورنر) : تكلم يا صديقي. هل حقاً قلت ذلك؟

هورنر : أقسم برعايتك، وأؤكد أنني لم أقل ولم أفكر حتى بمثل  
هذا الكلام. والله شاهد علي صدق ما أقول، وعلى أن هذا  
الشقي يتهمني زوراً وبهتاناً.

بطرس (يرفع يده) : بحياة هذه الأنامل العشر، يا مولاي، هو قال لي ذلك  
في الأهرام ذات مساء ونحن ننظف درع سيدي يورك.

يورك : أيها الوغد الحقيّر، والمحتال الدنيء سأقطع رأسك لمجرد  
تفوّك بهذا القول الذي يرهن على حياتك. سأطبّق بحقه،  
يا صاحب الجلالة، كل العقوبات الصارمة التي تنصّ عليها  
القوانين.

هورنر : يا للأسف، يا مولاي، أنا أرضى بشنقي إن تكلمت هكذا.  
إن من يتهمني هو أجيري الذي قاصصته من مدة قصيرة  
على ذنب ارتكبه. فأقسم لي وهو راكع على ركبتيه بأنه  
تاب، ولديّ شهود على هذا الحديث. لذلك أستحلفك،  
يا صاحب الجلالة، أن لا تفقد رجلاً شهماً شريفاً لمجرد  
اتهام ناجم عن خيس حقود.

الملك هنري : يا عماء، ماذا يملئ علينا العدل في هذه القضية من قرار؟  
كلوستر : إن هذا الحكم، يا مولاي، إن استطعت أن أعلنه، هو أن  
يُعين سومرست وصياً على عرش فرنسا، لأن هذا التدبير  
يضع يورك في موضع الرية. فإن هذا الرجل لديه شهود  
على سوء نية خادمه. هذا ما ينص عليه القانون وهذا هو  
قرار دوق همفري.

الملك هنري : فليكن إذاً ما تريد. أما أنت، يا مولاي سومرست، فإني  
أعين سيادتك وصياً على عرش فرنسا.

سومرست : أشكرك بكل تواضع، يا صاحب الجلالة.

هورنر : وأنا أقبل القتال بكل امتنان.

بطرس : يؤسفني أن أعلمك، يا مولاي، اني لا أستطيع القتال. فيحق  
السماء، أرجوك أن ترثي لحالي، لأنني ضحية حقد رجل  
ظالم. ليكن الله في عوني. فأنا لا أقوى على تسديد أية  
ضربة الى أحد. يا إلهي! آه، قلبي!

كلوستر : يا محتال، عليك أن تقاتل وإلا كان نصيبك الشنق.

الملك هنري : خذوهما كليهما الى السجن. أما موعد القتال فهو آخر يوم  
من الشهر القادم. تعال، يا سومرست، نعلن أنك راحل.

(يخرجان).

## المشهد الرابع

في حديقة مجاورة لقصر دوق كلوستر.

(تدخل مرنجري جوردن وهيوم وساوثويل وبولنبوك).

هيوم : تعالوا، يا سادتي، فالدوقة كما قلت تنتظر تحقيق وعودكم.  
بولنبوك : يا سيدي هيوم، نحن كلنا على أتم الاستعداد. فهل تريد  
سيادتلك أن ترى وتسمع متممة تعاويذنا؟  
هيوم : أجل، لماذا لا؟ لا تشكروا بشجاعته.

بولنبوك : لقد سمعته يحكي نظير امرأة لا تُقهر قواها. إنما من الأفضل،  
يا سيدي هيوم، أن توافيه هناك في المرتفع بينما نكون نحن  
منشغلين ها هنا في الأسفل. وعلى هذا الأساس أرجوكم  
أن تذهبوا وتدعونا وشأننا. (يخرج هيوم) يا أم جوردن،  
انبطحي أرضاً. وأنت يا جون ساوثويل اقرأ. ولنبداً عملنا  
جدياً.  
(تظهر الدوقة في إحدى النوافذ).

الدوقة : هذا جميل جداً يا سادة. أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم جميعاً.  
الى العمل بأسرع ما يمكن وعلى أفضل طريقة.  
بولنبوك : صبراً، يا سيدتي الكريمة. السحرة يعرفون موعدهم في ظلام  
الليل الحالك السواد وسط الصمت التام، في الليل الدامس  
الذي اشتعلت أثناءه طروادة بألسنة اللهب، فعلاً نعيب اليوم  
ونباح كلاب الحراسة، وأخذت الأرواح تجول والأشباح  
تخرج من قبورها حائمة حول البشر، في ذلك الحين بالضبط  
يتسنى لنا أن نقوم بعملنا على أكمل وجه. إجلسي، يا سيدتي،  
ولا تخشي أي أمر، فإن من نستحضره سنحيطه بحلقة مباركة.  
(ها يقومون بالمراسم المعتادة ويرسمون الحلقة، ويقرأ بولنبوك أو ساوثويل  
نص التعويذة. تحدث بروق ورجود مربعة، وينهض الروح).

الروح : أطمش.

مرجري جوردن : يا هذا، أستحلفك باسم الله وجبروته الذي يجعلك ترتجف، أن تجيب على أسئلي، لأنك لن تغادر هذا المكان قبل أن تنطق بما نريد.

الروح : اطلبي ما تشائين، فتريني طوع بئانك تكلمت ونفدت.  
بولنبروك (بغراً) : أولاً ما هو مصير الملك؟  
الروح : الدوق الذي سيخلع هنري لا يزال حياً. وسيعيش بعده ويموت أشنع الميتات وأعنفها.

(وفيما الروح يتكلم، يستل ساوثويل الأجوبة).

بولنبروك : ما هو مصير دوق سوفولك؟  
الروح : سيفرق في الماء ويلاتي حتفه.  
بولنبروك : وماذا يحل بدوق سومرست؟  
الروح : عليه أن يتجنب العيش في القصور، إذ يكون على السهول العرمة في مأمن أكثر من البقعة التي تقوم عليها القصور.  
كفى، لأنني لم أعد أطيع المزيد.  
بولنبروك : انزل إلى ظلمات العالم السفلي وإلى البحيرة الملتهية بنار متأججة. اختفِ أيها الشيطان الرجيم.

(تحدث بروق ورعود وبغيب الروح).

(يدخل يورك وبوككهام بعجلة، يتبعهما حرسهما وغيرهم من الناس).

يورك : اقبضوا على هؤلاء الخونة وخلصونا من خزعبلاتهم. أظن أننا راقبناك عن كذب أيتها العجوز الشمطاء. ماذا أرى؟ أنت هنا يا مولاتي. إن الملك والدولة مدينان لك بسبب تحملك كل هذه المشقات. لا شك في أن مولاي حامي المملكة ساهر على إجزال العطاء لك مكافأة على أعمالك المفيدة هذه.

الدوقة : إنها غير مؤذية بمقدار أفعالك القبيحة، أيها الدوق الوقح.

يحق ملك انكثرا، وما تهدده به بدون سب.  
بوكنكهام (بريه الأوراق) : فعلاً، يا سيدتي، بدون أي سب، ما تسمين هذا؟  
خذوا هؤلاء الأشخاص وزجوهم في مكان حريز واحجزوهم  
منفردين. وأنت يا سيدتي، ستأتين معنا. ضعها يا سوفولك  
تحت حراستك. (تسحب الدوقة عبر النافذة). ستتفحص جيداً  
جميع بضاعتك الرخيصة هذه. اذهبوا جميعكم  
(يسحب الحرس وهم يقتادون ساوثويل وبولنيروك وغيرهم).

يورك : يا لورد بوكنكهام، لقد راقبتها جيداً كما رأيت. هذه مؤامرة  
كاملة التخطيط. والآن يا مولاي، أرجوك أن ترى كتابة  
الشیطان. ما هذا؟ (يقرأ الدوق الذي سيخلع هنري لا يزال  
حيّاً، وسيعيش بعده ويموت أشنع الميات وأعنفها. هذا  
صحيح نظير شعر شيشرون القائل : « إنك تستطيع الانتصار  
على الرومان ». فلنقرأ البقية : ما هو مصير دوق سوفولك؟  
سيفرق في الماء ويلقي حتفه. وماذا يحل بدوق سومرست؟  
عليه أن يتجنب العيش في القصور، إذ يكون على السهول  
المرملة في مأمن أكثر من البقعة التي تقوم عليها القصور.  
ها، ها، يا مولاي، لقد كلفنا الحصول على هذه البوّة  
مشقات وافرة. الملك الآن في طريقه الى ستنلبن يرافقه  
زوج هذه السيدة اللطيفة. أذيعوا أخباره هناك بأسرع ما  
يمكن. فالغداء كتيب أمام مولاي حامي المملكة.  
بوكنكهام : هل تسمح لي، يا مولاي يورك، أن أكون رسولك لكي  
أنال منه المكافأة؟

يورك : كما تشاء، يا مولاي العزيز. لكن من الآتي الى هنا؟  
(يدخل أحد الخدم).

ادعوا اللوردين سالزبري وورويك الى العشاء معي مساء الغد.  
ها، الى السير.  
(يخرج الجميع).

## الفصل الثاني

### المشهد الأول

#### في بلدة شتبان

(يدخل الملك هنري والملكة ومرغريت وكلوستر والكردينال بوفور وسوفولك يتبعهم حَمَلَة الصقور).

الملكة مرغريت : صدقني، يا مولاي، إن هذه المطاردة لدجاجات الماء هي أروع ما شاهدته من تسلّيات منذ سبعة أعوام. مع ذلك كان الهواء شديد البرودة وكان علينا أن نراهن على عشرة مقابل واحد بأن صقر الملك لم يكن على استعداد للانطلاق.

الملك هنري (لكلوستر) : ماذا فعل صقرك، يا مولاي، وعلى أي علوّ حلق فوق الآخرين؟ انظر صنع الله في جميع مخلوقاته. فالإنسان والطير كلاهما يتوقان إلى الصعود.

سوفولك : لا أقصد أبداً مضايقة جلالتك، إن قلت أنني لا أستغرب أن ترتفع صقور مولاي حامي المملكة هكذا عالياً لأنها تعلم جيداً أن صاحبها يحب الشموخ وهو يحلّق بالفكر أكثر من الصقر الطائر.

كلوستر : الانسان الذي لا يخلق أكثر من المصفور يكون خيساً  
دنياً، يا مولاي.

الكردينال : هذا ما أعتقد به أنا أيضاً، اذ عليه أن يكون أعلى من الغمام.  
كلوستر : ماذا تقصد بهذا الكلام، يا سيدي الكردينال؟ ألا تجد سيادتك  
صالحاً أن يصعد الانسان يوماً الى السماء؟

الملك هنري : حيث كنوز الأفراح الدائمة.  
الكردينال (لكلوستر) : سماؤك أنت هي على الأرض. فأنظارك وأفكارك  
متجهة نحو تاج يبهج القلب، يا حامي المملكة المخاتل، أيها النبيل  
الخطر الذي يداعب هكذا الملك والشعب لأجل تحقيق مآربه.  
كلوستر : لا، هذا كثير، أيها الكردينال. لقد أصبحت نيتك مفضوحة  
لا سيما أنها صادرة عن رجل دين نظيرك هكذا عنيف.  
يا عمي المفضل، عليك أن تخفي خباثتك التي لا تليق  
بمقامك الرفيع.

سوفولك : لا خبث أبداً هنا، يا سيدي، أكثر مما يستوجه شجار في  
محله مع نبيل سيء الطبع مثلك.

كلوستر : من تعني، يا مولاي؟  
سوفولك : أعنيك أنت، يا مولاي حامي المملكة المتغطرس.  
كلوستر : لا أستغرب منك هذه اللهجة، فان انكلترا بأجمعها تعرف  
وقاحتك.

الملكة مرغريت : أين تذهب بطموحك وكبرياؤك، يا كلوستر؟  
الملك هنري : هدئي روعك يا سيدتي الملكة الفاضلة. لا تحمي اوار  
المعركة بين هذين النبيلين. لأن ابن الحلال من يوفق بين  
الناس ولا يفرق.

الكردينال : انا اذاً ابن حلال، لأنني أريد دوام السلم مع حامي المملكة،  
هذا المتجبر، انما أفرض هذا السلم بحدّ السيف.

كلوستر (بصوت خافت للكردينال) : في الحقيقة يا عمي القديس، لم تبلغ بنا  
الأمور هذا الحدّ.

الكردينال (بصوت خافت للدوق) : ما عليك إلا أن تجسر وتنفذ وعيدك.  
كلوستر (بصوت خافت للكردينال) : في هذه القضية، لا نَحْمَسُ قوماً من  
الدجالين المنافقين. ردّ أنت بنفسك على هذه الاهانات  
والتطاولات.

الكردينال (بصوت خافت للدوق) : أجل، انما أنت لست أهلاً للردّ، وان كنت  
كذلك، فكل أُملي أن لا تتأخر هذا المساء عن الحضور  
الى طرف الغابة الشرقي.

كلوستر (للكردينال بصوت خافت) : أنا بانتظارك، أيها الكردينال المتبجح.  
الملك هنري : ما هذا، يا عمي كلوستر؟

كلوستر : كنا نتحدث عن الصقور، وهذا كل ما في الأمر، يا مولاي.  
(للكردينال بصوت خافت) والله، أيها الكردينال، سأوسع صلتك،  
أو تضيع مهارتي في امتشاق الحمام سدّى.

الكردينال (للدوق بصوت خافت) : أيها الطبيب عالج نفسك، ويا حامي المملكة  
إحفظ رأسك.

الملك هنري : ها قد اشتدت الرياح، وكذلك غضبكما، يا سيديّ. أُملي  
أن تضعا حدّاً لهذه المهارة التي يضيق بها صدري. عندما  
أسمع أوتار حنجرتكما ترسل أصواتاً نشأداً كهذه، آتني لي  
أن أمل بسماع لحن جميل؟ أرجوكم، يا سيديّ، أن تكفّا  
عن هذا النزاع وتعملا على ازالة كل خلاف بينكما.

(يدخل أحد سكان ستلبان وهو بصرخ : معجزة، معجزة).

كلوستر : ما معنى هذا الضجيج؟ أية معجزة تعني، يا صديقي؟  
أحد السكان : معجزة، معجزة، معجزة.

سوفولك : اقترب من الملك، وقل له ما هي هذه المعجزة؟  
أحد السكان : أعمى قد استردّ بصره عند زيارته رفات القديس أليان، منذ  
أقل من نصف ساعة. أعمى لم يرَ النور منذ ولادته.

الملك هنري : الحمد لله الذي يمنح النفوس المؤمنة نوراً يبدد الظلمات،  
وتعزية تغلب على القنوط.

(يدخل محافظ ستليان وزملاؤه، ثم سمكوكس على مقعد يحمله شخصان  
وتبعه زوجته وجمهور من الناس).

الكردينال : ها هم أهالي المدينة مقبلين في موكب لتقديم الرجل الى  
جلالتك.

الملك هنري : عظيم هو عزاؤه على هذه الأرض، مع أن بصره سيهمل  
له تكاثر ذنوبه.

كلوستر : اقربوا يا سادة، واجلبوه الى جانب الملك الذي يسره أن  
يتحدث اليه.

الملك هنري : أيها الرجل الصالح، اخبرنا بالأمر مفصلاً حتى يتسنى لنا  
أن نمجد الله. هل صحيح أنك كنت فاقد البصر منذ زمن  
طويل، وأنت الآن شفيت؟

سمكوكس : لقد ولدت أعمى، يا مولاي.

الزوجة : انا زوجته، يا مولاي.

كلوستر : لو كنت والدته، لتكلمت بسلطة أقوى.

الملك هنري (لسمكوكس) : أين ولدت؟

سمكوكس : في برويك، شمالي البلاد، يا مولاي.

الملك هنري : مسكين! لقد شملك الله بواسع رحمته، فلا تدع نهاراً ولا  
ليلاً بدون أن تحمده وتمجده وتذكر ما غمرك به من نعمة.

الملكة مرغريت : قل لي، أيها الرجل الصالح، هل أتيت الى ستليان بدافع  
التقوى أو قادتك الصدقة الى هنا؟

سمكوكس : قادتني الصدقة؟ يعلم الله، يا مولاي. لقد هتف بي هاتف  
مئة مرة أثناء نومي كي أذهب الى القديس ألبان الذي كان  
يقول لي : « تعال اليّ، يا سمكوكس، تعال وزر رفاتي،  
وأنا أشفيك.

الزوجة : أؤكد لكم، أن هذه هي عين الحقيقة، فكم وكم من مرة سمعت هذا الصوت يناديه هكذا.

الكردينال : ماذا أرى؟ هل أنت أعرج؟

سمكوكس : أجل، يا مولاي. وألتمس العون من كرم الله.

سوفولك : وكيف صرت أعرج؟

سمكوكس : لقد سقطت من أعلى شجرة.

الزوجة : شجرة خوخ، يا مولاي.

كلوستر : كم مرّ عليك من الوقت وأنت أعمى؟

سمكوكس : كنت على تلك الحالة منذ ولادتي، يا مولاي.

كلوستر : وتسلقت الشجرة وأنت كذلك؟

سمكوكس : تلك كانت المرة الوحيدة في حياتي، يوم كنت في أول شبابي.

الزوجة : هذا صحيح، ولقد دفع غالياً ثمن صعوده هذا.

كلوستر : لا بدّ أنك تحب الخوخ كثيراً لتقوم بهذه المغامرة.

سمكوكس : مع الأسف الشديد، يا مولاي، كانت زوجتي تشتهي أكل الخوخ فحمّستني على التسلق والمخاطرة بحياتي.

كلوستر : تبّاً لك من منافق محال. لكن هذا كله لا يفيدنا. دعني

أفحص عينيك. أغمضهما الآن. والآن افتحهما. على ما أرى، أنت لا تبصر بعد بكل وضوح.

سمكوكس : لا، لا، يا مولاي. أنا أبصر جيداً بفضلته تعالى وفضل القديس ألبان.

كلوستر : أنظن ذلك؟ ما لون معطفي هذا؟

سمكوكس : أحمر، يا مولاي، أحمر مثل الدم.

كلوستر : أجل، هذا صحيح. وما لون ثوبي؟

سمكوكس : أسود، أي ورابي، أسود كاللحم.

الزوجة : هو لم يرَ هذه الأشياء في حياته قبل اليوم.

كلوستر : قل لي يا محال، ما هو اسمي؟

- سمكوكس : مع الأسف الشديد، لا أعرفه، يا سيدي.  
كلوستر (يشير الى أحد المحيطين به) : ما اسم هذا الانسان؟  
سمكوكس : لست أدري.  
كلوستر (مشيراً الى غيره) : وما اسم هذا الآخر؟  
سمكوكس : لا أعرف، يا مولاي.  
كلوستر : ما اسمك أنت؟  
سمكوكس : سندر سمكوكس، يا مولاي.  
كلوستر : هذا يكفي، يا سندر. أنت أكبر كذاب غشاش في الكون  
يا قليل الحياء. لو كنت وُلدت أعمى، لسهل عليك أن  
تعرف أسماءنا جميعاً، وأن تعرف مختلف ألوان ملابسنا.  
النظر يميز الألوان، انما تعدادها كلها هكذا بغتة لهو أمر  
مستحيل. يا سادتي، لقد صنع القديس ألبان هنا معجزة.  
لكن لا تفكروا بأن تمكّن هذا المشوّه من الوقوف على  
قدميه مسألة عجيبة.  
سمكوكس : لماذا لا تصدقني، يا سيدي؟  
كلوستر : يا سادتي سكان ستلبان، ألا يوجد رجال شرطة في مدينتكم،  
أو ما يُسمّى سوطاً؟  
المحافظ : أجل، يا مولاي، يوجد.  
كلوستر : أرسلوا اذاً في طلب بعض رجال الشرطة على الفور.  
المحافظ : اذهب، يا مغفل، وأنتي حالاً بأحد رجال الشرطة.  
(يخرج أحد رجال العاشية).  
كلوستر : ليذهب أحدكم ويأتي بمقعد. (يؤتى بمقعد) والآن، يا غبي،  
إذا أردت أن تنجو من السوط عليك أن تقفز من فوق  
هذا المقعد وتطلق.  
سمكوكس : آسف، يا سيدي، ان لا أستطيع الوقوف على رجليّ. فأرجوك  
أن لا تعذبني بدون فائدة.

(يعود رجل الحاشية بصحة شرطي).

كلوستر : إذا أنا سأرد الحركة الى ساقك. يا صديقي الشرطي، أضربه بالسوط حتى يقفز من فوق المقعد.

الشرطي : امرك مطاع، يا مولاي. تقدّم، أيها المحتال، وعجل بتنفيذ ما أمرت به.

سمكوكس : آسف، يا سيدي، ان لا أستطيع ذلك. أؤكد لكم أنني لا أتمكن من الوقوف على قدمي.

(بعد أول ضربة سوط، يقفز فوق المقعد ويهرب، فينبه الجمهور صارخاً : معجزة، معجزة).

الملك هنري : يا الهي، أنت ترى ذلك وتغض النظر عنه!

الملكة مرغريت : لقد أضحكني منظر هذا المنافق وهو يقفز.

كلوستر : طاردوا هذا اللعين، وجيئوني بهذه المغفلة.

الزوجة : آسف، يا مولاي، أن نكون فعلنا ذلك بسبب فقرنا.

كلوستر : اطردوهما، واضربوهما بالسياط عبر شوارع المدينة حتى يصلا الى برويك من حيث أتيا.

(يخرج المحافظ والشرطي وزوجة سمكوكس، الخ).

الكردينال : لقد صنع دوق همفري اليوم معجزة.

سوفولك : هذا صحيح. فقد جعل الأعرج يقفز ويطير.

كلوستر : لكنك أنت اجترحت معجزات أكثر مني، عندما طيرت يا مولاي، ذات يوم مدناً عديدة برمتها.

(يدخل بوككهام).

الملك هنري : بأية اخبار تأتيني، يا ابن عمي بوككهام؟

بوككهام : بأنباء يهلع قلبي لنقلها اليك. هناك زمرة اشرار منشغلة بأعمال

سافلة تحت رعاية السيدة اليونور وبمساعدها، بصفتها زوجة

حامي المملكة، وهي رأس هذه العصاية المدير، وقد انصرفوا الى أفعال هدامة تشكل خطراً على الدولة، ما داموا قد لجأوا الى السحرة والمشعوذين، وقد فاجأتهم بالجرم المشهود وهم يستحضرون من أعماق الأرض أرواحاً شريرة وأشخاصاً آخرين من مجلس جلاتك الخاص كما سأشرحه في حضرتك مفصلاً.

الكردينال (كلوستر) : وهكذا، يا مولاي حامي المملكة، أصبحت زوجتك الآن رهن التوقيف في لندن. وهذا النبأ على ما أظن سيفلّ حدّ سيفك القاطع، وعلى الأرجح، لن تتمكن، يا مولاي، من الذهاب الى موعداك.

كلوستر : تباً لك من رجل دين مختل، كفّ عن ازعاجي فالحزن يعصر فؤادي ويهدّد حيلي. وبما أنني أراني في هذه اللحظة مغلوباً على أمري، أترجع أمامك، كما لو كنت أترجع امام احقر خادم في منزلي.

الملك هنري : يا إلهي! كم من المظالم يرتكبها الأشرار، وهم يجلبون الويل والهلاك على رؤوسهم.

الملكة مرغريت : ها هوذا عزّك يتدهور، يا كلوستر. فالأفضل لك أن تظل بعيداً عن كل شبهة وملامة.

كلوستر : من جهتي، يشهد الله، يا سيدتي، أنني أكنّ باستمرار كل المودة والاحترام لمولاي الملك وأراعي دوماً مستوجبات المصلحة العامة. أما زوجتي فلا علم لي بما قامت به ولا بما حلّ بها. أنا آسف للوقوف على ما علمت به الآن، انها امرأة نبيلة، لكنها نسيت شرفها وفضائلها واتصلت باناس يلطخ مجرد التحدث اليهم، مثل الزفت، كل نبل وسموّ. فأنا أنبذها من سريرتي ومن محيطي وأسلمها الى رجال القانون ليقنصوا منها لما الحقته من الخزي والعار باسمي انا زوجها الشريف كلوستر.

الملك هنري : هيا بنا لنستريح قليلاً هذه الليلة. وغداً نعود الى لندن لتفحص الأمر بعمق ونستجوب هؤلاء المجرمين السمجين ونزن قبائحهم بميزان العدل الذي لا تميل كفته إلا الى جهة الحق والصواب.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

في لندن داخل حديقة دوق يورك

(يدخل يورك وسالزيري وورويك).

يورك : والآن، يا سيديّ الكريمين سالزيري وورويك، بعد انتهاء عثائنا المتواضع اسمحاً لي بالقيام بنزهة على انفراد لأخلو بنفسي، ثم سألُكما رأيكما في موضوع حقي بتاج انكلترا الذي لا أجد أنا أي اعتراض عليه.

سالزيري : اني متلهّف، يا مولاي، لسماع كل ما لديك قوله في هذا المجال.

ورويك : أبدأ يا عزيزي يورك، واذا كانت حججتك دامغة، فان أسرة نافيل بأكملها تقف الى جانبك وتساندك.

يورك : اسمعوا اذاً : لقد رزق ادوارد الثالث، يا مولاي، سبعة بنين : الأول : ادوارد الأمير الأسود، أمير ويلز وليّ العهد، والثاني : وليم هانفليد، والثالث : ليونال دوق كلارانس، ثم يليه : حنا دي غان دوق لنكاستر، والخامس : ادمون لنكلي دوق يورك، والسادس : توماس وُدستوك.

دوق كلومستر والسابع والأخير : وليم وندسور. إلا أن ادوارد الأمير الأسود مات قبل أبيه مخلّفاً ابناً وحيداً هو ريشار الذي مات بعد

ادوارد الثالث وتولى الحكم بصفته الملك حتى تمكن هنري بولنبروك دوق لنكاستر، وهو الابن البكر والوريث الشرعي لحثا دي غان، من أن يتوج ملكاً باسم هنري الرابع، وقد استولى على الحكم بعد أن خلع الملك الشرعي، وأعاد الملكة المسكينة الى فرنسا من حيث أتت، وأرسل الملك الى بمفار حيث، كما تعلمون جميعكم، أعتيل ريشار المسالم بخيانة نكراء.

ورويك (سالزيري) : لقد بين الدوق الحقيقة يا أبي. فهكذا حصلت اسرة لنكاستر على التاج.

يورك : والآن هي تملك به بالقوة لا بالحق. لأن ريشار الوريث والإبن البكر من صلب ادوارد، بما أنه مات، كان على ذرية الابن الثاني أن تملك.

سالزيري : لكن وليم هاتفيلد مات بدون وريث.

يورك : الابن الثالث دوق كلارانس، الذي أطلب انا بتاجه، رزق ابنة اسمها ليفيا تزوجت ادمون مرتيمور كونت مارش. ورزق ادمون أولاداً هم : ادمون مرتيمور كونت مارش. ورزق ادمون أولاداً هم : ادمون وحتة وأليونور.

سالزيري : وادمون هذا، في عهد الملك بولنبروك طالب بالتاج، كما قرأت ذلك، وكان تمكن من اعتلاء العرش لو لم يحتجزه، أوين كلاندوير في الأسر حتى وفاته لكن، نستعرض الباقيين.

يورك : وابنته البكر حثة، والدتي، بصفتها وريثة التاج، تزوجت ريشار كونت كمبريدج الذي كان ابن ادمون لثكلي، خامس اولاد ادوارد الثالث. وأنا باسمها أطلب بالتاج لأنها كانت وريثة كونت مارش الذي كان ابن ادمون مرتيمور زوج فيليبا ابنة الوحيدة من صلب ليونال دوق كلارانس. اذا، اذا كانت ذرية الابن البكر هي التي يحق لها أن تخلف، قبل ذرية الابن الثاني، أكون أنا الملك.

ورويك : لا أوضح من هذا الاستنتاج. هنري يطالب بالعرش باسم  
حنّا دي غان الابن الرابع. ويورك يطالب باسم الابن الثالث.  
وقبل أن تنطفئ شعلة اسرة ليونار، لا يحق لأسرة حنّا أن  
تملك، وبما أن شعلة أسرة ليونال هذه لا تزال ملتهبة فستضيء  
بواسطة وواسطة أبنائك سلالة هذا العرق الأصيل. اذا،  
يا أبي سالزبري، لنركع كلانا معاً في هذا المكان المنزوي  
بالذات لنكون أول من يحيي ملكنا الشرعي، ونضعن لحقوقه  
الشرعية كوريث العرش.

كلاهما : ليحيا ملكنا ريشار عاهل انكلترا.

ورويك : نشكركم أيها اللوردات. لكني لست بملككم ما دمت غير  
متوّج، وما دام سفي لم يصطبغ بعد بأنقى دم في أسرة  
لنكاستر. وهذا ليس وليد هذه الساعة، بل صنع البصّر  
والسرّيّة الصامتة. احذوا حذوي في هذه الأوقات العصيّة  
الخطرة. اغمضوا أعينكم عن حماقات دوق سوفولك، وعن  
تجبر بوفور وطموح سومرست وعن بوكنكهام وكل زمرة  
حتى نسقط في الفخ راعي هذا القطيع مع حاشيته، هذا  
الأمير المتمزّت المخاتل دوق همفري. هذا ما يسعون هم  
اليه. وبينما يبحثون عن ذلك سيلقون الموت الزؤام، إن  
صحت توقّعاتي انا يورك المتحفظ المتوتّب.

سالزبري : تعال، يا مولاي، نتصر هكذا. فنحن نعرف جيداً ما تضرره  
وتفكر به.

ورويك : قلبي يحدثني بأنّي أنا كونت ورويك، سأجعل من دوق  
يورك ملكاً مهاباً.

يورك : وأنا يا نافيل، أقول لنفسي ان مصير ريشار، ان يصبح كونت  
ورويك أكبر شخصية في انكلترا بعد الملك.

(يخرجون).

## المشهد الثالث

### في لندن، داخل قاعة المحكمة

(يسمع صوت أبواق. يدخل الملك هنري والملكة مرغريت وكلوستر ويورك وسوفولك والسزبري، ثم دوقه كلوستر ومرجري جوردن وساوثويل وهيوم وبولبروك تحت الحراسة).

الملك هنري : تقدمي، يا سيدتي اليونور كُبهام زوجة كلوستر. فان جرمك فظيع امام الله وأماننا، وتقبلي عقابك بموجب القانون، على ما اقترفته يداك من ذنوب تقضي عليك حسب شريعة الله العادلة بالموت الزؤام (لمرجري وللجناء الآخرين) انتم الأربعة ستعودون الى السجن، ومن هناك تُقادون الى تنفيذ الحكم فيكم. فالساحرة سُعدم حرقاً وتحوّل الى رماد في سميثفيلد، وأنتم الثلاثة سُعدمون شقاً. اما أنت يا سيدتي فيما أنك أنبل أصلاً فستجردين من جميع الألقاب طوال حياتك الباقية وبعد ثلاثة أيام من التوبة العلنية سَتُفَيّن عن وطنك الى جزيرة « مان » تحت حراسة سير جون ستانلي.

الدوقة : أهلاً ومرحباً بالنفي، وأهلاً ومرحباً بالموت.

كلوستر : كما ترين يا اليونور، سينفذ بك حكم العدالة، وأنا لا يسعني أن أبرئ من ادائه القانون. (تخرج الدوقة وبيعهما السجناء الآخرون يحيط بهم الحرس). الدموع تملأ عيني والألم يعصر قلبي عصراً. تبأ لي، أنا همفري. لأن هذا العار يثقل شيخوختي بوقر العذاب ويحني رأسي الذليل الى الأرض. فألتمس من جلالتك السماح لي بالإنصراف، اذ إن آلامي تفتقر الى المواسة وشيخوختي تحتاج الى الراحة.

الملك هنري : قف، يا همفري دوق كلوستر، وقبل أن تمضي سلمني عصاك، فأنا هنري، أريد أن أكون حامي نفسي. وحسي

الله أن يكون ملاذي وأملي وسندي ودليلي، والسنار الذي  
يهدي خطاي. اذهب اذاً بسلام يا عزيزي همفري، لأنني  
لا أزال أحبك كما كنت، قبل أن تفقد منصبك كحامي  
المملكة.

الملكة مرغريت : انا لا أفهم لماذا يجب على ملك مثلك في سنّ توّهله  
للحكم أن يظل تحت الحماية كأنه طفل صغير. أسأل الله  
أن يكون في عون الملك هنري ليقود سفينة انكلترا الى  
مرفأ الأمان. ردّ، يا سيدي، الى الملك هذه العصا والمملكة  
التي تخصّه.

كلوستر : عصاي أنا؟ ها هي، يا هنري النبيل. فأنا أتنازل بطيبة خاطر  
عنها مع أن والدك هنري سلمني اياها، وأضعها عند قدميك  
راضياً كما سيستلمها غيري ممن لديهم طموح ربما أكثر  
مني. وداعاً أيها الملك الكريم، وأثناء غيابي أسأل المولى  
أن يمنّ عليك وعلى عرشك بالسلم والمجد.

(يخرج).

الملكة مرغريت : أخيراً، أصبح هنري ملكاً ومرغريت ملكة. ولم يعد همفري  
دوق كلوستر كما كان، لأنه تحطّم بقساوة اذ تلقى ضربتين  
في آن واحد : نفيت زوجته وهي ساعده الأيمن، ثم انتزعت  
منه عصا الشرف والنفوذ هذه التي أرجو من الآن وصاعداً  
أن تظل حيث يجب أن تكون في يد هنري.

سوفولك : هكذا انهارت هذه الشجرة الشامخة وتكسّرت أغصانها.  
وهكذا سُحق كبرياء اليونور وقضى في عز شبابه وغفوانه.

يورك : لا تهتمّوا للأمر، يا سادتي. فقد حان اليوم موعد القتال.  
والتحدي والتحدّي كلاهما مستعدان لخوض المعركة، اذا  
رضيت جلالتك أن تحضر القتال.

الملكة مرغريت : أجل، يا مولاي العزيز. وسأغادر البلاط بقصد مشاهدة نهاية هذه المشاجرة.

الملك هنري : بحق السماء، أرجو أن تجري الأمور على ما يرام، وأن تنتهي المسألة عند هذا الحد، وأن يكون الله في عون من بجانبه الحق.

يورك : لم أشاهد في حياتي، يا سادة، من يستحق الشفقة ويخشى القتال أكثر من هذا التحدي.

(من جهة يدخل هورنر يحيط به جيرانه الذين شربوا نخبه حتى سكر هو. يدخل حاملاً عصاه وقد رُبط بها كيس من الرمل، ويتقدمه طيل. ويدخل من جهة أخرى بطرس يتقدمه طيل أيضاً وفي يده عصا مشابهة، يرافقه بعض الأجراء وهم يشربون نخبه).

أول جار : ها أنا أشرب نخبك، يا جاري هورنر، كأساً من الخمرة طافحة، فلا تخف، يا صاحب، ستخرج من هذه المعركة بأمان.  
ثاني جار : وهذه كأس ثانية من الخمرة أشربها نخبك.  
ثالث جار : وهذه كأس كبيرة من الجعة أشربها انا نخبك، فلا تخف من حصمك المتمرن.

هورنر : الى العمل اذاً. اني اعذرکم جميعاً، وازدري بطرس.  
الأجير الأول : ها أنا أشرب نخبك يا بطرس، فلا تخف.  
الأجير الثاني : إفرح، يا بطرس، ولا تخشَ بطش سيدك، بل قاتل لأجل شرف الأجراء.

بطرس : اشكرکم جميعکم وأرجو، وأنتم تشربون نخبتي، أن تصلوا لأجلي، اعتقد بأنني شربت الآن آخر جرعة لي في هذه الدنيا. فإن متُّ يا « روبان » ستأخذ مئزري، وأنت يا « ول »، ستأخذ مطرقتي، وأنت يا « طوم » ستأخذ ما لدي من مال. ارحمني يا إلهي. أنا أتضرع الى الله لأنني لن أقوى أبداً على معاندة معلمي والتغلب عليه، وهو متمرس في امتشاق الحسام.

سالزيري : هَيَّا، كَفُوا عَنِ الشَّرْبِ، وَبَاشِرُوا الضَّرْبَاتِ. مَا اسْمُكَ يَا مَغْفَلٌ؟

بطرس : اسْمِي بَطْرُسُ.

سالزيري : وَمَا هُوَ لِقَبْلِكَ؟

بطرس : الضَّارِبُ.

سالزيري : اجْتَهِدْ إِذَا أَنْ تَضْرِبَ مَعْلَمَكَ جَيِّدًا، يَا ضَارِبُ.

هورنر : لَقَدْ جِئْتَ إِلَى هُنَا، يَا سَادَتِي، كَأَنْ أَجِيرِي يَحْمَنِي كَيْ

أُثَبِّتَ لَهُ أَنَّهُ غَيْبِي، وَإِنِّي رَجُلٌ شَرِيفٌ. أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّوقِ

يُورِكِ، فَأَنَا أَوْدُّ أَنْ أَمُوتَ لَوْ ضَمَرْتُ أَيَّ شَرٍّ لَهُ أَوْ لِلْمَلِكِ

أَوْ لِلْمَلِكَةِ. وَبِالنَّتِيجَةِ، تَرَقَّبْ، يَا بَطْرُسُ، أَنْ تَتَلَقَّى طَعْنَةَ نَجْلَاءِ.

يُورِكِ : عَجِّلُوا، فَإِنَّ لِسَانَ هَذَا الْمَسْكِينِ يَكَادُ يَنْعَقِدُ. انْفُخُوا فِي

الْأُبُوقِ وَاعْطُوا إِشَارَةَ الْبَدءِ لِلْمُقَاتِلِينَ.

(تَسْمَعُ مَوْسِيقَى الْإِنَارِ. وَيَشْتَبِكُ الْمُتَقَاتِلَانِ فَيُطْرَحُ بَطْرُسُ مَعْلَمُهُ أَرْضًا).

هورنر : قَفْ، يَا بَطْرُسُ، قَفْ. أَنَا أَقَرُّ بِخِيَانَتِي.

(يَمُوتُ).

يُورِكِ (يُشِيرُ إِلَى بَطْرُسٍ) : جَرِّدُوهُ مِنْ سِلَاحِهِ. اشْكُرْ رَبَّكَ، يَا صَاحِبَ، فَالْخَمْرَةُ

قَدْ جَعَلَتْ سَيِّدَكَ يَتَعَثَّرُ وَيَخْرُ صَرِيحًا.

بطرس : يَا إِلَهِي. لَقَدْ انْتَصَرْتُ عَلَى أَعْدَائِي إِمَامَ هَذَا الْجَمْعِ. وَأَنَا

بَطْرُسُ الضَّعِيفُ قَدْ فَزَتْ بِالْحَقِّ.

الْمَلِكُ هِنْرِي : هَيَّا خُذُوا هَذَا الْخَائِنَ الْقَتِيلَ بَعِيدًا عَنِّي. لِأَنِّي مِنْ خِلَالِ

مَوْتِهِ أَرَى جَرْمَهُ. وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَهُ الْيَمَنِ مِنْ خِلَالِ عَدَالَتِهِ مَا

يَتَحَلَّى بِهِ هَذَا الشَّابُّ مِنْ وِفَاءٍ وَبِرَاءَةٍ، وَقَدْ أَزْمَعُ أَنْ يَهْلِكَ

ظُلْمًا. تَعَالَى، يَا صَدِيقِي، وَاتَّبِعْنِي لِكَيْ تَنَالَ مَكَا فَاتُكَ.

(تَصْدَحُ الْمَوْسِيقَى وَيَخْرُجُ الْجَمِيعُ).

## المشهد الرابع

في لندن، وسط ساحة عامة

(يدخل كلوستر وخدمه جميعهم بياض الحداد).

كلوستر : هكذا يحجب الغيم أحياناً أسطح الأضواء. وهكذا بعد الصيف يأتي الشتاء القاحل مصحوباً دائماً ببرده القارس المزعج. وهكذا تتراكم الهموم والأحزان على مرّ الفصول المتلاحقة. كم الساعة الآن يا أصحاب؟

خادم : الساعة العاشرة، يا مولاي.

كلوستر : لقد حانت الساعة المعيّنة لانتظار مرور الدوقة المحكوم عليها. وبحي، لن يتسنى لها تحمّل حصي الطريق الذي عليها أن تطأه بقدميها الناعمتين. يا عزيزتي نلي، على نفسك الرفعة أن تتحمّل مضايقة هذا الشعب السافل، الذي ينظر اليوم اليك بعيون ساخرة حاقدة تزدري مصيبتك، وهو الذي كان يتبع دواليب عريتك الفخمة يوم كنت تخترقين الشوارع بعزّة وافتنخار. لكن، رويداً، اعتقد بأنها آتية، وعليّ أن أهيب عينيّ الدامعتين لرؤية كاتبها وبؤسها.

(تدخل دوقة كلوستر مرتدية كفنّاً أبيض وعلى ظهرها لوحة مكتوبة، وهي حافية القدمين ويدها مشعل ملتهب، يرافقها سير جون ستانلي وشرطي وضابط).

خادم (لكلوستر) : اذا أمرت، يا مولاي، نحن مستعدون لأن نختطفها من حراسها.

كلوستر : كلا، لا تبدو حراكاً. بحياتكم، دعوها تمر بسلام.  
الدوقة : هل آتيت، يا مولاي، لتشاهد تحقيري أمام الجمهور؟ أنت الآن تكفّر عن ذنوبك. انظر كيف يتطلعون اليك. انظر كيف

يشير اليك هذا الجمع المتذمر بأصابعه، وإلى هذه الرؤوس  
المتحركة التي تشرّب اليك. آه، يا كلوستر، أغرب عن  
أنظارهم الحاقدة واحبس ذاتك في حجرتك لتبكي هذا العار  
وتلعن اعدائك وهم في الوقت نفسه أعدائي أنا أيضاً.

كلوستر : صبراً يا نلي اللطيفة، إنسي هذا الشقاء.

آه، يا كلوستر، علمني كيف أنسى ذاتي. لأنني عندما أفكر  
بأنني زوجتك الشرعية، وأنت أنت أمير وحامي المملكة،  
يخيّل إليّ أن قدري حتم علي أن أتجول هكذا متلبسة بثوب  
الدناءة وعلى ظهري لوحة مكتوبة، وحشالة الناس تتبعني متهجة  
بمشاهدة دموعي وسماع أناث صدري العميقة. ان الحصى  
القاسي يوجع قدمي الناعمتين، وعندما أتعثر أرى الحساد  
يزمجون ويتطلبون مني أن أكون حذرة حيث أسير. آه،  
يا همفري! هل يسعني أن أحمل هذا النير الثقيل من الذل؟  
هل تظن أنني قادرة على مواجهة العالم أو الحصول على  
السعادة والتمتع بنور الشمس ودفعها؟ كلا ان نوري أصبح  
من الآن وصاعداً ظلاماً دامساً. وجحيمي هو تذكري أيام  
العظمة والرخاء. أحياناً أردد على نفسي أنني زوجة دوق  
همفري وهو أمير رفيع الشأن وسيد البلاد. لكن مع أنه  
سيد وأمير ظل ساكن الأعصاب، بينما أنا دوقته، أمست  
ضحية، وكنت موضوع الإعجاب وقلبة الأنظار، فبتُ  
أضحكة أدنى حقير وسخرية كل منحط. فعليك أن تظل  
هادئاً ولا يحمّر وجهك خجلاً من عاري، ولا يقلق لك  
بال على مصيري، فلن يحصدك منجل الذل والموت، كما  
هو حالني حتماً في القريب العاجل. لأن سوفولك القادر  
على كل شيء، وعلى الحقد الذي شملنا كلنا به، هو ويورك  
والجاحد بوفور رجل الدين المزيف، جميعهم قد طَلّوا الشجرة  
بالدبق ليصطادوك كالعصفور حين يلصق جناحاك به، ومهما

حاولت بعد ذلك أن تطير فعيناً، سوف تصبح اسير اهوائهم،  
لا تقلق ولا تخف أن تقع في الفخ، ولا تحاول أن تنبه  
الى ذلك أعدائك الكثيرين.

كلوستر

: اصمتي، يا نلي، وأقلعي عن هذا المنطق السخيف. لا بد  
لي من أن أكون حقاً مذنباً حتى أعاقب هكذا. وعندما  
يمسي لي عشرون ضعف ما لي الآن من أعداء، ويصبح  
لكل منهم عشرون ضعف ما لهم الآن من نفوذ، لن يقوى  
كل ما حولي على مسي ما دمت محافظاً على وفائي وأمانتي  
التي لا يطلها أي لوم. هل ترغبين في أن انتشلك من هذا  
التدهور؟ على كل حال، لن يمحي عارك وستطالني العدالة  
إن أنا حاولت أن أدوس القوانين. فالازعان، يا نلي اللطيفة،  
هو أول عون لك. أرجوك أن تتعودي على الصبر وطول  
الأناء، لأن هذه الفضيحة لن تدوم سوى أيام، ثم تمر وتنتسى.

(بدخل حارس شاكي السلاح).

الحارس : مطلوب من سيادتك أن تذهب الى مجلس جلالت الذي  
سيلتئم في « بري » في مطلع الشهر القادم.

كلوستر : لم يطلب أحد موافقتي على ذلك قبلاً. يا له من أسلوب  
مريب. مهما كان الأمر، سأذهب (يخرج الحارس). عزيزتي  
نلي، استأذنيك بالانصراف. ويا أيها الحارس، أرجو أن لا  
يتعدى عقابي حدود اوامر الملك.

الحارس : هنا تنتهي مهمتي. لأن سير جون ستانلي هو المكلف حالياً  
بأخذها الى جزيرة « مان ».

كلوستر : هل أنت يا سير جون ستسهر على زوجتي؟

ستانلي : أجل، تلقيت الأوامر بهذا المعنى.

كلوستر : لا تكن قاسياً كثيراً عليها. أرجوك أن تحسن معاملتها. اذ  
ربما ابتسم لي الدهر يوماً، فيمكنني أن أردّ لك جميلك

حينذاك، إن رفقت بحالها، وعلى هذا الأمل أودّعك يا سير  
جون.

الدوقة : هل تمضي، يا مولاي، بدون أو تودعني؟  
كلوستر : دموعي أسطح دليل على أنني لم أعد قادراً على الكلام.  
(يخرج كلوستر وجماعته).

الدوقة : ها أنت ذاهب؟ وكل آمالي قد ذهبت معك، فلم يبقَ لي  
من رجاء. فرحي أضحي الموت الذي كان يتناهي الهلع  
لمجرد سماع ذكره، لأنني كنت أمل بأن تدوم حياتي الرغيدة  
إلى الأبد. أرجوك يا ستانلي أن تذهب وتأخذني معك من  
هنا. لا يهمني إلى أين، لأنني لم أعد أتمسك أية مئة، فقط  
أخذني إلى حيث أمرت أن تقنادني.

ستانلي : وجهتنا، يا سيدتي، هي جزيرة « مان » حيث ستلقين معاملة  
تناسب وضعك.

الدوقة : سأعامل إذاً معاملة سيئة، لأنني لم أعد أعتبر سوى امرأة  
حقيرة، وستكون معاملتي ذليلة.

ستانلي : بل كدوقة وكزوجة دوق همفري. فموجب هذه الصفة  
ستكون معاملتك هناك.

الدوقة : وداعاً أيها الحارس. أتمنى لك سعادة أكثر من التي أنعم  
الآن بها، وإن تكن المنفذ الوحيد لما آلت إليه حالتي التعيسة.

الحارس : لقد قمت بوظيفتي. فأطلب منك السماح.  
الدوقة : أجل الوداع. وقد أتممت مهمتك. فهياً، يا ستانلي، نذهب.  
ستانلي : وأنت، يا سيدتي، انتهى عذابك وتكفيرك. اخلعي عنك هذا  
الكفن، وارتي ثياباً يقتضيها السفر.

الدوقة : إنما لن أخلع عاري مع هذا الكفن، لأنه ملتصق بأغلي  
معاطفي ثمناً. ومهما ارتديت من ألبسة، ستظهر أماراته دوماً  
عليّ. هيا افتح المسيرة إذ إنني أهفو إلى رؤية سجنِي.  
(يخرجان).

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

داخل كيسة ستذموند في « بري »

(تسمع موسيقى. يدخل الملك هنري الى المجلس مع الملكة مرغريت والكردينال بوفور وسوفولك ويورك وبوكنكهام وغيرهم).

الملك هنري : أنا متعجب لعدم حضور كلوستر بعد. فليس من عادته أن يكون آخر القادمين، مهما كان سبب غيابه في هذه المرة. الملكة مرغريت : أولاً ترى في أي وضع هو الآن؟ أولم تلاحظ غرابة وتبدلاً في طباعه، وما يتحله من عظمة وكبرياء منذ مدة. كم أصبح وقحاً ومتعالياً ومدعياً! لقد تغير تماماً. أنا لا أزال أذكر كم كان لطيفاً متودداً. فلمجرد إلقاء نظرة عليه كان يجثو حالاً، وكل البلاط كان معجباً بخضوعه. أما حالياً فإذا صادفته في الصباح مثلاً حين يتمنى كل إنسان لغيره نهاراً سعيداً، تراه يقطب حاجبيه ويغتاظ ويمر صامتاً متصب القامة لا ينحني رغم ما يتوجب عليه من احترام نحوي. عادة أنا لا أكثرث للسفهاء الصغار مهما شاغبوا، بينما يرتجف الكبار عندما يزرأ الأسد. وهمفري في انكلترا

ليس صعلوكاً نكرة. لاحظ أنه من ناحية أسرته، هو أقرب النبلاء إليك. وإذا سقطت فهو أول من يصعد إلى مستواك. لذلك، إن أخذنا بعين الاعتبار الحزازات المعشعة في الصدور والامتيازات التي ستبع وفاتك بعد العمر الطويل، بالنسبة إلى وضعه العائلي، أعتقد بأن السياسة تقضي بأن لا تقربه كثيراً إلى شخص جلالته، وأن لا تقبله في مجالسك. لقد اكتسب قلوب النبلاء بحلاوة لسانه وتمليقه. وحين يحلو له أن يخلق مشكلة لا يستبعد أن ينحاز إليه الجميع. ها قد أقبل الربيع، ولم تقنع الأعشاب الصارة إلا سطحياً. فإذا تركتها تنمو ستحتاج كل الحديقة وتختق النباتات الصالحة في غياب كل عناية ويقظة. إن ما أحفظه لك من فائق المودة والاحترام، يا سيدي، جعلني أكتشف جميع هذه الأخطار التي يهددك بها الدوق. وإن كان ما أبتديه وهماً فيمكنك أن تعتبر ذلك هاجساً نائياً. وإذا استطعت أن تبدد هذه المخاوف بموجبات محسوسة فأنا مستعدة لأن أسلم بها، وإن اعترف بأنني أسأت الظن بالدوق خطأً. يا سادتي سوفولك وبوكنكهام ويورك، أرجوكم أن تدحضوا ادعائي إذا وجدتم إلى ذلك سبيلاً، وإلاً ثقوا بصدق أقوالي.

سوفولك : إن سموك تدينين هذا الدوق بحق، ولو كنتُ الأول في التصريح عن افكاري، لما تأخرت عن قول ما تحدثت به أنتِ يا صاحبة السيادة. فالدوقة استسلمت إلى هذه الأعمال الجهنمية بناء على تحريضه. واقسم بشرفي، إن لم تكن شريكته في جرائمه، فهي على الأقل، بقدر ما كانت تذكر رفعة حبسها كاحدى أقرب نسيات الملك وكوريثة شرعية تفاخر بنبل أسرته، تراها قد اندفعت، هي الدوقة المهووسة المريضة العقل إلى حياكة الدسائس بأساليب مجرمة لاسقاط

مليكننا المحبوب. فالماء يجري بهدوء حيث التيار عميق،  
وتحت المظاهر الملكية، هو نظيرها لم يتورع عن اللجوء  
الى الخيانة. فالثعلب لا يعوي إلا عندما يريد اختطاف الحمل.  
لا، لا، يا مليكي، ان كلوستر رجل ليس لحيله من قرار  
ولا للزُمة من حدود.

الكردينال : أولم يتدع، خلافاً لما ينصّ عليه القانون، ميتات شنيعة شرسة  
لمعاقبة جُنح تافهة؟

يورك : أولم يجمع أثناء قيامه بحماية المملكة، مبالغ طائلة مدعياً  
دفعها لجنود فرنسا، ولم يرسلها اليهم مطلقاً؟ وهذا ما حدا  
بالمدين كل يوم الى اعلان العصيان.

بوكنكهال : هذه هفوات صغيرة بالنسبة الى الأخطاء الكبيرة المجهولة  
التي ستكشفها الأيام القادمة عن دوق همفري الذي يتظاهر  
باللطف والبراءة.

الملك هنري : اسمح لي بكلمة، يا مولاي. ان الهمة التي تبذلها في حصد  
الأشواك التي قد تجرح الأرجل، تستحق المديح. أما من  
ناحية الضمير، فان نسينا كلوستر بريء من كل نية خيانة  
بحق شخصي كملك، أكثر من الحمل الوديع أو الحمامة  
المسالمة. الدوق رجل فاضل ناعم وساع الى الخير، ويستبعد  
أن يضرر الشر أو أن يبغى الأذى.

الملكة مرغريت : ليس من أمر أخطر من هذه الثقة العمياء التي توليه اياها.  
هل حقاً يدل مظهره على أنه يشبه الحمامة؟ في هذه الحالة  
يكون ريشه مستعاراً لأن غريزته تجعله كالغراب الحقود.  
هل هو حمل؟ هنا أيضاً يكون البعض قد خلع عليه حتماً  
جلد الحمل، ما دامت ميوله تحاكي جشع الذئب المفترس.  
قل لي أي سارق لا يعرف كيف يختلس ثروة؟ فاحذره  
يا مولاي، لأن سلامتنا جميعنا متعلقة بإبعاد هذا الرجل اللئيم  
القدار.

(بدخل سومرت).

سومرت : أجمل التحية لمليكي المحبوب.  
الملك هنري : أهلاً ومرحباً بك يا لورد سومرت. ما هي أنباء فرنسا؟  
سومرت : كل أملاكك على تلك الأرض قد انثرت منك بدون امتشاء.  
وضاع كل شيء.

الملك هنري : هذا خبر محزن، يا لورد سومرت. لكن هي مشيئة الله  
ولا مردّ لحكمه.

يورك (على حدة) : النبأ يكدّرني أنا أيضاً، لأنني كنت معتمداً على فرنسا  
بقدر انكالي على انكلترا الخصية. هكذا ذوت أزهار آمالي  
وهي بعد براعم، والتّهم الدود أوراقها وهي في أبهى حلة  
من الاخضرار. انما سأعالج قريباً كل هذه المشاكل أو  
استبدل لقي بقر مجيد يضم رفااتي.

(بدخل كلوستر).

كلوستر : أتني كل السعادة لمولاي الملك. سامحني يا صاحب الجلالة  
على تأخري.

سوفولك : لا، يا كلوستر، نحن نعلم أنك كنت قادراً على الوصول  
قبل الآن أيها المخاتل المنحرف. أنا ألقى عليك القبض هنا  
بجرم الخيانة العظمى.

كلوستر : حسناً، يا سوفولك، لا تنتظر أن تراني أحمرّ خجلاً ولا  
أغيرّ معالم وجهي ارتباكاً. لأن القلب النقي لا يرتعش للتوافه.  
والنّبع الصافي بعيد عن الأوحال كبعدي أنا عن كل خيانة  
بحق مولاي الملك. من يستطيع أن يتهمني؟ وما هو ذنبي؟  
يورك : يُظنّ، يا مولاي، أنك قبضت رشوة من الفرنسيين، وبصفتك  
حامي المملكة احتفظت برواتب الجنود، وهذا أدّى الى افقاد  
جلالته أرض فرنسا.

كلوستر : هذا ما يُظنّ. فمن هم الذين يظنون ذلك؟ أنا لم آخذ أبداً

رواتب الجنود ولم أقبض أية اكرامية من فرنسا. لا سامحني الله، إن لم أكن قد سهرت الليالي تلو الليالي في العمل لخير انكلترا. أرجو أن يكون كل فلس هضمت به حق الملك أو كل درهم حوّلته الى غير محله عقاباً لي يوم الدينونة. لأنني، بالعكس قد صرفت مراراً من جيبي وأنا لا أريد أن أحمل الخزينة العامة المفتقرة أي عبء. أجل لقد دفعت المبالغ الضخمة لتسديد رواتب الجنود، ولم أشأ أبداً أن استعيض عنها من أي باب.

الكردينال : كل هذا جميل وسهل قوله، يا مولاي.  
كلوستر : انا لا أقول سوى الحق، والله شاهد على صدق كلامي.  
يورك : أثناء ممارستك حماية المملكة، ابتدعت لتعذيب المحكومين طرقات لم يسمع بها بشر، ولوثت شرف انكلترا بالظلم والطفيان.

كلوستر : يعرف الجميع اني طوال مدة حمايتي، كانت الشفقة نقطة ضعفي الوحيد لأنني كنت أرق لدموع المذنب، وكانت تكفيني بضع كلمات توبة كفدية وكفارة عن اخطائه. إلا اذا كان مجرمًا سفك دماء، أو لصاً جسوراً خطراً قد سرق أموال المسافرين المساكين، فلم أكن أفرض عليه عقاباً صارماً. لا أنكر أنني عذبت القاتل لأنه مجرم سفك، أكثر من أصحاب جنح المجنون أو غير ذنوب.

سوفولك : يا مولاي، من السهل جداً أن يرد المرء دفاعاً عن هذه الاتهامات، انما تنسب اليك يا كلوستر جرائم خطيرة لا يسعك أن تنكرها أو تكفر عنها بسهولة. لذا أنا ألقى القبض عليك باسم صاحب الجلالة وأسلمك فوراً الى حراسة مولاي الكردينال حتى يحين موعد محاكمتك.

الملك هنري : يا مولاي كلوستر، كل أمني أن تسقط عنك كل شبهة. لأن ضميري يحدثنني بأنك بريء.

كلوستر : مولاي الكريم، ان هذه الأزمنة عصيبة. والفضيلة يخنقها الطمع الأسود، كما أن المحبة يطردها الحقد اللثيم، والفساد المدمر يسود في كل مكان، والانصاف هجر هذا العالم المحبول بالفوضى. أنا أدري ان مؤامرة اخصامي تستهدف القضاء على حياتي. ولو كنت واثقاً بأن موتي يسعد هذا البلد ويضع حداً لاستبدادهم لكنت رضية به قانعاً. لكن موتي سيكون مقدمة لمهازلهم ولألف تمثيلية خداعة غيرها. ومن لا يرتاب بعد هذا الخطر الداهم، لا يمكنه أن يستشف المأساة التي يعدونها. ان عين بوفور الحمراء يتطاير منها الشرر وتنشئ بما يضره قلبه الحقود من سوء، كما هو حال صدر سوفولك المراوغ الذي تملأه الضغينة. أما بوكنكهام الساخر فانه يخفف بالكلام المموه، وقر الحسد الذي يغطي على ضميره الواسع ويشير اليّ بيده المجرمة مهدداً حياتي بما يطلقه عني من التهم الباطلة القاتلة. وأنتَ نظير الآخرين، يا سيدتي، كدستَ بدون سبب على رأسي كل البلايا، وبذلتَ جهديّ لشيري علي غضب ملكي المحبوب وعداءه. أجل، لقد اتفقتم جميعكم على الاطاحة بي. وأنا بذاتي علمت بتشاوركم بغية القضاء علي والتخلص مني أنا البريء. ولن تعدموا شهود زور لإدانتني، ولا خيانة مزعومة تلصقونها بي لزيادة الطين بلة. وما أصدق من قال : لضرب الضعيف ترى العصا دوماً جاهزة.

الكردينال : يا مولاي الملك، هذه الحجج غير معقولة ولا مقبولة. لو كان المخلصون الذين يعفون انقاذ جلالتك من خنجر الغدر والخيانة وحقد الجحود يقابلون هكذا بالتأنيب والاهانة سوء الظن، أؤكد لك أن الوثوق بكلام الجاني يثبط همتهم ويفترّ حماسهم في خدمة شخصك ومصالح عرشك.

سوفولك : أولم يوجّه الاهانات الى سيدتي الملكة؟ وإن تكن هذه

الاهانات مصاغة بأرق الكلمات وألطف المعاني، وهو يردّد  
مراراً وتكراراً ادّعاءه الولاء وحسن النية المبطنة بأسوأ الأهواء  
المؤدية الى الابادة والدمار.

الملكة مرغريت : لكنني أسمح لنفسني بسماع شكوى الخاسر في هذه اللعبة.  
كلوستر : الكلمة أصدق مما تتصورين. أنا خاسر بالفعل. انما الويل  
للرابع الذي خدعني، مع أن من يخسر هكذا يحق له أن  
يعترض.

بوكنكهام : ها هو ينوي التبيّج والمراوغة والمداهنة طوال النهار على  
ما يظهر. مع أنه سجينك يا مولاي الكردينال.  
الكردينال (لرجاله) : خذوا الدوق واحرسوه جيداً.

كلوستر : يؤسفني أن أرى الملك هنري قد رمى بعكازه قبل أن تشتد  
ساقاه وتصبحان قادرتين على حمله. وهكذا يكون الذئاب  
قد طردوا الراعي الأمين وأبعدوه عنك ليتسنى لهم أن يرفعوا  
عواءهم ويشبوا عليك ليغرزوا أنيابهم فيك ويفترسوك. أتمنى  
أن تكون مخاوفني في غير محلها، بل أسأل الله أن أكون  
واهماً. لكنني على يقين بأنني أرى الأمور بكل وضوح، أيتها  
الملك الكريم، وأشعر بأن أعداءك يغنون اسقاطك واهلاكك.  
(يخرج كلوستر بعمية الحراس).

الملك هنري : ارجوكم، يا سادة، أن تتصرفوا حسب ما تمليه عليكم  
حكمتكم. يمكنكم أن تأمروا وتنهوا هنا باسمي كأنكم  
شخصي بالذات.

الملكة مرغريت : هل تريد جلالتك أن تغادر هذا المجلس؟  
الملك هنري : نعم، يا مرغريت، فالألم يعصر قوّادي، وتوشك أمواجه  
المتلاطمة أن تفيض دموعاً من عيني. وأحسّ بأن الشقاء  
يجثم كالكابوس على صدري، لأن لا عذاب يفوق عدم  
الرضى. ثبّاً لك، يا عمي همفري، أرى على محياك سمات

الشرف والصراحة والوفاء، وحتى هذه الساعة لم تفسح لي المجال لأشكّ بشخصك وباخلاصك، يا همفري الكريم. فماذا حدث لك حتى انقلبت عليّ وضمرت لي الشر، فألب عليك هؤلاء اللوردات مع ملكتي مرغريت، وباتوا يرومون طمس براءتك ويسعون الى ازالته من الوجود. اعتقد بأنك لم ترد شراً لا بهم ولا بأي أحد. وكما يأتي الجزار بالحمل المسكين ويربطه ويصرعه عندما يتعد عن طريق المسلخ الدامي، هكذا ينتزعك هؤلاء القساة من هنا. وكما تلهث الأم راكضة هي تجدّ في البحث عن ولدها البريء الضائع، لا يسمعا إلا النحيب والبكاء على فقده، هكذا أنا آسف لسوء حظك يا كلوستستر، واذرف الدمع السخين بدون أن أقوى على انقاذك يا عزيزي. انظر اليك بعين دامعة وأنا عاجز عن ردّ عدوان اخصامك عنك، لا أستطيع سوى التهنّد والتلفّ على مصائبك. وبين دمعة ودمعة أقول وأردّد : ان كان فعلاً هناك من خائن فحتماً لست أنت يا كلوستستر.

(يخرج)

الملكة مرغريت : أنتم بعيدون عن كل شبهة، فالثلج البارد ينوب في حرارة الشمس المحرقة. ومولاي هنري بارد تجاه اهم مصالحه، وعطوف على نوسلات هذا المهروس. وظواهر كلوستستر تبهره نظير التماسح المتباكي الذي يوقع المسافرين الشفوق في فخ تنهّداته، أو كالحية الرقطاء التي تختفي بين الزهور الملونة الجذابة وتلسع الولد الذي يتأمل جمالها. صدقوني أيها اللوردات، لو لم يوجد من هو أعقل مني، وفي هذا المجال أعتقد بأنني عاقلة كفاية لما أمكن التخلص من كلوستستر هذا ومن المخاوف التي يوحى بها لؤمه الغدار. الكردينال : القضاء عليه اذاً، في نظري أنا أيضاً، هو أفضل سياسة.

انما تنقصنا حجج الادانة. فلا بد من من يحاكم بموجب القوانين المرعية الاجراء.

سوفولك : انا أعتقد بأن هذه ليست سياسة حكيمة. لأن الملك يسعى دائماً لانقاذ حياته، والنواب يعترضون ويسعون الى تخليصه، ونحن ليس لدينا سوى حجة واهية هي الشك لتبرير الحكم عليه كمجرم.

يورك : اذا أنتم لا ترومون التخلص منه.

سوفولك : ما هذا الكلام يا يورك؟ لا أحد مثلي يؤدّ القضاء عليه. يورك (على حدة) : انا من صالحى أكثر من سواي أن يموت. انما أرجو مولاي الكردينال كما أرجوك أنت يا مولاي سوفولك، أن توضحوا لي رأيكم وتكلموني بمتهى الصراحة. أولاً يكون تكليف نسر حائم بحماية دجاجة من حدأة جائعة أفضل من ابقاء همفري في منصب حامى الملك والملكة؟

الملكة مرغريت : في هذه الحالة تكون الدجاجة على يقين بأن موتها العاجل محتم.

سوفولك : هذا صحيح يا مولاي. أوليس من الغباء أن نوكل الى ذئب أمر حراسة القطيع؟ ومهما تفاقمت الشكوى من حيله المؤذية، أن نغض الطرف عن نواياه الشريرة بحجة أنه لم ينفذ بعد مآربه. كلا، ثم كلاً. ليمت قبل أن تتخضب ثيابه بالدم الزكي. ليمت همفري الذي عرفنا عداه الطبعي لأترابه، لأن جميع الأدلة تثبت قولى بأنه خصم الملك اللدود. ولتجنب أي جدال في موضوع الوسيلة اللازمة لقتله. ليمت بألة أو يفتح أو بشرك، نائماً أو مستيقظاً. المهم أن تزهق روحه فترتاح منه. لأن الرقة مباحة ممن يُياغت متلبساً بجرم السرقة.

الملكة مرغريت : نبيل ثلاثة أضعاف من يتكلم بديارية وقصد هكذا.

سوفولك : لا يفيد القصد اذا لم يتبعه التنفيذ. وصدق من قال ان قيمة

القصد في اقترانه بالعمل. هنا أجد قلبي يوافق لساني على اعتبار أن هذا العمل يستحق الاقدام عليه لأنه يقي مليكي من شر أعدائه. ألقظوا كلمة واحدة فأقوم بأصعب المهمات. الكردينال : أنا أريد له الموت، يا لورد سوفولك، حتى قبل أن تصلك الأوامر اللازمة للتنفيذ. قل انك موافق، وانك تصادق على إنزال العقاب به، وأنا مستعد لإيجاد من يتولى انجاز المهمة لأنني أتوق الى انقاذ حياة مليكي. سوفولك : ها أنذا أمدّ اليك يدي، لأن القضية تتطلب المبادرة. الملكة مرغريت : وأنا أوافق على هذه الفكرة. يورك : وأنا كذلك. والآن وقد أبدينا نحن الثلاثة رأينا بصراحة لا يهمنّا من يلوم تصرفنا.

(يدخل الرسول).

الرسول : أيها اللوردات الكرام، أنا آتٍ بعجلة من ايرلندا لأعلمكم بأن المتمردين باشروا القتال، وقد أعملوا السيف في رقاب الانكليز. فأرسلوا النجدة، أيها اللوردات، وأوقفوا حالاً ثورتهم قبل فوات الأوان لئلا يصبح الجرح غير قابل المعالجة، والأمل بمداواته وشفائه كبير ما دام حديث العهد.

الكردينال : هذه ثغرة علينا أن نسدّها بسرعة قبل أن يستفحل الأمر. فما هي نصيحتكم في مثل هذا الموقف العسير. يورك (بسخرية) : أن يرسل سومرست الى هناك بصفة وصي. اذ لا فضل من ايفاد حاكم مثله، ما دام نجاحه في فرنسا يشهد على قدرته الفريدة.

سومرست : لو كان يورك، بسياسته المعقدة وصياً مكاني، لما مكث في فرنسا هكذا طويلاً.

يورك : طبعاً لا. وإلاّ كان فقد كل شيء كما فعلت أنت. كنت أنا أفضل أن أموت باكراً وأن لا أصل الى هذه النتيجة

المشيئة، وقد بقيت هناك الزمن اللازم لخسارة كل شيء.  
أرني أثر جرح واحد فقط على جلدك، فالرجال الذين  
يحافظون هكذا جيداً على بشرتهم السليمة نادراً ما يتصورون.  
الملكة مرغريت : هذه شرارة لا تلبث أن تنشر الحريق الملتهب، لا سيما  
إذا ساعدت الرياح على امتداد ألسنة اللهب. كفى، يا يورك  
الكريم، وأنت يا عزيزي سومرست هديّ روعك، لو كنت  
أنت الوصي على فرنسا لكان نصيبك أقطع مما حلّ به.  
يورك : ماذا تقول؟ هل هناك أفدح من هذه المصيبة التي ألحقت  
الخزي والعار بنا جميعاً؟

سومرست : وقد لحق بك بنوع خاص، لأنك تخشى أن يكون الأمر  
هكذا.

الكردينال : يا لورد ورويك، جرّب حظك. ان جماعة كيرن، وحوش  
ايرلندا، مدججون بالسلاح ويروون الأرض بدماء الانكليز.  
فهل تريد أن ترسل الى هناك نخبة من رجال أشداء مختارين  
من جميع المناطق، وتجرب حظك في محاربة الايرلنديين؟  
يورك : أنا أريد من كل قلبي، يا مولاي، اذا وافق الملك على ذلك.

سوفولك : ان موافقتنا معناها قبوله هو أيضاً، لأنه سيؤكد حتماً ما  
نقرره نحن. وهكذا يتولّى النبيل يورك القيام بهذه المهمة.  
يورك : انا موافق. أوجلووا لي جنوداً، أيها اللوردات، بينما أنا أجهز  
نفسي.

سوفولك : اتكل عليّ، يا لورد يورك. لكن، لنعد الآن الى اللعين همفري.  
الكردينال : لا حاجة للكلام مجدداً في موضوعه. فأنا أتصرف تجاهه  
بطريقة لا تزعجنا من الآن وصاعداً. وعلى هذا الأساس  
دعونا نعجل في التنفيذ، لأن النهار يوشك أن ينتهي.  
وستحدث أنا ولورد سوفولك في هذا الأمر.

يورك : يا لورد سوفولك، بعد أربعة وعشرين يوماً سأنتظر جنودي

في مدينة بريستول لأنني أنوي أن أبحر بهم من هناك الى  
ايرلندا.

سوفولك : سأبذل قصارى جهدي ليكون كل شيء جاهزاً، يا لورد  
يورك.

(يخرج الجميع ما عدا يورك).

يورك : حان الوقت لكي أشحذ زناد افكاري البليدة ولأحوّل الشك  
الى قصد ثابت. فعليّ أن أكون ما أتمنى أن أصبح اليه،  
أو أترك للموت ما أنا عليه الآن لأنني لا أستحق البقاء.  
يجب أن أدع عني الخوف الزري للرجل الجبان ولا أسمح  
للفزع أن يعشعش في قوّادي الملكي. وبأسرع من أمطار  
الربيع سأرى الأفكار تخلف الأفكار، ولا واحد من خواطري  
يذهب الى الاستيلاء على السلطة. ان دماغي الذي يعمل  
باجتهاد أكثر من العنكبوت يحوك الحائث المحكّمة لليل  
من اختصاصي. جيد جداً، أيها النبيل، جيد جداً. فإن ارسالي  
على رأس جيش هو تدبير سياسي بارع. لكنني أخشى أن  
تكون بادرتك عاملاً على تحريض الأفعى الجائعة التي تداعب  
قلبك كي تلدغ قوّادي. كان هؤلاء الرجال من أفقرّ اليهم،  
وشئت أنت أن تزودني بهم، فأشكرك على كرمك شكراً  
جزيلاً، انما كن على ثقة بأنك تضع الأسلحة الفتاكة في  
أيدي غاضبة. وبينما في ايرلندا سأقتل بزمرة رهينة، سأقدم  
على إثارة عاصفة هوجاء في انكلترا تطيح بعشرة آلاف نفس  
ترسلهم الى السماء أو الى الجحيم، لا فرق عندي. وهذه  
العاصفة المريعة لن يتوقف هبوبها إلا حين يهدئ التاج الذهبي  
الذي سيكلّل رأسي نظير الشمس الساطعة، هذه الثورة  
المهووسة التي تأجج نارها في صدري. ولكي أنفذ مآربي  
ساندت رجلاً عتيداً من مقاطعة كنت هو جون كاد آشفورد

الذي لن يتورع عن أي جرم لتحريك الفتنة واذكاء لهيها باسم جون مرتيمور. لقد رأيت كاد هذا الشرس يقاتل في ايرلندا جماعة كارن ويحارب مدة طويلة حتى انتصب شعر ساقيه كمسلات القنفذ وفي آخر المطاف عندما أفرغ الساحة من المقاتلين الذين قضى عليهم، أبصرته يطير طرباً بخفة عجيبة كأنه راقص أفريقي ماهر يهز مسلات رجله الدامية كما يهز الراقص اجراس خلخاله. وكثيراً ما، تحت مظاهره الخيثة كأحد أفراد كارن المشعشع الشعر، تحدث الى الأعداء، وقبل أن يفتضح أمره رجع لينبئ بخيانتهم. هذا الشيطان سيحل محلي هنا، بسحته وصوته المجلجل الذي يشبه جون مرتيمور قبل أن تختطفه المنية. ومن هنا سأشاهد استعدادات الشعب ومقدار استلطافه لأسرة يورك وألقابها. فعلى افتراض انه مهووس ومتعجرف ومزعج، ورغم كل التضيقات المفروضة عليه، أنا على يقين بأنها لن تدعه يوح بأني أنا الذي دفعته الى حمل السلاح. ولنفترض أنه نجح كما يغلب ظني، حيثذ أعود من ايرلندا بقواتي وأجمع محصود ما زرعه هؤلاء الأندال، ويكون هنري قد أزيح من طريقتي وسيطرت أنا على الموقف.

(مخرج).

## المشهد الثاني

في برى، داخل القصر

(يدخل اثنان من القتل بانسراع).

القاتل الأول : اسرع، يا لورد سوفولك، واعلم بأننا قضينا على اللوق طبقاً للأوامر التي تلقيناها.

القاتل الثاني : هل حقاً أنجزت المهمة؟ ماذا جرى؟ هل سمعت في حياتك كلاماً أبهج من هذا؟

(يدخل سوفولك).

القاتل الأول : ها أنا ذا يا مولاي اللورد، رهن إشارتك.

سوفولك : هل فعلاً بلغنا الغاية المنشودة؟

القاتل الأول : نعم، أيها اللورد الكريم، لقد أزهقت روحه.

سوفولك : هذا رائع. اذهب وانتظراني في قصري. سأكافئكما على عملكما الجريء. فالملك وجميع النبلاء هم قريون من هنا.

هل رتبتم السرير؟ هل تم كل شيء حسب تعليماتي؟

القاتل الأول : أجل، أيها اللورد الجليل.

سوفولك : هيا اذهب بسرعة.

(يخرج القاتلان).

(تسمع موسيقى. يدخل الملك هنري والملكة مرغريت والكرديتال بوفور وسومرست واللوردات وشخصيات أخرى).

الملك هنري : أنض، واطلب من عمي أن يحضر إليّ. قل له انني ارجب في محاكمة اللوق اليوم لأرى إن كان مذنباً كما يشاع عنه.

سوفولك : انا ذاهب لاستدعائه في الحال، يا مولاي النبيل.

(يخرج).

الملك هنري : أيها اللوردات، استريحوا في أمكنتكم، وأرجوكم أن تتصرفوا  
بدقة وحكمة حيال عمي كلوستستر، كما أطلب ذلك من  
الشهود المحترمين الذين سيؤكدون أو ينفون سوء سلوكه.  
الملكة مرغريت : لا سمح الله أن يكون أي أثر للحقد في الحكم على  
سيد كبير بريء. وكل أمني أن يأتي خالياً من كل تصرف  
مريب.

الملك هنري : اشكرك يا مرغريت على هذا الكلام الرصين الذي أعجبني  
كثيراً.

(يدخل سوفولك).

ما الأمر؟ لماذا أنت شاحب الوجه هكذا؟ لماذا ترتجف؟  
أين عمي؟ ماذا جرى يا سوفولك؟  
سوفولك : مات كلوستستر، يا مولاي. فارق الحياة وهو في سريره.  
الملكة مرغريت : آه! نجنا يا الهي!  
الكردينال : هذا حكم سري أصدره الله عليه. لقد حلمت هذه الليلة  
بأن الدوق أصابه البكم، ولم يعد يستطيع أن ينسب بنت شقة.  
(يعني على الملك).

الملكة مرغريت : ماذا حلّ بمولاي؟ النجدة أيها اللوردات. مات الملك.  
سومرست : اجلسوه جيداً على مقعده. واقربوا له لحمه، لئلا نرى ردة الفعل.  
الملكة مرغريت : اسرعوا إلى نجدته. النجدة، النجدة. آه! يا هنري، افتح  
عينيك.

سوفولك : ها قد عاد إلى وعيه. هذئي روعك، يا سيدتي.  
الملك هنري : يا الهي، ماذا حدث لي؟  
الملكة مرغريت : كيف صرت، يا مولاي الكريم؟  
سوفولك : تشجّع، يا مليكي. تجلّد، يا عزيزي هنري.  
الملك هنري : ماذا اسمع؟ هل حقاً أرى لورد سوفولك يشدّد عزمي؟

منذ هنيهة جاء يدمدم كالغراب نعيماً مريعاً شلّ جميع قواي  
 الحيوية. وهو يظنّ أن هدبل قبرة، كهذا الرياء الخارج من  
 قلب كالصخر الأصم، يستطيع أن يبدّد عني شدة تأثري  
 للوهلة الأولى. لا تخف سمومك وراء هذا الكلام المعسول.  
 لا أريد أن تلمسني يدك، بل أقول لك : ابتعد عني. اغرب  
 عن نظري يا رسول الشؤم، لأنني أرى في عينك البطش  
 الغادر معشعشاً بهوله الشنيع الذي يهرب الأذهان. لا تنظر  
 إليّ هكذا، لأن عينك تجرحان قلبي، مع ذلك لا تذهب،  
 بل اقرب أيها المسخ، واقتل بلحظك الرجل الشريف البريء  
 الذي يتأملك في هذه اللحظة الحاسمة لأنني في أحضان  
 المنيّة سألاقي البهجة والأمان. فالحياة بالنسبة إليّ لم تعد  
 إلا موتاً مزدوجاً، منذ أن رحل كلوستتر عن هذه الدنيا.

الملكة مرغريت : لماذا تهين هكذا لورد سوفولك؟ وإن كان الدوق عدوّه،  
 فأني آسف جداً لموته. أما أنا، فمهما كان في نظري معادياً،  
 وإن ذرفت سيلاً من الدموع، وصعدت من الزفرات ما يمزق  
 الفؤاد، ومن الآهات ما ينشف الدم حتى لو ردت إليه الحياة،  
 أنا مستعدة لتقبل العمى من شدة نحبي وللمرض من شدة  
 كمدي، وللإصفرار نظير أوراق الخريف من شدة قهري،  
 كي أعيد الدوق النبيل إلى الحياة. من يدري ما يسع الناس  
 أن يفكروا به عني. فالمعروف أننا كنا صديقين غير حميمين،  
 وربما ظن البعض أنني أنا التي قضيت على الدوق. وهكذا  
 شتوه سمعتي ألسنة النيمة، وبلاطات الأمراء المتهلّية ستلوك  
 ما تلتصقه بي من العار. هذا ما ينوبني من موته. فكم أنا  
 تعيسة لكوني ملكة باتت تتوجها الدناءة.

الملك هنري : مسكين أنت، يا كلوستتر. ما أشقاك!

الملكة مرغريت : مسكينة أنا، ما أسوأ حظي! عليّ أن أدير وجهي وأخفيه  
 عن الأنظار. أنا لست مصابة بالبرص المعدي انظروا إليّ.

هل أصبحت مكروهة كالأفقى؟ ألا كن ساماً مثلها واقتلني  
انا الملكة الملوّعة. هل أضحي هناؤك مدفوناً معك في القبر،  
يا كلوستستر؟ في هذه الحالة، أنا السيدة مرغريت، لم أدخل  
أبداً أي سرور الى قلبك. أرفع تمثال الدوق وأعبده، واجعل  
من صورتني عنوان خَمّارة بذيّة. فهل لأجل ذلك كدت  
أن أغرق في البحر، وقذفتي الرياح مرتين من شاطئ انكلترا  
الى سواحل بلادي؟ هذا ظنّ لا غير، بل تنبيه سماوي من  
الجوّ يقول لي: لا تبحي عن جحر العقرب، ولا تطاي  
بقدمك بعد اليوم هذا الشاطئ الجاحد. ماذا كنت أفعل أنا؟  
كنت ألعن ثروات الأصدقاء ومن أطلقها من قمقمها النحاسي.  
وكنّت أقول لهم أن يهبّوا نحو الشاطئ الانكليزي المبارك،  
أو أن يقذفوا بسفيتتنا الى صخرة هائلة. لكن، « إيلول » اله  
الرياح لم يشأ أن يصبح قاتلاً، فترك لك هذه المهمة الفظيعة.  
فرفض البحر المتّوجّ برفق، وأبى أن يتلعي لأنه كان يعلم  
أنك ستغرقني بشراستك، وأنا على اليابسة، في دموع مريرة  
نظير أمواجه المتلاطمة. فغاصت الصخور المجوّفة في الرمال  
المتحركة، وامتنعت عن تحطيمي على جوانبها الخشنة ليتمكن  
قلبك المتحجر كالصوّان من إهلاك مرغريت في قصرك.  
وطالما كنّت أميّر الشواطئ الصخرية، كانت العاصفة تبعدنا  
عن الساحل، فوقفت على متن السفينة وسط العاصفة، وعندما  
غابت السماء المظلمة عن عيوني التواقّة الى رؤية بلدك،  
انترعت من عنقي جوهرة ثمينة، وكانت عبارة عن قلب  
محاط بأحجار الماس رميته من يدي فطواه البحر وتمنيت  
حيثُ أن يرحب صدرك هذا بقلبي. وعلى هذا الأساس،  
بعد أن غابت انكلترا الجميلة عن بصري، حرّمت على عيوني  
أن تتبع قلبي، وقد وصفتها بأنها نظارات عميان مشوّشة،  
لأنها فقدت هكذا منظر ساحل ألبيون الذي كنّت أتوق اليه.

كم من مرة دعوت سوفولك، وهو صنعة علم استقرارك  
الأسود، الى الجلوس بجانبني والى سَخري برواياته الرائعة،  
كما فعل في الماضي «أسكاني» الذي قصَّ على «ديدون»  
المهووسة ما أتاه والده من أعمال في طروادة المشتعلة.  
أولست أنت أيضاً، تحت تأثير السحر نظيرها؟ أولست جاحداً  
مثله؟ وأسفاه! لم أعد أقوى على التحمّل أكثر من هذا.  
فموتني إذًا، يا مرغريت لأن هنري ييكي بسبب رويتك تعيشين  
طويلاً.

(تسمع ضجة من داخل المسرح. يدخل ورويك وسالزيري ويتزاحم الناس  
على الأبواب).

ورويك : يقال، يا مولاي القدير، أن دوق همفري الكريم قد قتل  
في خيانة حرّض عليها سوفولك والكردينال بوفور. وإذا  
بالشعب نظير فقير نحل هائج فقدَ ملكته، انتشر في جميع  
الجهات، وأضحى على أتم الاستعداد لعقص أي كان انتقاماً.  
لقد تمكّنت من امهال انفجار غضبه حتى يطلع على ظروف  
هذه الحيلة الغامضة.

الملك هنري : مات الدوق، يا ورويك الكريم. وهذا نبأ صحيح لا يقبل  
أدنى شك. لكن كيف مات؟ الله يعلم. أما أنا هنري فلا  
أدري. أدخل غرفته وافحص جثته الهامدة وفتر لي هذا  
اللغز المفاجئ.

ورويك : ها أنا أروي لك كيف يا مليكي. ابقَ هنا، يا سالزيري،  
ابقَ مع جماعة المشاغبين حتى أعود.

(ينهب ورويك الى غرفة داخلية وينسحب سالزيري).

الملك هنري : أنت يا من تدين كل الناس، غير أفكارى المهرقة وأقع  
نفسى الحائرة بأن لا أيادي عيفة حاولت ازهاق روح  
همفري. فاذا خاب ظني، سامحني يا إلهي لأن الدينونة من

خصائصك وحدك. كم أود أن أمضي لأدفي وجنتيه الشاحبتين  
بعشرين ألف قبلة وأغسل وجهه العابس بسيل من الدموع  
الحري، وأعلن تعلقي به أمام جسمه الأبيم الأصم، فيشعر  
بيدي تلامس يده الفاقدة الحس. لكن كل هذا العطف المفرط  
صار باطلاً، ومنظر صورته الأرضية الفانية تضاعف آلامي.  
(يفرض سرير عليه جسم كلوستر مملداً).

ورويك : اقرب، يا مليكي الكريم، والتي نظرة على هذا الجسم.  
الملك هنري : كي أرى قبري العميق حيث دفنت أفراحي الأرضية مع روحه،  
وإذ أشاهده، أبصر حياتي في قعر حفرة الموت.

ورويك : بقدر ما تأمل نفسي في العيش برفقة ملك مجل، كان  
يؤمن لنا وجودنا ويخلصنا من غضب أبيه، أعتقد بأن يديه  
الطاهرتين حاولتا القضاء على حياة هذا الدوق الواسع الشهرة  
والجاه.

سوفولك : هذه موعظة مخيفة تلقى بصوت جهوري. فما هي البراهين  
التي يقدمها لورد ورويك على صحة ما أعلنه؟

ورويك : انظر كيف صعد الدم الى وجهه. كثيراً ما شاهدت خلائق  
ماتة موتاً طبعياً، أجسامها بلون الرماد، هزيلة شاحبة لا  
رونق لها، وقد انكفاً دمها بكامله نحو القلب المنازع الذي  
يلتصق في عراكه مع المنون نجدة تعينه للتغلب على محتته.  
فيجمد الدم عندئذ مع القلب ولا يعود يصبغ الوجنتين  
ويحليهما باحمراره. لكن انظر الى محياه المكفهراً المتنفخ  
كمدأ، والى مقلتيه الجاحظتين الغريبتين عما كانتا عليه وهو  
حي، وهما جامدتان وجلتان كأنهما تخصان رجلاً مخنوقاً،  
وشعره المنتصب وأنفه المتصلب من شدة التشنج، ويداه  
ممتدتان نظير من يدرأ الخطر دفاعاً عن حياته المهددة وقد  
شلّ الغدر حركته. انظر الى هذا الشعر المبعثر الملصق

بالوسادة، وإلى لحيته المرتبة عادة، كيف شتتها التشميث  
وقد انتصبت كالقنفذ المرتعد، نظير سنابل القمح التي طرحتها  
العاصفة أرضاً وبددتها سيول الأمطار. من غير الممكن أن  
لا يكون قد قتل : لأن أصغر هذه الدلائل يشكل برهاناً  
على مصرعه العنيف.

سوفولك : من قتل الدوق، يا ورويك، أنا وبوفور كنا وضعناه تحت  
حمايتنا، ونحن لسنا مجرمين، يا سيدي، على ما أعتقد.

ورويك : لكنكما كلاكما كنتما عدوين لدودين لدوق همفري. وكان  
هو في الواقع تحت حراستكما. فمن الأرجح أن لا تكونا  
راضين عن اعتباره صديقاً، فلكي، على ما يظهر، من يناسبه  
العداء فقضي عليه.

سوفولك : المبكر الذي حصد دوق همفري.

ورويك : من منا اليوم، إذا رأى نجمة مذبوحة تتخبط بدمها وإلى  
جانها جزار وسكين، لا يتهم هذا الجزار بأنه هو الذي  
ذبحها؟ أجل، من منا لا يرى الصقر في عش الحمامة ولا  
يحزر كيف ماتت، رغم أن الطائر الكاسر لا يكون مقاره  
ملوثاً بالدم. وهذه المأساة التي شهدناها لا تختلف في الاتهام  
عما ورد ذكره الآن.

الملكة مرغريت : فهل أنت هذا الجزار، يا سوفولك؟ أين سكينك؟ وهل  
بوفور هو الحمامة؟ ثم أين مخالبك؟

سوفولك : أنا لا سكين عندي لذبح الناس النيام. إنما هذا سيفي المنتقم  
الذي أكله الصدا لأني لم أشهره منذ زمن طويل. لكني  
سأغمده في صدر كل حاقد نمام يوجه إليّ تهمة القتل  
الدينية. تجاسر إذًا، يا لورد ورويك شاير المتشامخ، على  
القول إني مجرم، وإني قتلت دوق همفري.

(يخرج الكردينال وسومست وغيرهما).

ورويك : ما الذي لا أجرؤ على عمله أنا وورويك، إذا تحدّاني الجاحد سوفولك؟

الملكة مرغريت : لن يسعك أن تتمالك حتماً فورة مزاجك المهان، ولا الغضب لكراحتك المداسة.

ورويك : أرجوك، يا سيدتي، أن تصمتي. هذه نصيحتي لك بكل احترام. لأن كل كلمة تنفّوّهين بها لصالحه تضرّ بمقامك الملكي الرفيع.

سوفولك : أيها اللورد الخشن الطباع، الفظّ السلوك، إذا أهانت امرأة سيدها الى هذا الحدّ، تكون والدتك هي التي استقبلت في سريرها صعلوكاً من شذاذ الآفاق وطمعت جذعاً نضيراً بغصن برّي أنت ثمرته، لأنك لا تنتمي مطلقاً الى ذرية آل نافيل العريقة المنبت.

ورويك : لو لم يطلّك جرم القتل، ولو خشيت أنا أن أحرم الجلاد من أجره، وأن أنتشلك من التلبس بألف عار، ولو لم يفرض حضور مليكي عليّ التزام الهدوء لكنت أجبرتك حالاً، أيها السفّاك الخيس الجبان، على الرجوع أمامي وطلب الصفح مني عمّا تلفّظت به الآن، وعلى الإقرار بأنك كنت تتكلم عن أمك، وأنك أنت اللقيط الذميم الذي ألّمت اليه. وبعد هذا الصنيع الذي يدل على الخوف، انفحك أجرك وأرسل روحك الى الجحيم، يا حقير، يا مصاص دماء الرجال النيام.

سوفولك : ستكون أنت مستيقظاً عندما سأهدر دمك، إذا تجرأت على الخروج معي الآن من هنا.

ورويك : هيا بنا على الفور، أو أقتلحك أنا من هذا المكان، كما يُقتلّع العليق. ومهما كنت بلا كرامة، سأنازلك وأثأّر لشرف دوق همفري ضحيتك.

(يخرج سوفولك وورويك).

الملك هنري : أي درع أمتن من القلب النقي؟ إنه أصلب الدروع طرّاً،  
ما دامت قضيته عادلة. أما من يلطخ ضميره بالانحطاط والقلق،  
فهو في الواقع مجرد من أي درع، وإن كان مسلحاً بصفائح  
من الفولاذ.

(تسمع ضجة من داخل المسرح).

الملكة مرغريت : ما هذا الضجيج؟

(يدخل سوفوك وورويك وسيف كل منهما مثل).

الملك هنري : ما معنى هذا، أيها اللوردات، وقد جرّد كل منكما سيفه  
هنا بوجه الآخر أثناء حضوري؟ هل بلغت بكما الجسارة  
هذا الحد؟ وما سبب هذه الضجة الصاخبة؟

سوفوك : مولاي، ان ورويك ورجال « بري » يهاجموني بأجمعهم،  
يا صاحب الجلالة القدير.

(تسمع أصوات جمهور من داخل المسرح، يدخل سالزيري).

سالزيري (للجمهور) : ظلوا على الحياد، يا سادة. فالملك سيستمع الى  
أقوالكم. وأنت أيها المولى المعظم، يود عموم الشعب أن  
يلفوك، إذا لم تعاقب الخائن سوفوك حالاً بالموت أو بالنفي  
الى خارج بلادنا الجميلة انكلترا، إنهم جميعاً سيقدّمون يداً  
واحدة على اقتلاعه من القصر بالعنف ويزهقون روحه، بعد  
أن يذيقوه مرّ العذاب. يقول الأصدقاء أنه هو الذي سبب  
موت دوق همفري، وأنهم يخشون أن يقدم على قتل جلاتك  
أيضاً لأنهم يكتّون كل مودة ووفاء لشخصك المفدى، نظراً  
الى ما يعصف في نفوسهم من روح النعمة والتنديد بتصرفات  
هذا الوقح السافل الذي يطلبون إبعاده حفاظاً على حياتك  
الغالية يا صاحب الجلالة. وإلا لما كانوا أزعجوا ما تروم

أن تخلد اليه من الراحة والنوم الهني. مع ذلك، كن على يقين، يا صاحب الجلالة، بأن قرارهم لا رجوع عنه في ما يخص حماية حياتك من الحية الرقطاء التي تمدّ لسانها الى جلالتك لتلسعك في هدأة الليل وتحول ما تنوخواه من راحة في النوم الى رقاد أبدي، لا قدر الله. لذلك هم يهتفون بأنهم مصممون على صيانة سلامتك الغالية شئت أم أبيت، من هذه الأفعى السامة المتجسدة في الخائن سوفولك ذي الأنياب الحادة التي نفثت السم القاتل في عروق عمك الحبيب وحرمته الحياة، وهو يساوي عشرين مرة هذا الحقير التن.

الشعب (من داخل المسرح) : نريد جواب الملك، يا لورد سالزبري.  
سوفولك (لسالزبري) : عجيب أمر هذا الشعب المغفل الشرس، الذي يبعث بمثل هذه الرسالة الى مليكه. وأنت يا مولاي، لم ترَ من غضاضة على نقلها بنفسك لتظهر براعتك وفصاحتك الخطابية. إنما ما كبه سالزبري من شرف هو وجوده الى جانب مولاي الملك كسفير هذه الجماعة من صانعي القدر الرخيصة.

الشعب (من داخل المسرح) : نريد جواب الملك، أو نخلع الأبواب عتوة للدخول إليه.

الملك هنري : هيا، يا سالزبري، قل لهم جميعاً من قبلي اني أشكرهم على مودتهم وعظفهم، فأنا كنت مزمعاً أن ألبي رغبتهم لو لم يطلبوا مني ذلك. لأنني في الحقيقة أشعر في أعماق نفسي بأن سوفولك يهددني ويهدد كيان المملكة بشر مستطير. وبناء على ذلك أقسم لهم بجلال من أمثله أنا على الأرض بدون استحقاق، بأنه لن يلوّث هواء هذه البلاد أكثر من ثلاثة أيام سيلاقى بعدها حتفه المحتوم.

(يخرج سالزبري).

الملكة مرغريت : يا عزيزي هنري، دعني أشفع بحياة سوفولك الذي يستحق كل إكرام.

الملك هنري : ثبًا لك من ملكة عديمة الكرامة. كيف تجسرين على القول إن سوفولك يستحق كل إكرام؟ قلت لك اصمتي، وإذا واصلتِ شفاعتك لإنقاذه فلن تزيدني غصبي إلا اشتداداً. إنني مصمم على تنفيذ ما أعلنته، وأنت تعلمين جيداً أن ما أقسم على إجرائه لا رجوع عنه. فإذا وجدت نفسك بعد ثلاثة أيام على أرض تابعة لمملكتي، فإن العالم بأجمعه غير قادر على إنقاذ حياتك. تعال، يا عزيزي ورويك، تعال يا ورويك الفاضل لأخرج وإياك، لأنني أودّ أن أطلعك على أمور هامة. (يخرج الجميع ما عدا الملكة وسوفولك).

الملكة مرغريت : ليلازمكما الحزن والشقاء، وليصحبكما اليأس المرير، وليكن إبليس ثالثكما وليقصّر الانتقام المثلث عليكما معاً. سوفولك : كفّي أيتها الملكة العزيزة عن هذه الأدعية، واتركي خادمك الأمين سوفولك يودّعك والأسى يحزّ في قلبه. الملكة مرغريت : سحقاً لك يا شبيه أحقر النساء، يا أخطأ الجناء. أوليست لديك الجرأة لتلعن أعداءك؟

سوفولك : ليحصدهم منجل الطاعون. لكن لماذا ألعنهم؟ لو كانت اللعنات تقتل نظير ما تسببه حشيشة سامة لابتكرت أفظع الألفاظ النابية الجارحة وقذفها وأسنانني تصطك هياجاً مع سائر إمارات الحقد الذي لا يرحم كالحسد البغيض المعشعش في صدر اللثيم. لن يعجز لساني عن رمي كلامي كالحصي، وعيوني ترسل شرر الغضب كالسهم المارق، وشعر رأسي يهب متصباً كأني مصاب بمسّ من الجنون. أجل كل قطعة من عضلاتي ستخلج باللعنات والسياب وسينفجر قلبي بين ضلوعي من ثورة الغيظ إذا توقفت عن صبّ اللعنات عليهم.

فليصبح السم شرابهم والعلقم، بل أمر من العلقم، أشهر  
مذاقهم، وأخف ظلالهم أصلب من خشب السرو، وأبهج  
مشاهدهم كوابيس رهبة خانقة، ولتقلب ألطف لمساتهم  
الى لسعات أفعى، وأرق موسيقاهم الى أقطع من فحيح الحيات  
ونعيب البوم الذي يوحش ليالهم، ولتلفهم جميع الظلمات  
المخيفة المتصاعدة من أعماق الجحيم.

الملكة مرغريت : كفى، يا سوفولك، كفاك ما تعذب به نفسك هكذا.  
إن هذه الأقوال المدمرة، هي كالشمس المحرقة التي تنعكس  
أشعتها في المرأة أو كالسيف المسدد لا يلبث كيده أن  
يرتد الى نحرك.

سوفولك : لقد طلبت مني منذ لحظة، أن أصب لعناتي عليهم، وها  
أنت توصيتني بأن ألوذ بالصمت. آه! ما أشقاني على هذه  
الأرض التي أقصيت عنها. يسعني أن أصب لعناتي طوال  
ليلة شاء مديدة، وأنا واقف عارياً على قمة جبل، قساوة  
برده لا تتيح للعشب أن ينمو، ولن يكون لي ذلك سوى  
لعبة تدوم لحظة واحدة.

الملكة مرغريت : أرجوك، بل أتوسل إليك أن تكف عن الكلام. هات  
يدك لأسقيها بدموعي الأليمة. ولا تدع مطر السماء يبلل  
هذا المكان ويفرق صروح تفجعي هذه. (تقبل يده) كم أتمنى  
أن أطبع قبلاي على يدك لعلها تذكرها بمودتك لي وتحلم  
خواطرك بشفتي هاتين اللتين تجودان بالوف التتهيدات لأجلك.  
اذهب الآن، وقد عرفت شقائي الذي كنت أتحسّس به  
وأنت بقربي، تماماً كمن يشعر بالحرمان وهو سابح في  
بحر من البجوحة والرخاء. سألّي نداءك، فكن على يقين  
بأنّي لن أخشى أن أعرّض للنفي أنا أيضاً. ها أنا منفية  
منذ هذه الساعة إذا ابتعدت أنت عني. امض. ولا تكلمني  
بعد الآن، هيا امض. حالاً، لا، لا. انتظر قليلاً. هكذا يتعانق

صديقان حكم عليهما بالفراق ويقتل أحدهما الآخر قاتلاً  
له ألف ألف وداع، وهو مستعد للموت أكثر من مئة مرة  
بسبب البعد عنه. مع ذلك أقول لك الوداع، وأنا أودع  
في الآن ذاته حياتي التي تذهب معك.

سوفولك : هكذا أنا المسكين سوفولك أشعر في أعماقي بأني منفي  
عشر مرات، مرة بأمر الملك، وتسع مرات من جراء فراقك  
أنت. لن تهمني بلادي إن لم أكن فيها قريباً منك. وسأجد  
الصحراء القاحلة تفصّ بالسكان إذا بقيت فيها أنا سوفولك  
في ظل عطفك الحنون. لأن العالم سيزخر بالأنس وبجميع  
الملذات حيث أكون بصحبتك، وستحول الى ظلام موحش  
إذا كنت بعيداً عن شخصك الحبيب. لم يعد لي من طاقة  
على الاصطبار. فأخني أنت وانعمي بالأفراح. أما أنا فبهجتي  
الوحيدة هي أن تظلي أنت على قيد الحياة.

(يدخل فوكس).

الملكة مرغريت : يا فوكس، أين أنت ذاهب هكذا مستعجلاً. أرجوك أن  
تعلمني ما الخبر؟

فوكس : جئت أعلن لجلالته أن الكردينال بوفور ينازع ويوشك أن  
يلفظ أنفاسه الأخيرة. فإن مرضاً عضالاً أصابه فجأة. وهو  
يلهث ويسهو ويتشق الهواء بصعوبة ويلعن ويسب جميع  
رجال الأرض، تارة يتكلم كأن شبح دوق همفري يطارده،  
وطوراً ينادي الملك. وإذا يظن أنه يوجه اليه الحديث يهمس  
في أذنه أسرار نفسه المعذبة. فأرسلت الي جلالته لأنه ينادي  
بصيحات يائسة.

الملكة مرغريت : هيا انقل الي جلالته هذه الرسالة الحزينة (يخرج فوكس) :  
وأسفاه! ما هذه الدنيا، ما الخبر؟ هل علي أن ألبس ثياب  
الحداد رداً من الزمان، أو أنسى نفي سوفولك، كنز قلبي  
الكثير؟ ألا تسمعي يا سوفولك؟ لم يبق أمامي سوى أن

أتلَهف على ذكرك أنت وحدك، وأن تسابق دموعي انهمار  
الأمطار في رابعة النهار، وأن أندب مرّ عذابي كما تشتاق  
هي الى إرواء الأرض. والآن، اذهب. أنت تعلم أن الملك  
سيأتي، فإن وجدك الى جانبي فموتاً تموت.

سوفولك : إذا ابتعدت عنك، لن أستطيع أن أعيش أبداً. وإن متّ أمام  
عينيك سيكون عزائي أن تنطفئ شعلة حياتي بسرور، وأنا  
ألقي رأسي على ركبتيك. فهنا يمكنني أن ألفظ روحي بلطف  
وهدهوء كما ينام الطفل في حضن أمه وهو يرضع ثديها  
بأمان. لكنني بعيداً عن أنظارك سيصيني مسّ من الجنون  
والغیظ، وسأناديك بصوت عالٍ لتغمضي جفنيّ بأناملك  
الناعمة وتطبعي قبلك الحلوة على شفتيّ فتستلمي روحي  
وهي صاعدة وتنشقيها الى أعماق صدرك، وتعيدنها الى  
الوجود في رحاب جنة العشاق. فالموت بقربك ليس سوى  
هناء وغبطة، وبعداً عنك هو عذاب أمرّ من العلقم. بالله  
عليك، دعيني أظلّ الى جانبك وليحدث ما كتب لي في  
سجل الأقدار.

الملكة مرغريت : اذهب، مهما كان هذا الفراق عسيراً، ودعني أعضّ جرحي  
القاتل. إمضِ الى فرنسا، يا عزيزي سوفولك، ولا تؤخر  
عليّ أخبارك المطمئنة. لأنك حينما حللت على وجه البسيطة  
هناك سوسنة تلقاك وتذكرني بك.

سوفولك : ها أنا ذاهب.

الملكة مرغريت : ومعك يذهب قلبي.

سوفولك : هو جوهرة ثمينة مخبأة في عتمة صندوق لم يحوِ أثمن  
منها وكمركب ينشطر الى قسمين، هكذا قلوبنا تفرق محطّمة  
ثم في هذه البقعة أسقط بين أشداق الموت الرهيب.  
الملكة مرغريت : وأنا أسقط في بقعة أخرى.

(يخرجان من جهتين مختلفتين).

## المشهد الثالث

في لندن، داخل حجرة نوم الكردينال بوفور.

(يدخل الملك هنري وسالزبري وورويك وغيرهم. بينما الكردينال بوفور يكون مستلقياً على سريره، يحيط به بعض الناس).

الملك هنري : كيف حالك يا مولاي؟ تحدث يا بوفور الى مليكك.  
الكردينال : لو كنت أنت الموت لدفعت لك كنوز انكلترا الكافية لشراء جزيرة أخرى بشرط أن تدعني أحيًا وأن ينتهي عذابي.  
الملك هنري : هذا دليل على ما تعانیه من حياة تعيسة لا سيما عند تأخر موعد الموت الرهيب.  
ورويك : ها هوذا مليكك يكلمك.

الكردينال : حاكموني متى شئتم. لست أدري إن مات في سريره! أيضا كان عليه أن يقضي نجه؟ هل أستطيع أن أدع الناس يعيشون شأؤوا أم أبوا؟ لا تزيدوا في تعذيبي، سأبوح لكم بكل ما ترومون معرفته. هل عاد الى الحياة؟ إذا أروني اياه وسأدفع الف دينار لقاء مشاهدته. هو لا عيون له فلقد أعماه التراب. ملّسوا له شعره. انظروا، انظروا. ها هو شعره يتصب كأنه مدهون دبقاً لكي يمسك بروحي وهي تصعد من صدري. أبلغوا الصيدلي أن يأتي بالسّم الذي اشترته منه واسقوني.  
الملك هنري : أنت يا من يرعى السماوات والأرض، ألقي نظرة اشفاق على هذا البائس الشقي. ها اطرد الشيطان الرجيم الملحاح الذي يحاصر بخبث نفس هذا المعذب المسكين، وطهر قلبه من رجس اليأس والقنوط.

ورويك : علينا أن لا نضايقه وأن ندعه يعبر بسلام.  
الملك هنري : لتخرج نفسه بأمان، إن كانت هذه مشيئة الله. يا مولاي الكردينال اذا كنت تفكر بالاخدار السماوية، ارفع يدك كعلامة

أمل ورجاء. هو يموت الآن بدون أن يبدي أية إشارة. سامحه،  
يا الهي.

ورويك : ان مئة شنيعة كهذه، هي برهان ساطع على حياة جهنمية.  
الملك هنري : لتجنب الادانة. لأننا كلنا خطاة. أغمضوا له عينيه، وأسدلوا  
حوله الستائر، وهيا بنا نذهب للتأمل بعض الوقت.

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

في كونية كت، على شاطئ رملي قرب دوفر

(ينتشر العنق. يسمع صوت طلقات نارية من جهة البحر. ثم يُشاهد مركب ينزل منه ريان ويخار ثم ولتر ويتمور وغيرهم، ومهمهم سوفوك متكرراً وسواه من الوجهاء كسجاء).

الريان : ها هو الصبح ينبلج بطيئاً متائباً، ويتشر نوره على صفحة البحر. وها هو موعد عواء الذئاب لايقاظ التنين الذي يجرّ وراءه ليل المأساة الكئيبة، ويمسح غبار النوم بأجنحته الكسلى المتراخية عن جفون البشر ويمدّ شذقيه في ضباب الأجواء من خلال رهبة الظلمات. خنلوا إذا رجال الحرب الذين أمسكتهم منذ برهة، بينما يلقي زورقنا مرساته ليقف بمحاذاة كبان الرمل، فيتفقون على مقدار فديتهم في هذا المكان بالذات على الرمال حيث تصطبغ بدمائهم أرض هذا الشاطئ الذي قد تغير لونه. أيها الملاح، ها أناذا أترك لك سجيني فأجعله غيبتك. اما ذاك السجين فهو من نصيبك يا ولتر ويتمور.

(يشير الى سوفولك).

الوجه الأول : كم هو مبلغ فديتي، أيها الملاح؟  
البحار : الف دينار، وإلا قطعت عنقك. (الوجه الثاني) وأنت ستدفع لي مثله، أو يتدحرج رأسك عند قدميك.

الربان : هل تجدون الثمن باهظاً وهو القان من الدنانير فقط، وأنتم تتظاهرون بالوجاهة والغنى؟ اذبحوا، يا جماعة، هذين البليدين. أجل، لا بد من أن تموتاً، هل تظنان أننا لقاء من فقدناهم من الرجال أثناء المعركة، نستعيز عنهم بمبلغ زهيد كهذا؟  
الوجه الأول : أنا أدفع حصتي، يا سيدي. فدعني أحي.

الوجه الثاني : أنا أيضاً سأدفع حصتي، يا سيدي. انما لكي أحصل على المبلغ دعني أكسب الى أهلي حالاً.

ويتمور (سوفولك) : لقد فقدت عيناً في الاشتباك الذي جرى، ومقابل ذلك ستموت أنت. وهذا ما سيحل أيضاً بالآخرين، لو كنت أنا السيد هنا.

الربان : لا تكن هكذا قاسياً. اقبل الفدية واتركه يعيش.  
سوفولك (مثيراً الى عقده) : انظر الى هذه القلادة التي تمثل الفارس جاورجيوس. أنا وجيه، فاطلب مني ما تشاء من المال. لماذا ترتجف؟ هل تخاف الموت يا هذا؟

سوفولك : أنا أرتعد لذكر اسمه الذي يرن في أذني كدوي الرعد. لقد استخلص احد العلماء حظي من الأبراج الفلكية وأنبأني بأن مصيري أن أموت غرقاً في الماء. فأرجوك أن لا تكون دموياً، ما دام اسمك «ولته»، إن أحسنت لفظه.

ويتمور : ان كان «ولته» أو «ولتر»، هذا لا يهني. لأن اسمي لم يلحق به يوماً أي عار لألجأ في محوه الى حد السيف. وان ساومت على الانتقام فليتكسر سيفي وليترغ سلاحي من يدي ويلطخ بالمذلة وليعلن على الملأ أنني جبان حقير.

(يمسك بسوفولك).

سوفولك : قف عندك يا ويتمور، لأن سجينك، شخصي الكريم، أنا الأمير وليم بول دوق سوفولك.

ويعتبر : دوق سوفولك المتكبر بالأسمال البالية.

سوفولك : نعم، ولكن هذه الأسمال البالية هي الآن جزء من الدوق. فان الإله المشتري تخفى أحياناً برّي من الأزياء. فلماذا لا أتكر أنا أيضاً.

الربّان : انما الاله المشتري لم يرتكب أية جناية قتل، وأنت مزعم أن تقتل.

سوفولك : سحقاً لك من لص متشرد. ان دم الملك هنري دم نبيل من اسرة لنكاستر، ويجب أن لا يهرق في سبيل خادم اسطبل مثلك. أولم تملك بركاب حصاني مراراً بعد أن لثمت يدي؟ وكنت تسير عاري الرأس بقرب بغلتي المرسجة وكنت سعيداً جداً لدى الايماء لك برأسي. كم من مرة ملأت لي كأساً وأكلت من فضلات طعامي الذي قدمته لي وأنت تجثو على ركبتك، عندما كنت أولم المآذب مع الملكة مرغريت! كم من ذكريات تجعلك تحني هامتك وتطأطي كبرياءك كطرح بغيض! كم من مرة بقيت تنتظرنني باحترام في مدخل قصري الى أن أخرج اليك! ان يدي التي، بمجرد توقيعني على صلح، قد خصّصتك بنعم وافرة يمكنها الآن بسحر ساحر أن تقطع لسانك الوقح الطويل.

ويعتبر : تكلم أيها الربّان. هل أظعن بخنجري صدر هذا المتطاوّل المتبحر؟

الربّان : دعني أولاً أظعنه بخنجر كلامي كما جرحني بألفاظه البذيئة.

سوفولك : تباً لك من شريد حقير. ان كلامك سخيف بقدر ما أنت عليه من غباوة.

الربان : خذه من هنا، واقطع له رأسه على حافة المركب.  
سوفولك : لن تجسر على ذلك، لأنك ستسبني الى ما تنوي عمله بي.  
الربان : بل اجسر، يا بول.  
سوفولك : بول؟

الربان : بول؟ سير بول؟ لورد بول؟ بل دجاجة ماء ملطخة بالوحل،  
توحي بالتانة والقذارة، كما يوحي به اسمك الذي تبعث  
منه أكره الروائح كمجاري القاذورات التي تزكم الأنوف  
في انكثرا. سأقفل إذا فمك المفتوح فتبلغ أموال الملكة.  
أما شفتاك اللتان قبلتا الملكة فإنهما ستعقران بتراب الأرض.  
وأنت التي كنت ترسمين الابتسامة على وجه دوق همفري،  
عيثاً تصرفين بأسنانك في وجه الرياح العانية التي تستجيب  
الى صغيرك المزدري. اذهبي وانضمي الى ساحرات جهنم  
لأنك تجاسرت وعقدت خطبة أمير قدير على ابنة ملك  
مسكين لا رعايا له ولا ثروة ولا تاج. لقد تضخم حجمك  
بطريقة سياسية شيطانية، ونظير المتعجرف « سيلاً » قد  
التهمت لقمة بعد لقمة قلب أمك المكلوم. وعلى يدك بيعت  
مقاطعة أنجو ثم مقاطعة ماين الى فرنسا. وأهالي نورمندي  
الخيلاء المتمرسون بتحريضك رفضوا أن يعترفوا بسيادتنا.  
وها هي مقاطعة بيكاردي قد ذبحت حكامها، وفاجأت  
خصوصنا وأعادتنا البنا جنودنا الجرحى في أسمال بالية. والأمير  
ورويك وجميع آل نافيل الذين كانوا حملة سيوف مُهابة،  
لم تجرد من غمدها سدى، قد بادروا الى السلاح حقداً  
عليك، والآن تمردت أسرة يورك على العرش بما أنه من  
غدر وظلم، من قتل ملك بريء قابلت نعمه بجحود وقح  
وتمرد واغصاب. والآن تغلي مراحل غيظها وتطلب الانتقام،  
وهناك أعلامها كلها أمل تنوق الى شمس نصف محتجة  
تحاول أن تسطع وقد كتب على هذه الأعلام « رغم الغيوم

المتليدة ١٠. وهنا في أرض مقاطعة كنت، معظم الشعب مسلح.  
بالاختصار، نرى العار والبؤس قد دخلا قصر الملك وكل  
ذلك بسبب غلطك. هيا خذوه.

سوفولك : لماذا أنا لست إلهاً لأقصص بصواعقي هؤلاء الدجالين الأشقياء  
المنحطين اللؤماء؟ ان أتفه الأمور تنفخ صدر الرجل الشرير  
عجرفة. وهذا البليد الذي تراه أمامي، لأنه ربان مركب لا  
غير يتكلم بلهجة التهديد أكثر من القرصان الشهير بركولوس.  
ان ذكور النحل لا تمتص دماء النور لكنها تسطو على  
ققران النحل لتسرق ما فيها من عسل للذيد. يستحيل أن  
يُنقذ بي حكم الاعداد أحد مأموري الملك وهو أقل مني  
رفعة. فان حديثك يهيج أشجاني لكنه لا يخيفني. وأنا ذاهب  
الى فرنسا ومعى رسالة من الملكة، لذا أنذرك بأن توصلي  
سالمًا الى الشاطئ الآخر من المضيق.

الربان : يا ولتر.

ويتمور : تعال، يا سوفولك، لكي أوصلك على مركبي الى سواحل  
الموت.

سوفولك : الرعب يستولي عليّ ويجمد أعضاء جسمي، لأنى أخاف  
منك.

ويتمور : سأبتدع لك حجة كي تخشاني قبل أن أغادرك. فهل تروضت  
أخيراً؟ وهل نويت أن تخفف من غلوائك؟

الوجيه الأول : يا مولاي اللطيف، أرجوك أن تعامله بلين وأن تكلمه برفق.  
سوفولك : ان صوتي الجمهوري لا ينخفض وسيظل عالياً متسلطاً لأنى  
معتاد على اصدار الأوامر، ولن ألتمس مئة من أي انسان.  
تباً لك، اتظنني أرضى بأن أكرم شخصاً من هذه الطينة  
الوضيعة. كلا أنا أفضل أن أحتي رأسي ليقطع على جزع  
شجرة ولن أركع أمام أي كان سوى رب السماء ومليكي  
المفدى. الأولى بي أن يرقص رأسي في أعلى رمح دام.

من أن أظل مكشوف الرأس أمام خادم صعلوك مثلك. فالنبيل  
الأصيل لا يعرف الخوف. لدي طول أناة أكثر من الجرأة  
على خطف الأرواح.

الربان : هيا جرّوه واخرسوه.

سوفولك : لا ترددوا، أيها الجنود، وعاملوني بأقصى وحشية ممكنة،  
واجعلوا لموتي ذكرى لا تنسى. فعظماء الرجال غالباً ما  
يغتالهم صعاليك سفلة. وكم من جلف روماني ولص محتال  
أقدم على قتل أمثال توليوس الشريف، وقد طعنت يد اللقيط  
بروتوس بالخنجر مولاه يوليوس قيصر. وهكذا قتل سوفولك  
بعض القراصنة.

(يخرج سوفولك بصحة ويتمور وغيره).

الربان : أما الذين عيّنا لهم مبالغ فديتهم، فيسرّنا أن نفلت أحدهم.  
فليصرف هذا، أما أنت فتعال معنا.

(يخرج الجميع ما عدا الوجه الأول).

(يعود ويتمور برفقة حثمان سوفولك).

و يتمور : دعوا رأسه وبدنه الهامد ممددين هنا على الأرض حتى تجيء  
صاحبه الملكة فتدفنه.

(يخرج).

الوجه الأول : تبا لهذا المشهد البربري الدموي. سأنقل جسمه الى الملك.  
واذا لم يأخذ الملك بثأره ستتقم له الملكة التي كانت  
تحفظ له مودة فائقة وهو حي.

## المشهد الثاني

### في بلائيه

(يدخل جورج بانيس وجون هولاند).

- جورج : هيا جتني بسيف، وان كان من الخشب. فهم واقفون على  
أتم الاستعداد منذ يومين.
- جون : وتراهم الآن في أشد الحاجة الى النوم.
- جورج : أقول لك أن جاك كاد، تاجر الجوخ ينوي أن يجدد مقر  
الدولة ويقلبه رأساً على عقب ويخلع عليه حلة جديدة قشبية.
- جون : هو بحاجة قصوى الى ذلك لأنه بلي واهترأ. يا الهي ماذا  
أقول؟ لم يبق من بحبوحة في انكلترا منذ أن برز الوجهاء فيها.
- جورج : تباً لهذا الجيل البائس الذي لم يعد لديه أي اعتبار للحرفيين.
- جون : يعتقد النبلاء أن الخروج بوزرة من الجلد عار على من يرتديها.
- جورج : فوق كل ذلك، أؤكد لك أن مستشاري الملك ليسوا بارعين.
- جون : هذا صحيح. ومع ذلك يقال دائماً : اعمل حسب رسالتك  
في الحياة. وهذا يوازي التوصية : على القضاة أن يكونوا  
مجتهدين حازمين. وعلينا نحن أن نكون القضاة.
- جورج : أصبت الهدف، اذ ليس من دليل على الذهن المتوقد أصدق  
من اليد الخشنة.
- جون : انني اراهم، ها اني اراهم. وهذا ابن باست دبّاغ ونكّهام.
- جورج : هو بحاجة الى جلود اعدائنا ليصنع منها سيوراً للكلاب.
- جون : و« ديك » الجزّار.
- جورج : سيقضي على الجرم كأنه ثور، وعلى الظلم كأنه عجل.
- جون : وسميث الحائك.
- جورج : ان وجودهم معلقٌ بخيط رفيع.
- جون : تعال، تعال ننضم اليهم.

(سمع قرع طبل. يدخل « كاد » ودبك الجزار وسميث الحائك وجماعة أخرى).

كاد : أنا جون « كاد »، دعيت هكذا لأنني ابن زوجين ألفي قرانهما.  
ديك (على حدة) : أو لأنك سرقت برميلاً يحوي سمكاً مجففاً.  
كاد : لأننا سنجهاز على أعدائنا المنحطين، وقد دعينا بالهام سماوي  
لِنُنزِلَ الملوك عن عروشها، والأمراء عن كراسيها، ولنفرض  
الصمت.

ديك : سكوت.  
كاد : كان والدي أحد أفراد أسرة مرتيمور.  
ديك (على حدة) : كان رجلاً شريفاً وبناءً ممتازاً.  
كاد : وكانت أُمي من أسرة بلانتاجينه.  
ديك (على حدة) : عرفتها جيداً لأنها كانت قابلة قانونية.  
كاد : وزوجتي هي من ذرية « لاسي ».  
ديك (على حدة) : هي في الواقع ابنة بائع متجول كان يبيع شتى لوازم  
الخطاطة.

سميث (على حدة) : لكن، منذ مدة، لأنها لم تعد قادرة على السفر ويدها  
صرّة فرائها، صارت تقوم بغسل الملابس في بيتها.  
كاد : أنا شجاع جريء.

سميث (على حدة) : لا بدّ من ذلك، لأن التسوّل يحتاج الى جرأة.  
كاد : أنا لا أستطيع تحمّل التعب طويلاً.  
سميث (على حدة) : بلا ريب، لأنني شاهدته وهو يتلقى ضرب السياط في  
السوق مدة ثلاثة أيام متتالية.

كاد : أنا لا أخشى الحديد ولا النار.  
سميث (على حدة) : لا يخشى الحديد، لأنه يرتدي سترة تقي من الطعنات.  
ديك (على حدة) : انما يخيل اليّ أن عليه أن يتجنب النار إذ أحرقت يده  
بسبب سرقة المواشي.

كاد : كن اذاً شجاعاً، لأن ربّانك شجاع وهو مصمم على اصلاح

كل المعاييب. من الآن وصاعداً الأرغفة السبعة وقيمتها فلس  
في انكثرتا سباع بفلسين، وابريق يتسع لثلاثة أقداح سيحوي  
عشرة أقداح. ومن الحقارة اذاً أن لا يشرب المرء قليلاً  
من الجعة، لأن المملكة بأجمعها ستكون مشتركة وخيالي  
سيسرح في محلة شيسايد، ومتى أصبحت ملكاً، لأنني  
سأصبح ملكاً...

: حفظ الله جلالتك.

الجميع

: شكراً، أيها الشعب الأمين. لن يبقى من حاجة للمال، فالأكل  
والشرب على حسابي، وأريد أن يرتدي الجميع ملابس  
متشابهة حتى يدنو كأنهم أخوة ويكرموني كسيدهم.

كاد

: لنبدأ اذاً بقتل جميع رجال القانون.

ديك

: أجل، هذا ما أنوي عمله. انما من المؤسف أن يذهب حمل  
بريء ضحية كم كلمة مكتوبة بخط رديء تكفي لإهلاك  
رجل. يقال ان النحلة تعقص، أما أنا فأقول أن الذي يعقص  
هو شمع النحل، لأنني لم أستعمل خاتم الشمع سوى مرة  
واحدة. ومنذ ذلك الوقت لم أعد سيّد نفسي. من القادم البنا؟

كاد

(يدخل بعض الأهالي ومعهم موظف شاتهم).

: هذا هو موظف شاتهم، وهو يعرف القراءة والكتابة والعدّ.

سميث

: يا له من مسخ!

كاد

: فاجأناه وهو يصنع نماذج للأطفال.

سميث

: هذا محتال لعين.

كاد

: في جيبه كتاب يحتوي على رسائل حمراء.

سميث

: هل هو ساحر؟

كاد

: انه يعرف تنظيم العقود والكتابة بخط عريض.

ديك

: انا مستاء من وضعه، وأقسم بأنه يبدو لي رجلاً طيباً. إلّا

كاد

إذا كان مذنباً فموتاً سيموت. اقرب يا صاح، علي أن  
أُتفحصك. ما اسمك؟

الموظف

: عمانوئيل.

: عادةً، يكتب الاسم في أعلى الورقة، انما الأمر سيء بالنسبة  
إليك.

ديك

: دعني أخاطبه. هل من عادتك أن تكتب اسمك؟ وهل لك  
شارة خاصة كأني رجل محترم شريف؟

كاد

: اشكر الله، يا سيدي، على أنني ربّيت تربية لائقة فتعلّمت  
كتابة اسمي.

الموظف

: لقد اعترف. فعلينا أن نتخلص منه لأنه خائن سافل.  
: لتتخلص منه إذاً، فأنا أريد ذلك، ولنشفه، وريشته ومحبرته  
معلقتان في عنقه.

الجميع

كاد

(يدخل ميشال).

: أين قائدنا؟

ميشال

: ها أناذا، يا صديقي الحميم.

كاد

: اهربوا، اهربوا. لأن سير همفري ستافورد وأخاه قريبان من  
هنا مع فصائل الملك.

ميشال

: قف، أيها السافل، قف وإلا قتلتك. سيواجه رجلاً يوازيه  
انحطاطاً وهو ليس سوى خيال، أليس كذلك.

كاد

: لا أكثر.

ميشال

: ولكي أعادله، سأصبح في الحال فارساً. فلنرتفع، يا سير  
جون مرتيمور. والأحذار منه.

كاد

(يدخل سير همفري ستافورد ووليم أخوه، بينما تفرع الطبول على رأس  
الفصائل).

: أيها الرعاع المتمرّدون، يا حشالة مقاطعة كت، انتم تستحقون

ستافورد

الشنق، ألقوا أسلحتكم أرضاً وعودوا الى أكوأخكم، ودعوا  
هذا المسكين وشأنه، فاذا تخليت عنه ستشملكم رحمة  
الملك.

وليم ستافورد: لكنه سيفضب ولن يتراجع عن سفك الدماء، اذا ثابتم على  
عملكم فاستسلموا اذا والآ هلكتم جميعاً.

كاد : انا لا أهتم لهؤلاء العبيد المتسربلين بالحرير. انما لأجلكم،  
يا أفراد الشعب الكريم انا أتكلم، لأجلكم أنتم الذين أرجو  
أن أكون يوماً ملكاً عليكم لأنني وحدي الوريث الشرعي  
لهذا التاج.

ستافورد : يا منافق، كان أبوك عاملاً بسيطاً، وأنت أجير متمرّن، أليس  
كذلك.

كاد : وكان آدم والدنا جميعاً بستانياً.

وليم ستافورد: ماذا تقصد؟

كاد : اسمع ما أقول. أعتقد بأن ادمون مرتيمور كونت مارش،  
تزوّج ابنة دوق كلارانس، أليس كذلك؟

ستافورد : أجل، يا سيدي.

كاد : ومنها أنجب توأمين.

وليم ستافورد: نعم، هذه هي القضية. وأنا أؤكد أن ذلك صحيح. فالبكر  
عندما سلّم الى المرأة التي أرضعته، خطفه أحد المُتسوّلين،  
واذ جهل أصله وأهله، عندما شبّ أصبح بناءً، وأنا ابنه،  
أنكر ذلك إن استطعت.

ديك : هذه عين الحقيقة. فاذاً هو الملك.

سميث : يا سيدي، لقد صنع مدفأة في بيت أبي، ولا تزال الأحجار  
موجودة في أمكنتها كشاهد حيّ برهاناً على ذلك. فلا تنكر  
الأمر إذاً.

ستافورد : هل تصدق ادّعاء هذا العامل البليد الذي لا يعي ما يقول؟

الجميع : حقاً هذا هو الواقع. فلتصرف الآن.

وليم ستافورد: يا جاك كاد، لقد ألقى عليك دوق يورك درساً قاسياً.  
كاد (على حدة): هو أكبر الكذابين، لأنني أنا الذي اخترقت كل هذه القصة.  
(بصوت عالٍ) اذهب يا صديقي وقل لمليكك من قبلي أنني  
اعتباراً لوالده هنري الخامس الذي كان الأولاد في عهده  
يلعبون بالكعاب لقاء دنائير فرنسية، أنا موافق على أن يملك  
بشرط أن أسهر أنا عليه كحامي المملكة.

ديك : من جهة أخرى، نريد اسقاط لورد ساي الذي باع مقاطعة  
ماين.

كاد : الحق معكم، لأن عمله قد شلّ أنكلترا التي ستضطر للاستعانة  
بمكارز، اذا لم اساندها بقوتي. يا اخوتي الملوك أؤكد لكم  
أن لورد ساي قد فسد الدولة واستترف دمها. وفوق ذلك،  
أنه يعرف أن يتكلم الفرنسية، اذاً هو خائن.

ستافورد : ثبّا لك من جاهل غبي.  
كاد : جاؤني على هذا، اذا استطعت : الفرنسيون هم أعداؤنا،  
اذاً لا شك في أن من يتكلم لغة اعدائنا لا يمكنه أن يكون  
مستشاراً صالحاً. أثبت لي عكس هذا الاستنتاج.  
الجميع : كلا، كلا. لذلك نطالب بقطع رأسه.

وليم ستافورد: يا جماعة، بما أن الحديث الحلو لا مفعول له، فما علينا  
إلا أن نهاجم أخصامنا بمؤازرة جيش الملك.

ستافورد : أيها الحراس، اذاً الى الأمام، وفي جميع المدن أعلنوا خيانة  
من يتمرّدون ويتبعون كاد. أعلنوا أن الذين يهربون قبل انتهاء  
المعركة سيكونون عبرة لسواهم وسيشنقون امام أبواب بيوتهم  
وتحت أنظار زوجاتهم وأولادهم. وأنتم كلكم يا أصدقاء  
الملك اتبعوني.

(يخرج الأخوان ستافورد وفرقهما).

كاد : وأنتم جميعاً يا من يحبون الشعب اتبعوني، وأثبتوا الآن انكم

رجال أهل ليل حريتكم. لن تترك لورداً واحداً ولا وجيهاً  
واحداً. ولن نوفر إلا من يلبسون أحذية ذات مسامير. لأنهم  
أناس اقتصاديون وشرقاء غير مبذرين وسيساعدوننا إذا كانوا  
يتحلون بالجرأة.

ديك : ها هم كلهم مصطفىون يتوجهون نحونا.  
كاد : نحن أيضاً مصطفىون حتى عندما تسودنا الفوضى. ها سيروا  
الى الأمام.

(يخرجون).

### المشهد الثالث

(تسمع موسيقى التحذير. يعود الفريقان الى المسرح ويتقاتلان  
يُقتل همفري سافورد وأخوه).

كاد : أين ديك، جزار آشفورد؟  
ديك : أنا هنا، يا سادة.  
كاد : هم يتساقطون أمامك كالخرفان والأبقار، وأنت تتصرف كأنك  
في مسلحك. بالنتيجة ها هي مكافأتك : القتال تتضاعف  
مدته، ولك وحدك امتياز قتل تسعة وتسعين شخصاً في  
الأسبوع.  
ديك : انا لا أطلب المزيد.

كاد : الحق أقول، انك لا تستحق أقل من هذا العدد. (يرتدي صدره  
همفري سافورد) أود أن أرتدي هذه كذكاء انتصارنا. وسأجر  
هذه الجثث بعد ربطها الى ذنب حصاني حتى وصولي الى  
لندن حيث أجعل سيف المحافظ يسير مرفوعاً امامي.

ديك : اذا شئنا أن نتنصر وأن نحسن صنعاً، علينا أن نهاجم السجون ونطلق سراح نزلاتها.

كاد : لا تخف، انا أعدك بتنفيذ ذلك. هيا تتجه الى لندن.

(يخرجون).

## المشهد الرابع

في لندن، داخل أحد القصور

(يدخل الملك هنري وهو يقرأ إلتماساً. يرافقه دوق بوكنكهام ولورد ساي. وعلى مسافة منهم تظهر الملكة مرغريت وهي تأمل رأس سوفولك).

الملكة مرغريت : سمعت مراراً ان الألم يهيج دقات النفس، ويجعلها تخاف وتفقذ رزانتها. فلنفكر اذاً بالانتقام ولنكفّ عن الندب والنحيب. ولكن من يمكنه الامتناع عن البكاء حيال مشهد مؤلم كهذا؟ ها هو رأسه يرقد هنا في حضني لاهثاً، لكن أين جسده لكي أضمه الى صدري؟

بوكنكهام (للملك) : بماذا تجيب، يا صاحب الجلالة، على التماس المتمردين؟ الملك هنري : ارسل اليهم أسقفاً باراً ليهدئ روعهم ويدعوهم الى السكينة. لأن من الحيف، لا سمح الله، أن تهلك كل هذه الخلائق البشرية بحدّ السيف. وأنا نفسي، عوضاً عن أن أموت في حرب طاحنة، أفضّل أن أفأوض جاك كاد قائدهم. فانظروا حتى أعيد تلاوة هذا الالتماس.

الملكة مرغريت : سحقاً لكم أيها البرابرة القساء! كان هذا الرأس يهيم عليّ كأنه كوكب ساطع، ولم يتسنّ له أن يحظى بعطف هؤلاء الرعايا الذين لا يستحقون رفع نظرهم الى طلعه الهية. الملك هنري : لقد أقسم جاك كاد على الظفر برأسك، يا لورد ساي.

ساي : أجل، لكن كل أُملي أن تظهر أنت برأسه يا صاحب الجلالة.  
الملك هنري : ما بك، يا سيدتي؟ أراك لا تكفّين عن البكاء والندب على  
موت سوفولك. لو وافاني أجلي، يا حبيبي، أخشى أن لا  
تنتحي مثلما تفعلين لأجله.

الملكة مرغريت : كلا، يا حبيبي، لن أبكيك، بل سأموت حزناً وكمداً عليك.

(يدخل رسول).

الملك هنري : ما وراءك من أخبار؟ لماذا أنت مستعجل هكذا؟  
الرسول : لقد وصل المتمرّدون الى ساوثورك. فاهرب، يا مولاي. لأن  
جاك كان ينادي بنفسه ملكاً باسم مرتيمور سليل أسرة دوق  
كلارانس، وهو يتهم جلالتك صراحةً باغتصاب العرش، وقد  
أقسم أن يتوجّ ذاته في ويستمنستر. أما جيشه فهو عبارة  
عن جماعة من الدجالين في اسمال بالية، وفلاحين بلا رحمة  
ولا شفقة. وزاد الطين بلة مقتل ستافورد وأخيه، وهو الذي  
شجعهم واستفزّهم على مواصلة الهجوم. أما هم فيعتبرون  
أهل العلم ورجال القانون والحاشية والبلاط والوجهاء كلهم  
صعاليك خونة ويتبحّجون بالتصميم على ابادتهم.

الملك هنري : تباً لهم من جهلة سمجين لا يدرون ماذا يفعلون.  
بوكنكهام : يا مليكي المفدّى، ارجوك أن تنسحب الى كانلورث حتى  
يتسنى لنا أن نجتمع القوات الكافية لسحقهم.

الملكة مرغريت : آه! لو كان دوق سوفولك حياً، لفرض على هؤلاء الرعاع  
المتمردين أن يستسلموا في الحال.

الملك هنري : الخونة يكرهونك، يا لورد ساي، فعال اذاً معنا الى كانلورث.  
ساي : قد يشكل ذلك خطراً على شخصك الكريم، يا صاحب  
الجلالة. فيما أن مشاهدتي تغيظهم، انا موطن العزم على  
البقاء في هذه المدينة حيث سأعيش خفية أطول مدة ممكنة.

(يدخل ثاني رسول).

الرسول الثاني: لقد احتلّ جاك كاد لندن، والأهالي يهربون ويفادرون منازلهم، فيأتي الرعاى ويستولون على الغنائم وينضمون الى الخونة، وكلهم ينوون سلب المدينة وقصرك الملكى.

بوكنكهام : لا تتأخر، يا مولاي. بادر الى جوادك وأسرع.  
الملك هنري : تعالى، يا مرغريت. والله، أملنا الوحيد، يكون فى عوننا.  
الملكة مرغريت : خاب أملى بموت سوفولك.  
الملك هنري (للورد ساي) : الوداع أيها اللورد، لا تتكل على متمردي منطقة كنت.

بوكنكهام : لا تتكل على أحد بتاتاً، لئلا تذهب ضحية الغدر والخيانة.  
ساي : أنا واثق ببراءتي، وهذا ما يشجعني ويزيدني عزماً.

(يخرجون).

## المشهد الخامس

### في برج لندن

(يظهر لورد سكايل وآخرون في أعلى الحاجز، وفي أسفله يظهر بعض الأهالي).

سكايل : هل حقاً قتل جاك كاد؟  
بعض الأهالي : كلا، يا مولاي، ولا نظنه يُقتل بسهولة. لأن جماعته استولوا على الجسر، وقد قضوا على كل من قاومهم. والمحافظ يستحلفك أن ترسل له جلالتك عوناً من البرج للدفاع عن المدينة واتقاوها من المتمردين.

سكايل : كل ما يمكنني أن أرسله من عون هو تحت تصرفك. لكني أنا ذاتي قلق هنا، لأن المتمردين حاولوا الاستيلاء على البرج أيضاً. انما عليك أن تمضي الى سميثفيلد لتجمع القوات، وأنا أرسل ماتيو كوك الى هناك فوراً. فقاتلوا في سبيل مليكتكم

ووطنكم ووجودكم. وعلى هذا الأمل استودعكم الله، إذ  
آن لي أن أعود.

(يخرج).

## المشهد السادس في لندن، وسط شارع المدفع

(يدخل جاك كاد ورفاقه. يضرب بعضى قيادته حجر حدود لندن).

كاد : والآن، ها أناذا مرتيمور لورد المدينة. وهنا بالذات، حيث  
أجلس على حجر حدود لندن، آمر بإصرار أن تسيل من  
العين العامة وعلى حساب البلدية، خمرة عوضاً عن الماء  
طوال السنة الأولى من حكمي السعيد. ومن الآن وصاعداً  
تعتبر خيانة تسميتي بغير لورد مرتيمور.  
(يدخل جندي راكضاً).

الجندي : جاك كاد، يا جاك كاد.  
كاد : أقتله في مكانه، يا هذا.

(يُقتل الجندي).

سميث : لو كان هذا الشاب عاقلاً متبصراً لما دعاك جاك كاد. أعتقد  
بأنه نال جزاءه، وسيكون عبرة لمن يعتبر.  
ديك : يا مولاي، هناك في سميثفيلد جيش مستنفر، على أهبة  
الهجوم.  
كاد : فإلى الأمام إذاً. هيا بنا نقاتله. لكن، يجب إضرام النار أولاً  
في جسر لندن، وإن أمكن إحراق البرج أيضاً. هيا إلى العمل.  
(يخرجون).

## المشهد السابع

### في سيفيلد

(تسمع موسيقى تحذير. يدخل من أحد الجوانب، كاد ورفاقه، ومن الجانب الآخر، بعض الأهالي وفصائل انكلك بقيادة ماتيو كوك. ينشب قتال، يتشردم الأهالي وينفرون، ويقتل ماتيو كوك).

كاد : هذا ما تستحقونه، يا سادة. والآن ليمضِ البعض ويهدم فندق سافوا، وآخرون الى مدرسة الحقوق ويدمروا كل ما فيها.

ديك : لديّ طلب أقدمه لمولاك.

كاد : عندما تصبح صاحب سيادة، يستجاب طلبك.

ديك : ألتبس أن تعلن أنت ذاتك شرائع انكلترا.

جون (على حدة) : إي ورثي، ستكون شرائعه دموية، لأنه تلقى طعنة رمح في فمه ولم يُشفَ منها بعد.

سميث (على حدة) : ستكون، يا جون، شرائع نتنه، لأن رائحة فم هؤلاء الرعاع كريهة لكثرة ما يزدردون من الجبن المشوي.

كاد : أنا أيضاً على يقين بأن يكون الأمر كذلك. فاذهب واحرق جميع محفوظات الملك. لأن أقوالي ستكون هي قرارات مجلس نواب انكلترا.

جون (على حدة) : إذا ستكون قوانيننا على لسانه صارمة جائرة، إلا إذا اقلعنا له ألسانه.

كاد : ومن الآن وصاعداً، سيصبح كل شيء مشتركاً.

(يدخل رسول).

الرسول : يا مولاي. هناك لفظة هامة. ها هوذا لورد ساي الذي باع مدن فرنسا والذي دفعنا في آخر إعانة مبالغ باهظة جداً.

(يدخل جورج باغيس عائلاً بلورد ساي).

كاد : سيقطع رأسه عشر مرات، لأجل ذلك. أهذا أنت يا ساي؟  
أنت يا سيرج أنت يا لورد بوكران؟ ها أنت الآن تحت  
رحمة قوانيننا الملكية النافذة. ما هو ردك على جلالتي لأنك  
تخلت عن منطقة نورمندي للسيد باريمكو ولي عهد فرنسا؟  
إعلم إذا أنك أمام سيادتي المجيدة، سيادة لورد مرتيمور  
بالذات، وأني سأكس من يجب التخلص منه في بلاط السفلة  
الثام مثلك. لقد أفسدت شبيبة الملك بدناءتك حين أنشأت  
مدرسة القواعد اللغوية. فأبأؤنا لم يكن لديهم سوى من  
وضع العلامة والمقياس. أما أنت فقد لجأت الى استخدام  
المطبعة بالرغم من مشيئة الملك وتاجه وكرامته، واستخدمت  
مصنع الورق. سأثبت لك أنك جمعت اناساً يتكلمون عادة  
عن الأسماء والأفعال وعن سواها من الكلمات السخيفة التي  
لا تتحمل سماعها اذن مرهفة. وقد عنت قضاة ليحاكموا  
المساكين على أمور لا سبيل الى الاجابة عنها. فوق ذلك  
سجنت الكثيرين لأنهم لا يعرفون القراءة، ثم أمرت بشقهم  
مع أنهم لأجل معرفتهم كانوا يستحقون أن يحيا. أراك  
الآن تمتطي جواداً مطهماً مسروجا، أليس كذلك؟

: ثم ماذا؟

كاد : أظنك لا تريد أن تخرج حصانك بيدخ بينما من هم أشرف  
منك يرددون الجوارب والأرجوان.

ديك : ويشغلون أحياناً وهم بالقميص نظيري أنا الجزار مثلاً.

: يا رجال كنت...

ديك : ماذا تقول عن كنت؟

ساي : لا شيء سوى أنها أجمل أرض لأسفل شعب.

كاد : تخلصوا منه، تخلصوا منه حالاً، لأنه طويل اللسان.

ساي : أصغر فقط الى ما أقول، ثم تصرف كما تشاء. لقد جاء في تعليقات قيصر أن مقاطعة كنت هي البقعة التي تعجّ فيها الشرطة أكثر من أي مكان آخر في هذه الجزيرة الواسعة. والطبيعة فيها رائعة، وهي حافلة بالثروات وأهاليها كرماء وشجعان ويمتازون بالنشاط والثراء الأمر الذي يحملني على الأمل بأن لا تكون، وأنت واحد منهم، خالياً من العطف والشفقة. أنا لم أبع مقاطعة ماين، ولم أخسر منطقة نورمندي. لكني لكي استردها، أنا مستعد لأن أضحي بحياتي. لقد كنت دائماً عادلاً وسمحاً، وباستمرار هزّت فؤادي التوسّلات والدموع، بعكس الهدايا التي لم أقبلها أبداً. فلا تطلب مني بالبحاح إلا ابقاء الملك متربعاً على عرشه والمحافظة على المملكة وعلى شخصك أيضاً. فلقد بذلت الثروات الضخمة على العلماء من الموظفين لأن ثقافتني هي التي ميزتني دوماً عن الملك. وبما أن الجهل هو لغة الله، هكذا العلم هو الجناح الذي نرتفع به نحو السماء، إلا اذا كانت الأرواح الشريرة تسكن في داخلنا. لذلك لا سبيل الى التفكير بقتلي، ودوماً كان لساني لدى الملوك الغرباء ترجمان مصالحكم.

كاد : وهل تنسى لك أن تطعن طعنة واحدة بسيفك في ساحة الحرب؟

ساي : الرجال المتفوّقون امتازوا بطول الباع في كل زمان ومكان. فكم طعنت من لم أكن أبصرهم طعنة نجلاء أودت بحياتهم.

جورج : تباً لك من جبان. ماذا فعلت؟ هل طعنت الناس في ظهورهم غدراً؟

ساي : لقد شحب لون وجهي وأنا أسهر على منفعتكم.

كاد : أضغه كم صفقة فسترد وجنتاه احمرارهما.

- ساي : الجلسات الطويلة التي قضيتها في درس قضايا الفقراء، ما نابني منها سوى التعب والمرض.
- كاد : سنعالجك بشراب القتب وبفصد دمك بالمشروط.
- ديك : لماذا ترتجف، أيها الرجل؟
- ساي : من الشلل لا من الخوف.
- كاد : يهز رأسه، وهو ينظر الينا، كمن يقول : لن أنسى معاملتكم. سأرى اذا كان رأسه سيهدأ في أعلى الرمح. خذوه واقطعوا له رأسه.
- ساي : قل لي : ماذا اقررت من ذنب؟ هل اشتيت الغنى والشرف؟ قل لي : هل امتلأت خزائني بالذهب المقتصب؟ هل رأيت أن يزني فاخرة؟ بمن منكم ألحقت أي ضرر كي تطلبوا بإزهاق روحي؟ ان يدي طاهرتان من كل دم بريء. فلا تدعوا أفكارني تحفل بالخواطر السوداء الجاحدة. اتركوني وشائي لأنني لا أريد سوى العيش بسلام.
- كاد (على حدة) : أشعر بأن هذه الكلمات تحرك في عاطفة الشفقة. غير أنني سأسيطر عليها وسيموت هو، لأنه دافع بمهارة عن حياته. خذوه، فإن شيطاناً رجيماً يكمن تحت لسانه، وهو لا يلفظ اسم الله. هيا خذوه واقطعوا له رأسه حالاً، ثم هاجموا بيت صهره سير جيمس كرومر، واقطعوا له هو أيضاً رأسه، واجلبوا لي رأسيهما، كل واحد معلقاً على رمح.
- الجميع : قضي الأمر.
- ساي : أيها المواطنون، لو أن الله، عندما تتضرعون اليه، يكون متشدداً نظيركم، ماذا كان حلّ بنفوسكم بعد معاتكم؟ أرجوكم أن تشفقوا عليّ وترحموني وتصونوا حياتي.
- كاد : خذوه، خذوه ونفذوا ما أمرتكم به. (يخرج بعض المشاغبين بصحة لورد ساي) أن أكبر شخصية محترمة في هذه المملكة لا تستطيع أن تحفظ رأسها فوق كتفها اذا لم تدفع الجزية

المفروضة. وليس من عذراء يمكنها أن تتزوج بدون أن  
تسدّد لي مسبقاً ضريبة بكارتها. فالرجال مدينون لي أولاً،  
وأنا أمر وأفرض أن تكون نساءهم مسايرات حسب ما يشتهي  
قلبي ويطلبه لساني الزلق.

ديك : يا مولاي، متى تذهب الى شييد سايد لنستعيد المون بأسنة  
رماحنا؟

كاد : يمكننا تنفيذ ذلك فوراً.

الجميع : هذا رائع.

(يعود المتوردون برأسَي لورد ساي وصهره).

كاد : لكن هذا أروع. دعوهما يقبل أحدهما الآخر الآخر لأنهما كانا  
متحايين للغاية، حين كانا على قيد الحياة. والآن أبعدهما  
الواحد عن الآخر خشية أن يتشاورا في أمر استسلام مدن  
جديدة في فرنسا. أيها الجنود، اجلّوا نهب المدينة الى الليل،  
لأننا نريد أن نتجول في الشوارع على جيادنا في ضوء  
المشاعل ومعنا هذان الرأسان مرفوعين أمامنا كأنهما علمان،  
وعن جميع مفترقات الطرق نجعلهما يقبل أحدهما الآخر.

(يخرجون).

## المشهد الثامن

### في ساوثورك

(يسمع انذار. يدخل كاد وجميع أفراد عصابته).

كاد : إصعدوا في شارع فيش من زاوية شتمكنوس. اقلّوا وحطّموا  
وارموا الجثث في نهر التايمز (تسمع حركة استسلام ثم انسحاب).

ما هذه الضجة؟ هل يجسر أحد على اعلان الاستسلام عندما  
أمر انا بالقتل؟

(يدخل بوككهام والعجوز كليفورد مع فصائلهما).

بوككهام : أجل، نحن تجاسرنا على ازعاجك، يا كاد، لأننا قادمون  
كسفراء من قبل الملك لدى الشعب الذي ضيعته. وهنا  
نعلن العفو العام عن جميع من يتخلون عنك عائدين الى  
بيوتهم بأمان.

كليفورد : ما رأيكم، يا مواطني؟ هل تريدون أن تسايروا وترضوا بالعفو  
المعروض عليكم، أو أن يقودكم متمرد الى الهلاك والموت  
المحتم؟ فمن يحب الملك ويريد نيل الحظوة في عينه يلقي  
قبعة في الهواء ويهتف : حفظ الله جلالة. ومن ييغضه ولا  
يكرم والده هنري الخامس الذي أرجف كل فرنسا، يرفع  
سلاحه في وجهنا ويمضي.

الجميع : حفظ الله الملك، حفظ الله الملك.

كاد : ما هذا؟ هل بلغت بكما الوقاحة هذا الحد، يا بوككهام  
ويا كليفورد؟ وأنتم أيها المنافقون المتقلبون، هل صدقتموهما؟  
هل تريدون أن تشتقوا وعفوكم معلق في رقابكم؟ هل قل  
حد سيفي عند أبواب لندن حتى تخلّيتم عني كما أفلتكم  
طيارة في الهواء ساعة وصولنا الى ساوثورك؟ لقد اعتقدت  
بأنكم لن تلقوا بأسلحتكم جانباً إلا بعد أن تستردوا حرياتكم  
السابقة. لكنكم جميعاً جناء خائعون ترضون حياة الذل  
والعبودية في ظل النبلاء المتطرسين. دعوهم اذا يحطموا  
ضلعوكم تحت وقر استبدادهم. اتركوهم يلبوا بيوتكم تحت  
أنظاركم ويتهكوا اعراض نائكم وبناتكم اما أعينكم. أما  
أنا فأتدبر أمري وحدي، وعلى هذا الأساس، فلتسقط لعنة  
الله على رؤوسكم جميعاً.

الجميع

: ستيع كاد، ستيع كاد.

كليفور

: هل « كاد » هو ابن هنري الخامس كي تعلقوا بصوت عالي  
ولاءكم له واللاحق به؟ هل سيقودكم الى احتلال فرنسا  
وسيرقي احقركم الى مقام نوق أو كونت؟ وهو مع الأسف  
لا سقف له يأوي اليه، ولا يسمعه أن يعيش إلا من القتل  
والسلب، ونهب أموال أصحابكم وسرقنا نحن أيضاً. وفيما  
أنتم تحيون في نزاع مستمر، أي عار سيحل بكم اذا ما  
الفرنسي الخسيس الذي كنتم دائماً تتغلبون عليه اجتاز البحر  
واتصر عليكم في عقر داركم؟ منذ الآن ونحن لا نزال  
في غمار هذه الحرب الأهلية يخيّل اليّ أنني أراهم يتمايدون  
في شوارع لندن وهم ينادونكم : أيها الأوغاد، ويصقون  
في وجه جميع من يصادفون. آه ليهلك عشرة آلاف بئس  
متشرد مثل كاد، ولا تستسلموا الى الفرنسيين. فهيا، الى  
فرنسا الى فرنسا، واستردوا ما فقدتموه. صونوا انكلترا لأنها  
ملاذكم الأمين ومسقط رأسكم. فان هنري يملك المال،  
وأنتم أقوىاء وشجعان، وبعون الله ستصرون.

الجميع

: ليحيّ كليفور، ليحيّ كليفور. ستيع الملك وكليفور معاً.  
كاد (على حدة) : هل رأى أحد ريشة في مهب الرياح، أخفّ من هذه  
الشراذم السريعة القلب؟ ان اسم هنري الخامس يجرمهم الى  
ارتكاب مئة غلطة، وهذا ما يرميني بالوحدة والعزلة. اراهم  
يتشاورون كي يفاجئوني. فما لي سوى سيفي ليشق لي  
طريقي، ما دمت لا أستطيع الانتظار أكثر مما فعلت. ورغم  
كل شياطين الجحيم سأمّر في وسطهم، فالسماء وشرفي  
يشهدان على أن العزم لا يتقصني لأحزم أمري. لكن، ما  
حيلي بالخيانة الدنيئة التي يادرنى بها رفاقي وتضطرني الى  
الضرب يمناً ويساراً.

(يخرج.)

الجنود اقتدوا اليوم حياتكم وبرهنوا على مدى محبتكم  
لأميركم وبلدكم. حافظوا دوماً على عواطفكم النبيلة. ومهما  
كنت أنا هنري قليل الحظ، ثقوا بأنني لن أكون أبداً عقوقاً.  
وعلى هذا الأساس أشكركم وأعفوا عنكم جميعاً وأعيد كل  
واحد منكم الى أسرته وبيته.

الجميع : حفظ الله الملك، حفظ الله الملك.

(يدخل رسول).

الرسول : لسمح لي صاحب الجلالة بأن أعلن له أن دوق يورك  
قد وصل حديثاً الى ايرلندا ومعه قوة وجيش كبير من  
كالوكلاس، ومن كارن موطن الشجعان. وهو يتقدم على  
رأسهم الى هذه النواحي بنظام بديع وبذيع في كل مكان  
على طريقه انه لم يلجأ الى السلاح إلا ليعد عنك دوق  
سومرست الذي ينعته بالخائن.

الملك هنري : ها قد أصبحت مملكتي بين كارثتين، كاد من جهة، ويورك  
من جهة أخرى نظير سفينة نجت من أهوال العاصفة لتفاجأ،  
حال عودة الهدوء، بمهاجمة قرصان بطّاش. فما كاد (كاد)  
أن يندحر وجماعته أن تبعثر حتى تلاه يورك بأسلحته. أرجوك  
يا بوككهام أن تبادر الى ملاقاته وسؤاله عن سبب تسلحه  
هذا. قل له أنني أرسلت دوق ادمون الى البرج. وأنت يا  
سومرست سأحتفظ بك الى أن يبرّح هو جيشه.

سومرست : يا مولاي، انا موافق على دخول السجن راضياً، وأقبل حتى  
بالموت في سبيل بلادتي.

الملك هنري (لبوككهام) : على كل حال، لا تخاطبه بلهجة شديدة، لأنه  
عنيف ولا يتحمل الكلام القاسي.

بوككهام : يا مولاي، أنا طوع بانك وسأصرف حتماً بطريقة نجعل  
كل الأمور لصالحك.

الملك هنري : تعالي، يا امرأة لنعود وتتعلم كيف نحكم بأسلوب أفضل.  
لأن انكلترا عرفت كيف تلحن حكمي البائس.

(يخرجون).

## المشهد العاشر

في كنت داخل حديقة.

(يدخل جاد).

كاد : تباً للغرور، وتباً لي أنا الذي أملك سيفاً وأكاد أهلك جوعاً.  
ها أنا ذا أختبئ هنا في الغابة منذ خمسة أيام ولا أجسر  
على مغادرتها. لأن الجميع يجدون في البحث عني. لكني  
الآن جائع الى درجة، حتى إن ضموا لي أن أعيش ألف  
سنة، لم يعد لي من طاقة على الاحتمال. هكذا أراني تسلفت  
حائطاً ونزلت الى هذه الحديقة لأحاول أن أسد رمقي ببعض  
الحشائش أو بشيء من الخضراوات التي ترطب حلقي ومعدتي  
في هذا الطقس الحار، وأنا أعتقد بأن جميع خضراوات  
الدنيا قد زرعت لإسعافي، إذ بدون الخضراوات كنت أحس  
بأن طعنة رمح تشق رأسي، وفي كثير من الأحيان عندما  
كنت أشعر بجفاف في حلقي علي أثر سيري الحثيث، كانت  
هذه الخضراوات تبل حلقي كأني شربت كأس ماء بارد  
عذب. وهكذا منذ الآن بعض الخضراوات جوعي وتروي  
عطشي معاً.

(يدخل ايدن بصحبة خدامه).

ايدن : مولاي، من يريد أن يعيش وسط ضجة البلاط والتمتع بمثل

هذه الزهات الهادئة؟ إن الأثر الذي تركه لي والذي يكفيني ويوازي مملكة. أنا لا أريد أن أعمل على إفقار غيري ولا أن أكس المال لأثير حسد من يحيطون بي. يكفيني الآن بيتي ومساعدة الفقير المسكين الذي يطرق بابي ويغادره وهو راضٍ.

كاد (على حدة) : هذا هو سيد الدار يأتي للقبض عليّ بسبب تشردّي ودخولي الى حديقة بدون استئذان. آه! يا لعين، تريد أن تسلمني الى الملك وتقض ألف دينار ثمن رأسي. لكني سألقمك حجراً كأنك نعمة وستبلغ سيفي كدبوس كبير الحجم قبل أن نفرق.

ايدن : يا لك من مغفل خشن الطباع والكلام. أنا لا أعرف من أنت. ألا يكفيك أن تغفل الى حديقتي نظير سارق وجئت تنهب أرضي بعد أن تسلفت حائطي عنوةً وتحدثاني، أنا المالك، بهذه الكلمات الوقحة؟

كاد : أنا أتحدثك، أجل، وأنوي أن أسفك دمك، بعد أن أهينك وجهاً لوجه. أنظر إليّ جيداً. أنا لم آكل منذ خمسة أيام. مع ذلك، إقترب أنت ورجالك الخمسة، فإن لم أصرّعكم وألقيكم على الأرض جثثاً هامدة بدون حراك كأنكم أوتاد مدقوقة في البرية، ليجفّني الله غير قادر حتى على أكل العشب.

ايدن : لا، ما دامت انكثرتا في الوجود، لن يقال أبداً إن اسكندر ايدن الفارس الشهم، في مقاطعة كنت قد اغتتم وجود عدد من رجاله معه ليقاتل مسكيناً جائعاً وحيداً. تطلّع جيداً في عيني وانظر إذا كنت بعد ذلك تقوى على خفض بصرك. تعال نوازي عضواً عضواً : أنت أنحف مني بكثير، ويدك لا تشكّل سوى إصبع بالنسبة الى قبضتي، ساقك كالقصة المرضوضة إذا قيست بساقي المفتولة هذه التي تشبه جزع

الشجرة. وفي رجليّ نشاط بقدر ما في سائر بدنك من قوة، فكن على يقين بأنّي إذا رفعت يدي في الهواء، لا أنزلها إلا ويكون قد حفر قبرك في هذه التربة. لنختم حوارنا القاسي ولنترك سيفي يقول ما لم يصرح به لساني.

كاد : أقسم لك، بأنك أكمل بطل شاهدته حتى الآن. ولو كنت من الفولاذ سأفلّ حذّك، إذا لم تُعد سيفك الى غمده حالاً، فلن تمكن من تقطيعي أنا قفص العظام إرباً إرباً. إنني أبتهل الى ربي وأنا راكم على ركبتني أن تصمد أمامي كالعمود الضخم. (يتقاتلان فيفط كاد). أه! لقد متّ والجوع وحده قتلني. إن وقف في وجهي عشرة آلاف شيطان يكفيني أن أتناول وجبات الطعام العشر التي فاتتني، وأنا أتحدّى الجميع. أذبلني يا نباتات هذه الحديقة وتحولني الى مقبرة تضمّ رفات كل من يسكن هذا المنزل، بما أني أنا كاد المتمرد قد غبت عن الوعي.

ايدن : هل حقاً أنا قلت كاد الصعلوك الخائن؟ أريدك يا سيفي أن لا تكون ضحية تصرفك هذا، وأن تزيّن قبري بفخر حين أموت، وأن لا يغسل دم هذا الخائن الشريد أبداً عن حذّك البتار، بل أن تحتفظ به كشعار وكرمز شرف تقلّده صاحبك بشجاعة واعتزاز.

كاد : وداعاً يا ايدن. إفتخر بانتصارك، وقل عني لأهالي مقاطعتي « كنت » إنهم فقدوا أبسل مقاتليهم بعد أن حرّض الناس رجاله على الجبن والاستسلام، لأنني أنا الذي لم أخف أي مخلوق، قد غلبني الجوع وحده، لا قدرة من تصدّى لي. (يموت).

ايدن : الله يعلم كم أهتنتي بهذا الهراء الذي لا معنى له. متّ أيها الشقي الذليل، ولتحلّ عليك لعنة المرأة التي ولدتك.

فكما غرزت سيفي في جسمك أودّ أن أغرز روحك في  
أعماق الجحيم. سأجرّك من رجلك إلى القمامة التي ستكون  
مشواك الأخير. وهناك سأفصل رأسك السخيف عن بدنك  
وأحمله باعتزاز إلى الملك، تاركاً جثتك وليمة للغربان.  
(يخرج وهو يجرّ الجنة).

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

في السهول بين دارتفورد وبلاكهيث.

(من جهة، مخيم الملك، ومن جهة أخرى يدخل يورك مع حرسه وطبوله تفرع، وأعلامه مرفوعة، وفصائله واقفة على مسافة منه).

يورك : هكذا أعود، أنا يورك، من إيرلندا لأطالب بحقي وأنتزع  
الناج من رأس هنري الضعيف. فافرعي يا أجراس الفرح  
وأسمعي الجميع رنينك المطرب، وتأججي يا نيران الغبطة  
وانشري أضواءك الساطعة لاستقبالي أنا الملك الشرعي كي  
أتربع على عرش انكلترا. أيتها العظمة الجليلة، من لا يشتريك  
مهما كان ثمنك باهظاً؟ على من لا يحسن القيادة أن ينتحى  
ويخضع للمغوار الجبار، فإن يدي لم تخلق إلا للتمس الذهب.  
أنا لا أستطيع أن أعطي كلامي قيمته الحقيقية إلا إذا أمسكت  
بالصولجان أو بالسيف. أقسم بحياتي بأني سأحمل الصولجان  
وأحرّك بطرفه أزهار الزنبق رمز مملكة فرنسا.

(يدخل بوككهام).

من الآتي إلينا؟ بوكنكهام؟ هل جئت لتضع العثرات في طريقي؟ لا بدّ من أن يكون الملك قد أرسلك، فعليّ أن أخفي.

بوكنكهام : إن تصرفت يا يورك بإخلاص، أحبك كأغز صديق.  
يورك : أنا أقبل تحيتك، يا همفري بوكنكهام، فهل أنت قادم كرَسُول أم من تلقاء ذاتك؟

بوكنكهام : أنا رسول هنري، ملكنا المحبوب. جئت لأعرف أسباب هذا التسلح ونحن في أيام السلم. لماذا وأنت أحد الرعايا مثلي، جمعت قوّات ضخمة بدون إذن، ورغم قسمك المقدس وتعهّدك بالولاء، تجاسرت على الإتيان بها إلى مكان هكذا قريب من بلاط الملك؟

يورك (على حدة) : أكاد لا أقوى على الكلام من شدة غيظي. أنا أستطيع أن أشقّ الصخر وأن أقتّ الحجر من شدة ما أغضبني هذا الحديث البذيء. فنظير أجاكس بن تلامون يمكنني أن أصبّ جامّ غصبي على قطعان الغنم أو البقر هؤلاء. فأنا كريم المحتد أكثر من الملك ذاته، وتلوح عليّ إمارات النبيل ولي أفكار ملكية أكثر منه. إنما عليّ أن أنظّاه بالصفاء في هذه الأثناء، ريثما يضعف موقف هنري أكثر ويقوى وضعي أنا أكثر. (يصوت مرتفع). يا بوكنكهام، أرجوك أن تعذرني إن أجبتك ببعض الأنفعال. فإن خواطري فريسة القلق والكآبة العميقة بسبب مجيئي إلى هنا مع جيشي، كي أبعد عن الملك هذا المتجبرّ سومرست الذي خان جلالته وخان الدولة.

بوكنكهام : هذا تشامخ مبالغ من جهتك بصراحة، إن لم يكن للجوئك إلى السلاح من هدف آخر، فإن الملك قد استجاب طلبك وأودع دوق سومرست داخل أسوار البرج.

يورك : بشرفك، هل هو حقاً سجين؟

بوكنكهام : أقسم لك بأنه سجين.

يورك : إذا سأسرح فصائلي، يا بوكنكهام. أيها الجنود أشكركم  
 جزيل الشكر، وأرجوكم أن تفرقوا. ستوافوني غداً إلى جوار  
 مقرّ الفارس جاورجيوس، وهناك أدفع لكم أجوركم وكل  
 ما تريدونه. لأنّ مليكي هنري الفاضل، إن طلب ابني البكر،  
 ماذا أقول؟ بل إن طلب جميع أولادي كرهائن عربون أمانتي  
 وإخلاصي له، أرسلهم اليه راضياً بدون تردد. فكل ما أملك  
 من الأراضي والأرزاق والخيول والدروع هو تحت أمره  
 وبتصرفه بشرط أن يموت سومرست.  
 بوكنكهام : أنا أثني على امثالك الودود، يا يورك. فهي بنا معاً إلى  
 خيمة جلالته.

(يدخل الملك هنري مع حاشيته).

الملك هنري : إذا يا بوكنكهام، لا يضر لي يورك أي سوء، بما أنني  
 أراك تمشي إلى جانبه متأبطاً ذراعه.  
 يورك : بكل خضوع وانضاع أقدم لك احترامي، يا صاحب الجلالة.  
 الملك هنري : لماذا إذاً أتيت إليّ بكل هذه الفصائل من المقاتلين؟  
 يورك : لكي أقتلع من هنا الخائن سومرست، ولكي أقاتل المسخ  
 المتحرد « كاد » الذي بلغني منذ هنيهة أنه لاقى مصرعه.  
 (يدخل ايدن حاملاً رأس كاد).

ايدن : إن كان لرجل مثلي، بخشونتي وبوضاعتي، أن تستقبلني أيها  
 الملك، فاسمح لي يا صاحب الجلالة بأن أقدم لك رأس  
 الخائن كاد، الذي قتله في معركة.  
 الملك هنري : رأس كاد؟ ما أعدلك يا إلهي! دعوني أبصر وجه الميت  
 الذي أقلق راحتنا عندما كان على قيد الحياة. قل لي يا  
 صديقي، هل حقاً أنت قتله.  
 ايدن : أجل، يا مولاي، أنا قتله.

الملك هنري : ما اسمك، وما هي أحوالك ؟  
إيدن : أنا أدعى اسكندر إيدن، خيال من مقاطعة كت، وأحبك كثيراً يا صاحب الجلالة.

بوكنكهام (للملك) : إن شئت، يا مولاي، لن تكون مكافأته كثيرة إن جعلت منه فارساً لأجل خدمة هامة كهذه.

الملك هنري : إركع إذاً، يا إيدن. (يركع إيدن)، إنهض الآن فقد أصبحت فارساً. إني أمنحك ألف دينار كهبة، وأودّ أن تظلّ دائماً على مقربة مني.

إيدن : أتمنى أن أحيا لأستحق هذه النعمة وأظلّ أميناً لك يا ملكي المفدى.

الملك هنري : انظر، يا بوكنكهام، هذا سومرست قادم بصحبة الملكة. فاذهب وقل له أن يتوارى سريعاً كي لا يبصره الدوق.

(تدخل الملكة ويرفتها سومرست).

الملكة مرغريت : حتى ولا لأجل ألف يورك لن يتوارى، بل سيظل يجابهه ببسالة ودائماً وجهاً لوجه.

يورك : ماذا أرى؟ سومرست متمتعاً بكامل حرته؟ إذا سأطلق أفكارى التي ظلت طويلاً حبيسة، وليكن لسانى على وفاق مع قلبي. هل يسعني أن أتحمّل رؤية سومرست؟ أيها الملك المحتال، لماذا خدعتني بكلامك المطمئن، وأنت تعلم جيداً أنني لا أستطيع تحمّل إهانة مشاهدته؟ لقد دعوتك ملكاً. كلا أنت لست ملكاً. أنت غير أهل لأن تحكم ولا أن تفرض نفسك على رعيّتك، فكيف يمكنك أن تسيطر على خائن. إن رأسك لن يحمل التاج وبذلك لن تقبض حتى على عصى الراعي، فكيف تحمل صولجان أمير مهاب؟ فرأسي أنا الذي سيلامس ذهب هذا التاج، أنا الذي نظير رمح البطل الأسطوري أخيل، بسمته وعبسته تقدر كل منهما بدورها أن تجرح وتداوي،

أن تحيي وتميت. ها هذا يدي الطاهرة تقبض على الصولجان  
وتفرض تنفيذ القوانين. بحق السماء، أعطني مكانك لأنك  
لن تملك بدلاً عمن خلقه رب السماء لأن يكون ملكاً عليك.  
سومرت : أيها الخائن السافل، إنني أقبض عليك، يا يورك، لا تترافك  
جرم الخيانة العظمى بتمردك على ملكك وعلى تاج انكلترا.  
إخضع أيها الخائن الخسيس والتمس العفو جاثياً على ركبتك.  
يورك : أنت تطلب مني أن أركع؟ دعني أولاً أن أسأل رجالي إذا  
كانوا يقبلون أن أطوي ركبتني أمام أي إنسان. يا صاحبي،  
اذهب واثنني بأولادي لكي يكونوا ضمانتي. (يخرج أحد  
المراقبين). أنا على يقين بأنني قبل أن أمضي إلى السجن  
سيستلون سيوفهم لتخليصي من أيديكم.

الملكة مرغريت : اطلبوا من كليفورد أن يحضر إلى هنا سريعاً كي يقول  
لي إذا كان أولاد يورك اللقطاء بإمكانهم أن يشكلوا ضمانته  
لأيهم الخائن.

يورك : تباً لك، أينها الإيطالية النجسة، يا حثالة نابولي، ويا جالبة  
العار لإنكلترا، إن أبنائي هم أشرف محتدأ منك بما لا يقاس  
وسيوثون الضمانة لأيهم، وبفضلهم أنا أرفض هذا الارتهان.

(يدخل ادوارد وريشار بلاتاجيه مع فصائلهما من جهة، ومن الجهة  
الأخرى، يدخل العجوز كليفورد وابنه الشاب مع فصائلهما).

ها هم قد أتوا، وأنا واثق بأنهم سيشفرون موقعي ويتقذوني.  
الملكة مرغريت : وها هوذا كليفورد الذي جاء يرفض ضمانتهم.  
كليفورد : النحية والعمر الطويل لمولاي الملك.

(يركع).

يورك : أشكرك، يا كليفورد. ما وراءك من الأخبار؟ ماذا تقول؟  
لا، لا تهددني بهذه اللهجة الغبية. أنا ملكك، يا كليفورد،

كليفوردي : الى الوراء، يا شبح التبجح، يا بصلة نتنة، يا قليل العقل وكثير البشاعة.

يورك : سأؤدّبك وألقنك درساً لن تنساه ما حيت.

كليفوردي : حذار أن يكون هذا الدرس من نصيبك.

الملك هنري : ما هذا، يا ورويك ألم تعد تعرف كيف تطوي ركبلك؟ وأنت أيها العجوز سالزبري عار على شيك أن تحمّس ابنك على العصيان والهوس. أتريد أن تصبح قاطع طرق وأنت على فراش الموت، وأن تستعجل حتفك بخساسك وجحودك؟ أين إيمانك؟ أين وفاؤك؟ إن كان الإخلاص تبخّر من رأسك الأصلع، فأين ستجد ملاذاً على هذ الأرض؟ أتريد أن تحفر قبرك بأطفارك، وتبش منه حرباً، وتلطف بدم القدر شيخوختك الجليلة؟ لماذا وأنت عجوز تتناسى حنكك؟ وإن كنت لا تزال تحتفظ بها، لماذا لا تستفيد منها؟ أنتصرف هكذا بداعي الحياء الذي يحذوك الى عدم الركوع أمامي احتراماً وقد قربك الشيب من ميتك.

سالزبري : يا مولاي، لقد تفحصت أنا بذاتي ألقاب الدوق الشهير وحسب ضميري أعتبر جلالة كوريت شرعي لعرش انكلترا.

الملك هنري : ألم تقسم بأن تحتفظ بولائك لي وحدي، أنا مليكك؟

سالزبري : أجل، يا مولاي.

الملك هنري : هل تستطيع أمام السماء أن تتصل من قسمك هذا؟ سالزبري : ليس من شرّ أقطع من أن يتعهد الانسان بعمل الشرّ. والبلية الكبرى هي تنفيذ هذا التعهد الدنيء. أي نذر علي يجبر المرء على ارتكاب الجريمة وعلى سرقة قريه وعلى انتهاك عفة العذراء، وعلى تجريد اليتيم من حقه الشرعي بالإرث، وعلى اغتصاب حق الأرملة الأكيّد. كل هذه الآثام لا يبررها أي ارتباط أو أي قسم علي.

الملكة مرغريت : الخائن الخنوع لا تردعه موعظة المتصوف.

الملك هنري : نادوا لي بكونكهام وقولوا له أن يتسلّح وأن يكون على أتمّ الأبهة.

يورك : استعن ببوكنكهام وبجميع أصحابك. فأنا مصمم على اعتلاء العرش أو الموت في سبيله.

كليفورد : الموت أنا أضمنه لك، إذا تحقق حلمي.

ورويك : الأولى بك أن تذهب الى سريرك وتنام، وأن تستسلم الى أحلامك لتتقي أنواع عاصفة القتال.

كليفورد : أنا مصمم على مجابهة أعنف الرياح التي يسلك أن تتوهمها اليوم. وسأسجل انتصاري على خوذتك، لأنني لا أعرف شعار أسرتك.

ورويك : إذا بحق شعار والدي، أقسم بأن أحمل شارة أسرة نافيل التي تشتمل على رسم دبّ مربوط بسلسلة وهو يحمل عصا كثيرة المقد، وأن أضعه على خوذتي، فيكون بارزاً مثل أرزة على رأس جبل، وهي مشبّهة بجميع أغصانها رغم الرياح الهوجاء بشكل يجعلك تنهيب مجرد منظرها.

كليفورد : وأنا سأنتزع صورة هذا الدب عن خوذتك وأدوسها بقدمي باحتقار رغم أنف صاحب الدب المشار اليه.

كليفورد الشاب : بناء على ذلك، هيا الى السلاح يا أبي، يا حليف النصر، لنسحق المتمردين وجميع أعوانهم.

ريشار : تباً لك. أرجوك أن تكون أكثر شفقة وأوفر حياءً. لا تتكلم بمثل هذا الحقد لأنك ستعشى هذا المساء في العالم الآخر.

كليفورد الشاب : ما هذه العنجهيات؟ أنت تبجح بأكثر من طاقتك.

ريشار : وإذا لم تأمل بأن تتعشى في الجنة فحتماً سيكون عشاؤك في جهنم.

(يفترقان).

## المشهد الثاني

### في مدينة ستلبان

(يسمع انذار، وضجيج تحرك الفصائل. يدخل ورويك).

ورويك : يا كليفورد كمبرلاند، أنا ورويك أناديك. وإن لم تكن هارباً من الدب، الآن والبوق يُنفخ فيه نغم الانذار، وصيحات الموتى تملأ الفضاء، أقول لك يا كليفورد : تعال قاتلني، يا أمير الشمال الباسل، يا كليفورد كمبرلاند، أنا ورويك أتحدّاك وأنتظرُك للقتال.

(يدخل يورك).

يورك : ما بك أيها اللورد النبيل؟ أراك تمشي على قدميك. الغدّار كليفورد قتل لي مطيّي. لكني بادرته بطعنة قاضية وجعلته فريسة للطيور الجارحة والغربان، ولا سيما رأسه الذي كان يجب الاحتفاظ به سليماً.

ورويك : بالنسبة الي أحدنا والى كلينا معاً، قد دقت الساعة الحاسمة. يورك : قف، يا ورويك، وابحث عن صيد آخر، لأنني أريد أن أطارده حتى الموت.

ورويك : تصرف اذاً بنبل، يا يورك، إذ إنك تقاتل لأجل التاج. وبما أنني مصمم على الانتصار هذا النهار، ليس ما يغيظني أكثر من التخلي عن القتال.

(يخرج ورويك).

كليفورد : ماذا ترى فيّ، يا يورك، لماذا تتوقف؟  
يورك : أنا معجب بموقفك المتشامخ، وإن تكن لي عدواً لدوداً.

كليفوردي : وهل أرفض قبول ثنائك وتقديرك القيم، إذا انجرفت أنت وراء خيانتك المشينة؟

يورك : أرجو أن تحميني اليوم من سيفك الذي يتحتم عليه أن يخدم العدالة والحق.

كليفوردي : اني أجازف هنا بجسمي وروحي.  
يورك : مغامرتك هائلة رغم ظروفك، فهيا إذا، استعدّ.

(يتعاركان فيسقط كليفوردي).

كليفوردي : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

(بصوت).

يورك : هكذا أَدْخَلْتُك الحرب جنة السلام. فهنا أنت جنة هامة.  
فلتسرح نفسك في جوار ربك، تماماً كما أنت شئت.

(يخرج).

(يدخل كليفوردي الشاب).

كليفوردي الشاب : يا للعار، يا للفوضى! كل شيء قد تبدّد، وبسط الرعب على الساحة ضباب التضعف الذي قضى على من أرادوا حمايته. سحقاً للحرب وليدة الجحيم الذي أغضب السماء فانتدبه لإحراق قلوب أنصاره المتقلية على جمر الحقد والانتقام. لا مجال لأي جندي لكي يهرب. فمن كرس نفسه فعلاً للحرب لم يعد يَكُنْ لذاته أي حبّ. ومن أحب ذاته لم يستحق عن جدارة، بل بسبب الظروف، أن يدعي شجاعاً. (يشاهد أباه ميتاً) لِيُدمِرَ هذا العالم الجاحد وتُحرق نيران اليوم الأخير رحاب السماء والأرض معاً. ليدقّ النفير العام ولتدو أنغامك الموسيقية وتخرس ململات كل البشر. هل حكم عليك يا أبي أن تستخدم شبابك أيام السلم وأن

تلبس شيخوختك الحكيمة حلة البياض لثأني هكذا في سنّ  
 المهابة والوقار، وقد آن لك أن تستريح على أريكة المجد،  
 أن تموت في معركة جنونية مدمرة! إن هذا المشهد يمزق  
 قلبي ويضطرنني الى اعتباره لا من لحم ودم بل من صخر  
 صلب لا يلين. أنت يا يورك، لم توفر شيوختنا، فعليك أن  
 لا توفر أولادهم أيضاً. ستكون لي دموع العذارى كقطرات  
 الندى التي تبرد اللظى المتأجج، والجمال الذي غالباً ما  
 يخضع قلب الطاغية لن يكون لي إلا زيتاً وقطراناً يزيدان  
 غضبي اشتعالاً ولهيباً. من الآن وصاعداً لن تعرف الرحمة  
 سيلاً الى صدري الموغر حقداً على البشرية. وإن صادفت  
 طفلاً من آل يورك سأقطعه إرباً إرباً، كما فعلت الساحرة  
 الغاضبة « مادية » التي هُشمت جسم الشاب أبميرت وتركته  
 أشلاء مبعثرة، ومن الشراسة سأجني أمجادي (يحمل الجنة على  
 كفي). ويحك أيها الدمار الحديث العهد إذ لحقت بأسرة  
 كليغورد العريقة. فكما حمل « ايني » أباه العجوز « نشيز »  
 عشيق افروديت، أحملك أنا على كفيّ القويتين. لكن ايني  
 لم يحمل ثقلأ حياً أخفّ من حملي الجنائزي هذا.

(يخرج).

(يدخل ريشار بلاتاجنيه وسومرت وهما يتعاركان فيقط سومرت  
 على الأرض قتلاً).

ريشار : حسناً، استرح هنا. فبموتك هكذا تحت شعار هذا النزول  
 المشؤوم الذي يمثل قصر ستلبان، قد أذعت، يا سومرت،  
 صيت تلك الساحرة التي تنبأت بموتك. فيا أيها السيف،  
 احتفظ بحذك، وبأ أيها القلب أكظم غيظك. إذ إن الكهنة  
 يصلّون لأجل أعدائهم، أما الأمراء فيقتلونهم.

(يخرج).

(بسمع نذير، ثم ضجة فصائل المقاتلين. يدخل الملك هنري والملكة مرغريت وغيرهما ويتراجع الجميع).

الملكة مرغريت : أهرب، يا مولاي. ما أبطأك! برك أسرع في الرحيل.  
الملك هنري : هل نستطيع أن نستبق مشيئة السماء؟ بحياتك، يا مرغريت الطيبة، دعينا نقف قليلاً.

الملكة مرغريت : بماذا أنت مجبول؟ أنت لا تريد القتال، ولا تنوي الهرب.  
الآن ما لنا سوى الشجاعة والحكمة والتبصر بعواقب الأمور،  
لتحملنا على ترك الساحة للعدو. تعال نهرب بما أننا لا  
نزال نستطيع الابتعاد عن هذا المكان، فليس لنا من خلاص  
إلا بالهرب. (تسمع موسيقى تحذير عن بعد) إذا قبض علينا، فلا  
مفر لنا من مصيرنا الأسود المحتوم. لكن إذا نجونا، ونحن  
لا نزال نتمكن بسهولة من النجاة، إلّا إذا حال دون ذلك  
جمودك وجبنك، سنصل الى لندن حيث أنت محبوب وحيث  
الثغرة التي نفتحها في حطنا العاثر يتاح سدّها بسرعة.

(يدخل كليفورد الشاب).

كليفورد : لو لم يكن فؤادي مصمماً على الانتقام مجدداً، لفصلت  
أن أشتم على أن أنصحك بالهرب. لكن لا بدّ من الهرب،  
لأن تحاذلاً غير مشجع يسود أذهان جميع الأنصار. فاهربوا  
واغنموا أنفسكم. وسنحيا لرى ذلك اليوم الذي نردّ لهم  
فيه كيدهم الى نحرهم. فإلى الأمام، يا مولاي، هيّا الى  
الابتعاد عن هذا المكان.

(يخرجون).

## المشهد الثالث

### في سهل قرب ستلبان

(يسمع إنذار ثم ضجة انسحاب تليه موسيقى. حينئذ يدخل يورك وريشار بلاتاجيه وورويك وجنود وطول تفرع وشارات ترفع).

يورك : لكن يا سالزبري، من يستطيع أن يزودنا بأخبار عن هذا الأسد الذي فقد شعر لبدته، وفي غضبته نسي جراح عمره، وعثرات الزمن. ونظير الشجعان في شرخ شبابهم، يسترد قواه بهذه المناسبة. فهذا اليوم السعيد لن يكون هيناً ولن نكون قد أصبنا أي ربح، إذا فقدنا سالزبري.

ريشار : لقد أجلسيت أي على سرج الحصان ثلاث مرات وحميته بجسمي ثلاث مرات وأخرجته من المعركة ثلاث مرات، وأنا أستحلفه بأن لا يشترك فيها مجدداً. لكني كنت أجدّه دائماً يواجه الخطر، ونظير سجادة ثمينة في بيت حقير، هكذا كانت ارادته في جسمه العاجز بسبب تقدمه في السن. وها هو ذا الجندي النبيل يعود الى إنجاز مهمته.

(يدخل سالزبري).

سالزبري (ليورك) : بحق سيفي، قاتلت اليوم. بشجاعة ومهارة، كما فعلنا نحن جميعاً. لذلك أشكرك يا ريشار. الله يعلم كم بقي لي من العمر في هذه الدنيا. لقد أتيح لي أن أنجو اليوم ثلاث مرات من موت أكيد. لكن ما يخصنا، يا مولاي، لم نعد نمتلكه. لا يكفي أن ينهزم أو يهرب أعداؤنا هذه المرة، فإن أخصاماً مثلهم لا يلبثون أن يعوضوا عن سقوطهم. يورك : أنا أعلم أن أمتنا يتطلب منا أن نظاردهم، لأنني عرفت أن الملك قد هرب الى لندن لكي يدعو المجلس فوراً الى

الاجتماع. فهيا نذهب إليه قبل أن يرسل بطاقات الدعوة.

ما هو رأي لورد ورويك؟ هل يحبّ ذهابنا إليهم؟  
: نذهب إليهم؟ لا، لا، بل نسبقهم، إذا استطعنا. إي وربي،  
يا مولاي هذا يوم مجيد. لأن معركة ستلبان، وقد انتصر  
فيها يورك الباسل ستكون مخلّدة لدى الأجيال القادمة. انفخوا  
الأبواق وافرعوا الطبول، وتعالوا نتوجّه كلّنا الى لندن، ونحن  
نتمنى أن نحظى بأيام عديدة مثل هذا اليوم التاريخي البهيج.

(يخرجون).

ورويك

( تمت )

# هنري السّاوِس

القِسْمُ الثَّالِثُ

## أشخاص المسرحية

هنري السادس : ملك انكلترا.

ادوارد أمير ويلز

لويس الحادي عشر : ملك فرنسا.

|                           |          |                |
|---------------------------|----------|----------------|
| <p>أنصار أسرة لنكاسرت</p> | <p>{</p> | دوق سومرست     |
|                           |          | دوق اكسستر     |
|                           |          | كونت أوكسفورد  |
|                           |          | كونت نرتميرلند |
|                           |          | كونت وستمورلند |
|                           |          | لورد كليفورد   |

ريشار بلاتاجينه : دوق يورك.

|               |          |                                           |
|---------------|----------|-------------------------------------------|
| <p>أولاده</p> | <p>{</p> | ادوارد كونت مارش، فيما بعد، ادوارد الرابع |
|               |          | جورج، فيما بعد دوق كلارانس                |
|               |          | ريشار، فيما بعد دوق كلوستر                |
|               |          | ادموند كونت رتلند.                        |

كونت ورويك : الملقب بصانع الملوك.

|                   |          |              |
|-------------------|----------|--------------|
| <p>أنصار يورك</p> | <p>{</p> | دوق نورفولك  |
|                   |          | مركيز موتيكو |
|                   |          | كونت بمبروك  |

لورد هاستينكس } انصار يورك  
لورد ستافورد

سير جون مرتيمور } عمّا الدوق  
سير هيو مرتيمور

هنري الشاب: كونت ريتشموند، فيما بعد هنري السابع  
لورد ريفرز : شقيق لثدي كراي.

سير وليم ستانلي.

سير جون متكومري.

سير جون سومرفيل.

حاكم كونت رتلند.

محافظ مدينة يورك.

ملازم البرج.

لورد.

اثنان من حرس الصيد.

صياد.

ابن قتل أباه.

أب قتل ابنه.

الملكة مرغريت : زوجة هنري السادس.

لثدي كراي : فيما بعد زوجة ادوارد الرابع وملكة انكلترا.

بون : شقيقة لويس الحادي عشر.

جنود، رجال حاشية، رسل، حراس، الخ...

## الفصل الأول

### المشهد الأول

لندن — في قاعة مجلس النواب

(يسمع قرع طبول. جنود حزب يورك يحتلون القاعة. حينئذ يدخل  
دوق يورك وادوارد وريشار ونورفولك وموتيكو وورويك وغيرهم  
وعلى قبعاتهم ورود بيضاء).

ورويك : يدهشني أن يكون الملك قد نجا من أيدينا.

يورك : بينما كنا نطارد فرسان الشمال، هرب سراً، وقد تخلّى عن  
رجاله. وعلى هذا الأساس يكون لورد نرتمبرلند الذي لم  
تعود أذنه الحربية على ضجة التراجع، قد شحذ همه الجيش  
المنكسر للفرار. فهو ولورد كليفورد نفسه، ولورد ستافورد،  
قد هاجموا جميعاً جيشنا المحارب، وتوغلوا فيما بيننا فسقطوا  
تحت طعنات سيوف جنودنا البواسل.

ادوارد : أمّا والد لورد ستافورد، دوق بوكنكهام، فلا بد من أن يكون  
إمّا قُتل وإمّا أصيب بجرح بليغ، إذ اخترقت خوذته بطعنة  
محكمة، وبرهاناً على ذلك يا ولدي، انظر دمه.

(يشير الى سيفه الملقح دماً).

مونتيكو (نُري سيفه ليورك): انظر، يا أخي، هذا دم كونت ويلتشاير الذي جابهته في أول صدام.

ريشار (يمر الى الأرض برأس سومرست): تكلم أنت عني، وأخبرهم ماذا فعلت.  
يورك: من بين جميع أولادي، ريشار هو المميز حتماً. كيف مت يا سيادة لورد سومرست؟

نورفولك: جميع ذرية حنّا دي غان سيلاقون نفس هذا المصير.  
ريشار: أُملي أن أهرز يدي هكذا رأس الملك هنري.  
ورويك: أنا أيضاً، يا أمير يورك المظفر. طالما لا أراك تتربع على هذا العرش الذي اغتصبته أسرة لنكاستر، أنا أقسم بحق السماء أن لا يغمض لهنذين العينين جفن. هذا هو قصر الملك الجبان فاستول عليه يا يورك، لأنه ملكك ولا يخص الملك هنري أبداً.

يورك: تصرف اذاً كما يحلو لك يا عزيزي ورويك، وأنا مستعد لأن أساندك، فانا ما دخلنا الى هنا إلا بالقوة.  
نورفولك: سنساعدك جميعنا، لأن من يهرب يصبح بحكم الميت.  
يورك: شكراً يا نورفولك. ابقوا الى جانبي أيها اللوردات، وأنتم أيها الجنود ابقوا هنا واقضوا هذه الليلة بقربي.  
ورويك: وعندما يأتي الملك، لا تقابلوه بأي عنف إلا اذا حاول طردكم بالقوة.

(ينسحب الجنود).

يورك: الملكة تقيم هنا مجلسها اليوم. لكنها لا تشك أبداً بأننا سنشارك في محاورتها سواء بالكلام أو بالطعان لأننا مصممون على استعادة حقوقنا.  
ريشار: سنمكث في هذا القصر بقوة السلاح الموجود في حوزتنا.

ورويك : وسيدعى هذا المجلس مجلس الدم، إلا اذا توصل بلانتاجينييه  
دوق يورك الى اعلان ذاته ملكاً، وقَبِل بالتنازل عن العرش  
صاحبنا هنري الجبان الذي جعل منا أضحوكة لأعدائنا.  
يورك : لا تتركوني اذا، أيها اللوردات، وكونوا حازمين، لأنني مصمم  
على الوصول الى حقوقي.

ورويك : لا الملك، ولا نصيره المخلص والأكثر اعتزازاً بين جماعة  
لنكاستر، لا يسهه أن يحرك ساكناً اذا ما لَوَّح ورويك بقبضة  
سيفه البتار. سأزرع بلانتاجينييه هنا، فمن يجسر على اقتلعه.  
كن ثابت الجنان، يا ريشار، وطالب بعرش انكلترا.

(ورويك يفود يورك الى العرش، وهذا الأخير يتربع عليه).

(تسمع موسيقى. يدخل الملك هنري وكليفورد ونرتمبرلند ووستمورلند  
واكاستر وغيرهم وعلى قبعاتهم ورود حمراء).

الملك هنري : أيها اللوردات، انظروا كيف يجلس المتمرد الوقح على العرش  
الذي يبدو ظاهراً ان قوات ورويك تسانده، وهو النائب  
الأخرق الذي يدعي الوصول الى التاج ليملك مثلي. ان  
كونت نرتمبرلند قد قتل اباك، وكذلك أيضاً، يا لورد كليفورد،  
وكلاكما اقسمتما اليمين بأن تنتقما منه ومن أولاده ومن  
أصحابه والمقربين اليه.

نرتمبرلند : اذا لم أعاقبه أنا، اقتصبي منه أنت أيتها السماء.  
كليفورد : أنا كليفورد، سأرتدي ثياب الحداد الفولاذية حتى أحقق  
الانتقام.

وستمورلند (مشيراً الى يورك) : ما هذا؟ هل علينا أن نتحمل ذلك؟ اطرحوه  
خارجاً ان قلبي تغلي فيه مراجع الغضب، ولا يسعني احتمال  
هذا الحال أكثر مما فعلت.

الملك هنري : صبراً، يا عزيزي كونت وستمورلند.  
كليفورد : الصبر سلاح الجبناء أمثاله. ما جرؤ على الجلوس هنا، لو

كان والدك لا يزال حياً. يا عزيزي اللورد، دعنا نهاجم  
أسرة يورك هنا في هذا المجلس.

نرتمبرلند : بالصواب نطق يا ابن العم، هيا نهاجمهم.  
الملك هنري : ألا تدرون ان المدينة رهن اشارتهم، وأن لديهم عدداً كبيراً  
من الجنود ينتظرون صدور الأوامر اليهم.

اكستار : لكن متى قتل الدوق سيادرون الى الهرب.  
الملك هنري : بعيداً عن مودتي أنا هنري، وبدون أن أفكر بأن أدفن عظام  
نواب المجلس، يا ابن عمي اكستار، أرى أن الأنظار  
والكلمات القاسية هي السلاح الوحيد الذي يمكنني اللجوء  
اليه. (يتقدم نحو الدوق) أنزل عن عرشي يا دوق يورك المتبجح  
اللئيم، وخرّ على قدمي لالتماس صفحي وإنعامي، أنا ملكك  
وسيدك.

يورك : بل أنا ملكك وسيدك.  
اكستار : هيا أخرج من هنا وأنزل، لأنه هو الذي رفعك الى مقام دوق  
يورك.

يورك : هذه الدوقية هي من حقي بالارث نظير كونتية مارش.  
اكستار : والدك خان التاج.  
ورويك : أنت خنت العرش، يا اكستار، بمساندتك هذا المغتصب  
هنري.

كليفورد : أولاً يتحتم عليه أن يناصر مليكه الشرعي.  
ورويك : بالفعل، يا كليفورد، ريشار هو دوق يورك.  
الملك هنري (ليورك) : سأظلّ واقفاً طالما أنت متربع على عرشي.  
يورك : هذا واجب لا مفر منه، وعليك أن تزعن للواقع وتتنازل  
عن العرش.

ورويك (لهنري) : كن أنت دوق لنكاستر، وهو يصبح ملكاً.  
وستمورلند : هنري هو في الوقت نفسه دوق لنكاستر، وملك، بموافقة  
لورد وستمورلند.

ورويك : أنا موافق على ذلك يا ورويك. هل نسيت أننا طردناك من  
السهل، وأنا قلنا أجدادك، وبعد أن رفعنا اعلامنا مشينا عبر  
المدينة للدخول الى هذا القصر؟

نرتمبرلند : أجل، يا ورويك، يؤلمني جداً أن أتذكر ذلك. أقسم برحمة  
والذي أنك أنت وأسرتك، ستدفعون الثمن باهظاً.

وستمورلند : اكراماً لك، يا بلاتاجينه، ولأولادك هؤلاء وذويك  
وأصحابك، سأتمسك بوجودكم أكثر مما أفعله لأجل قطرات  
الدم التي تسري في عروقي.

كليفور : لا تليح أكثر من هذا، يا ورويك، خشية أن أوجه لك بدلاً  
من الكلام رسولاً ينار لموت أبي قبل أن أغادر هذا المكان.

ورويك : مسكين كليفور. كم أحقر تهديداته العقيمة الفاشلة.

يورك : هل تقبل بأن نيين لك انسابنا وحقنا بالتاج؟ وإلا طالبت  
سيوفنا به حالاً في ساحة القتال.

الملك هنري : أيها الخونة، أية أنساب وأي حق لكم بالتاج؟ كان أبوك  
مثلك دوق يورك، وكان جدك روجر مريمور كونت مارش.  
أما أنا فأبن هنري الخامس الذي أخضع لحكمه ولّي العهد  
والفرنسين معاً، واستولى على المدن والمقاطعات.

ورويك : لا تتكلم عن فرنسا بما أنك خسرتها برمتها.

الملك هنري : اللورد حامي المملكة هو الذي خسرها، لا أنا. وعندما  
توّجت، لم يكن عمري سوى تسعة أشهر.

ريشار : الآن أراك تقدمت في السن، ومع ذلك يخيل لي أنك لا  
تزال خاسراً على الدوام. يا والدي، انتزع التاج عن رأس  
المغتصب.

ادوارد (ليورك) : هيا، يا أبي العزيز، ضعه على رأسك.

موتيكو (ليورك) : إذا كنت، يا نسيبي، تحب أن تشرف السلاح، تعال  
نحتمك اليه في القتال بدون أن نثرثر هكذا.

ريشار : أقرعي يا طبول، وانفخي يا أبواق، فإن الملك مزعم أن يهرب.

يورك : اصمت، يا ولدي.

الملك هنري : اسكت، ودعني أنا الملك هنري أتكلم.

ورويك : بلاتاجينه سيتكلم أولاً. فاستمعوا اليه أيها اللوردات، اسكوا وانتبهوا، وإلا لن يبق من يقاطعه على قيد الحياة.

الملك هنري : أتظنون أنني أتنازل عن عرشي الذي تربع عليه مثلي أبي وجدي؟ كلا، ثم كلا، فقبل أن يتم ذلك ستحصد الحرب جميع رعايا مملكتي وتطوي أعلامهم التي ارتفعت طويلاً في فرنسا والتي يؤلمني أن لا تخفق الآن إلا في سماء انكلترا فقط والتي ستكون الكفن الذي يلفني. لماذا ترددون أيها اللوردات. فان نسيي وحقي بالعرش أوضح وأفضل بكثير مما يدعيه هو.

ورويك : أثبت يا هنري أنك مصمم على أن تكون ملكاً.

الملك هنري : هنري الرابع لاكسب التاج.

يورك : بواسطة التمرد على مليكه.

الملك هنري (على حدة) : لا أدري ماذا أقول، هل نسيي ضعيف؟ قل لي : هل يسمع الملك أن يتبنى وريثاً؟

يورك : ماذا تعني؟

الملك هنري : اذا كان ذلك باستطاعته، فأنا اذاً ملك شرعي، لأن ريشار، بحضور عدد كبير من اللوردات، تنازل عن التاج لهنري الرابع، وكان والذي وريثه، كما أنا وريث أبي.

يورك : لقد ثار ريشار على مليكه وأجبره بالقوة على الاستقالة.

ورويك : ولنترض أيها اللوردات أن ريشار تصرف بملء ارادته، فهل تعتقدون أن باستطاعته أن ينكر حقي في العرش؟

اكسائر : كلا، لأنه حال تنازله عن الملك، كان على الأقرب نسباً اليه أن يخلفه ويملك بعده.

الملك هنري : هل أنت عليّ اذاً، ولست معي، يا دوق اكسائر؟

اكسائر (يدل على يورك) : الحق بجانبه هو. أرجو منك أن تسامحني.

يورك : لماذا تغمغم، يا مولاي، ولا تتكلم بصراحة؟  
 اكساتر (يدل على يورك) : ضميري يحدثني بأنه الملك الشرعي.  
 الملك هنري (على حدة) : الجميع يتخلون عني وينضمّون اليه.  
 نرتمبرلند : يا بلاتاجنيه رغم كل غرورك وتبححك، لا تظن أن هنري  
 يتنازل بمثل هذه السهولة.  
 ورويك : سيتنازل رغم أنف الجميع.  
 نرتمبرلند : أنت تخذع نفسك. فليس مسلحو الجنوب وإسكس  
 ونورفولك وسوفولك، ولا رجال مقاطعة كنت الذين يقتلهم  
 الشموخ وتنفخ صدورهم العجرفة هم الذين سيفيدونك أو  
 يستطيعون أن يُجلسوا الدوق على العرش بالرغم منك.  
 كليفورد : أيها الملك هنري، إن كان لقبك صالحاً أو سيئاً، فأنا لورد  
 كليفورد أقسم بأن أحارب دفاعاً عنك. فلتشق الأرض  
 وتبتلعني حياً إن جثوت أمام قاتل أبي.  
 الملك هنري : يا كليفورد، أود أن تنعش كلماتك قلبي الحزين.  
 يورك : يا هنري سليل لنكاستر، اخلع التاج عن رأسك. بماذا تتمتعون،  
 وعلى من تتآمرون أيها اللوردات؟  
 ورويك (لهنري) : أعطِ دوق يورك حقه الأميري، وإلا ملأت هذه القاعة  
 بالرجال المدججين بالسلاح، وفوق العرش الذي يتربع عليه  
 في هذه اللحظة سأجعل لقيه بدم المغتصب.  
 (يضرب الأرض بقدمه فيرز الجنود).  
 الملك هنري : يا لورد ورويك، اسمح لي بكلمة واحدة فقط. دعني أحكم  
 كملك طوال حياتي.  
 يورك : أمن التاج لي ولزيتي، وستحكم بسلام ما دمت حياً.  
 الملك هنري : انا موافق على جلوس ريشار بلاتاجنيه على العرش بعد  
 مماتي.  
 كليفورد : ما هذه الاهانة بحق ابنك الأمير؟

ورويك : بل يا لسعادة انك لترا وسعادتك!  
 وستمورلند : ما أجبتك، يا هنري اليائس الخسيس!  
 كليفور : هكذا أنت تؤذي نفسك وتؤذي في الوقت ذاته!  
 وستمورلند : لا يعني البقاء هنا لسماع هذه الشروط.  
 نرتمبرلند : ولا أنا.  
 كليفور : تعال، يا ابن العم، ننقل الخبر الى الملكة.  
 وستمورلند : وداعاً، أيها الملك الخائف المنحط الذي لا يحوي دمه  
 الفاسد أية ذرة شرف.  
 نرتمبرلند : ستكون اذاً ضحية أسرة يورك، وتموت راسفاً في سلاسل  
 الذل بسبب هذا التصرف الجبان الأرعن.  
 كليفور : لا بدّ من السقوط صريع حرب هائلة، والعيش في سلام  
 هزيل محقر.

(يخرج نرتمبرلند وكليفور وستمورلند).

ورويك : أدر وجهك نحونا، يا هنري، ولا تأبه لهم.  
 اكسائر : هم لا يبحثون إلا عن الانتقام، لذلك تراهم متمسكين بما  
 هم حاصلون عليه.  
 الملك هنري : آه، يا اكسائر!  
 ورويك : لماذا هذا التأوّه، يا مولاي؟  
 الملك هنري : أنا لا أتحتّر على نفسي، يا لورد ورويك، انما على حظّ  
 ابني الذي سأحرّمه من العرش بسبب مصيري المشؤوم.  
 ليحدث ما هو مقدّر لي. (لنوق يورك) أنا أهيك العرش على  
 أن تنقله الى أولادك من بعدك بشرط أن تُقسم لي هنا بأن  
 تنهي هذه الحرب الأهلية، وأن تحفظ شرفي ما دمت أنا  
 حياً بصفة كوني ملكاً سيّداً، وأن لا تحاول، عن طريق  
 الخيانة أو بقوة السلاح، أن تقلبني لتحكم أنت مكاني.  
 يورك (وهو ينزل عن العرش) : أقسم راضياً، وأعدك بأن أبرّ يميني.

ورويك : لبحيَ الملك هنري. عانقه، يا بلاتاجينه.  
الملك هنري (بعانق يورك) : لبحيَ طويلاً أنت وأولادك وأولاد أولادك.  
يورك : الآن تصالحت أسرتا يورك ولنكاستر.  
اكستار : ملعون من يحاول أن يزرع العداوة بينهما.  
(ينفخ البوق ويتقدم اللوردات).

يورك : وداعاً، أيها اللورد النبيل، أنا ذاهب الى قصري.  
ورويك : وأنا ذاهب لاحتلال لندن مع جنودي.  
نورفولك : وأنا ذاهب الى نورفولك مع رجالي.  
مونتكلو : وأنا عائد الى البحر من حيث أتيت.  
(يخرج يورك وأولاده ورويك ونورفولك ومونتكلو والجنود والحاشية).

الملك هنري : وأنا، والألم يحزّ في قلبي، أعود الى بلاطي.  
(تدخل الملكة مرغريت وأمير ويلز).

اكستار : ها هي الملكة آتية، وعلى وجهها امارات الغضب الشديد،  
فالأولى بي أن أنسحب.

الملك هنري : وأنا أيضاً، يا اكستار.  
الملكة مرغريت : لا، لا تبعد عني، فأنا لاحقة بك.

الملك هنري : هدئي روعك، يا ملكتي العزيزة، فأنا باقر هنا.  
الملكة مرغريت : تبا لهم من رجال أشقياء. كم أتمنى لو متُ وأنا فتاة،  
على أن أكون قد عرفتك ومنحتك ابناً، عندما أرى فيك  
أباً هكذا حقيراً. هل أستحق هذا الابن أن يخسر هكذا  
ما يحق له بالميراث؟ لو كنت أحبيته بمقدار نصف ما ينتحم  
عليك وما أكنّه انا له من حنان، لو كنت تعذبت بسببه  
كما تعذبت أنا، لو كنت غذيته نظيري بدمك، لبذلت هنا  
أظهر دم سري في عروقك، قبل أن تجعل وريثك هذا اللوق  
المتوحش، وتحرم ابنك الوحيد من حقه.

أمير ويلز : لا يسوغ لك، يا أبي أن تحرمني. فان كنت ملكاً، لماذا لا أخلفك أنا؟

الملك هنري : العفو يا مرغريت، العفو يا ولدي العزيز، ان كونت ورويك والدوق هما اللذان أجبراني على التنازل.

الملكة مرغريت : هما أجبراك. هل أنت ملك لكي تدعهما يتحكّمان بك؟ أنا أذوب خجلاً لسماحك تنطق هكذا. تباً لك من جبان. لقد ضيّعنا جميعنا، أنا وأنت وابنتك. اذا منحت اسرة يورك كل هذا الدعم، فلن تحكم أبداً بسبب تهاهلك، وبسماحك بانتقال التاج اليه، ومن بعده الى ذريته، تكون قد حفرت قبرك بيدك لتردى فيه قبل الأوان. فأنا ورويك أصبح مستشاراً ولورد كاليه، وفولكبيريدج الغريب الأطوار يتحكم بالمضيق، والدوق نصّب نفسه حامي المملكة، وتظن أنك الآن في أمان؟ أجل، في أمان نظير الحمل المرتجف الذي تحيط به الذئاب. لو كنت هنا أنا المرأة الضعيفة لكان الجنود أرقصوني على رماحهم قبل أن أقبل بحلّ كهذا. أما أنت ففضلت البقاء حياً على الدفاع عن شرفك. وعلى هذا الأساس، يا هنري، أنا أرفض الجلوس الى مائدتك والنوم في فراشك حتى أرى المجلس يلغي ميثاق حرمان ولدي من العرش. ان لوردات الشمال الذين نكسوا اعلامك سينضون تحت اعلامي حالما يرونها مرفوعة خفاقة. وسيتم هذا ويلحقك منه شر عار ودمار من أسرة يورك. وبناء على ذلك اغادرك. هيا يا بني، ان جيشنا جاهز، هيا بنا نسرع وننضم اليه.

الملك هنري : قمي يا مرغريت اللطيفة، واصفي الي كلامي.

الملكة مرغريت : لقد تكلمت كثيراً. فإليك عني.

الملك هنري : يا ولدي الحبيب ادوارد، ابق أنت هنا.

الملكة مرغريت : لكي يقتله اعداؤه.

أمير ويلز : عندما أعود منتصراً من ساحة القتال، سأقبل بشخصك الكريم،  
والى ذلك الحين سأتابع والدتي.  
الملكة مرغريت : هيا يا ولدي، الى الأمام. فلا يجمل بنا أن نتأخر هكذا.  
(تخرج الملكة مرغريت ومعها أمير ويلز).

الملك هنري : مسكينة أنت أيتها الملكة! كم دفعها حبها لابنها، ولي أنا  
أيضاً الى التلفظ بكلمات غاضبة. أتمنى أن يثار لها أحد  
من هذا الدوق المتعجرف الذي يحوم بأجنحة الجشع حول  
عرشي نظير نسر جائع لينقضّ بشراسة على لحمي ولحم  
ولدي. ان عدم مبالاة هؤلاء اللوردات الثلاثة يعذب قلبي.  
لذا سأكتب اليهم واستعطفهم بصداقة ومودة. تعال يا ابن  
عمي لتكون الرسول الوسيط بيني وبينهم.  
اكسائر : وأنا أملئ كبير بأن يصالحوك جميعهم.

(يخرجان).

## المشهد الثاني

في قصر الصندل قرب ويكفيلد في كوتية يورك

(يدخل ادوارد وريشار ومونيكو).

ريشار : يا أخي، مهما كنت أنا أصغر منك، أسألك أن تدعني أتكلم.  
ادوارد : لا، أنا أقدر منك في الخطابة.  
مونيكو : أنا حجتي أقوى، ولا سبيل الى دحضها.

(يدخل يورك).

يورك : حسناً. ما معنى هذا؟ أرى أبنائي وأخي يتشاجرون. فما

- هو سبب المشادة؟ وكيف بدأت؟  
 ادوارد : هذا ليس شجار. هذه مناقشة طريفة.  
 يورك : حول ماذا؟  
 ريشار : حول موضوع يهم سعادتك وبهمناء، ألا وهو تاج انكلترا الذي يخلصك يا أبي؟  
 يورك : يخصني أنا، يا ولدي؟ لا، لا يمكن ذلك قبل موت الملك هنري.  
 ريشار : أنت ورثته، فما عليك الا أن تتهج بذلك. اذا تركت لأسرة لنكاستر مجالاً لتنفس الصعداء، فانها حتماً ستسبقك اليه، يا أبي.  
 يورك : لقد أقسمت أن أتركه يحكم بلاده بارتياح، وتريدني أن أحتث بألف يمين لكي أملك سنة واحدة فقط؟  
 ريشار : كلا، لا سمح الله أن تحث بقسمك.  
 يورك : أكون قد حثت يميني إن أنا لجأت الى السلاح.  
 ريشار : سأبرهن لك العكس، اذا ثبت أن تصفي اليّ.  
 يورك : لن تستطيع اثبات ذلك، يا ابني. لأن هذا مستحيل.  
 ريشار : الحلفان لا قيمة له إلا اذا جرى القسم أمام قاضٍ حقيقي وشرعي له سلطة على من يحلف اليمين. والملك هنري لم يقسم أي حلفان عندما شغل مكانك. وبما أنه هو الذي فرض عليك التعهد واليمين أيها اللورد، فان قسمك باطل لا قيمة له. ثم، أسألك أن تفكر، يا أبي كم هو جميل أن يحمل الانسان تاجاً على رأسه. ففي مجلسه هو نظير «اليزيه» ينعم بجميع الملذات والمرات التي يحلم بها الشعراء. فلماذا تأخر هكذا؟ أنا لا أرتاح الى كون الورد البيضاء التي أحملها لن تنمو إلا اذا شربت من دم قلب الملك هنري الفاتر.  
 يورك : كفى يا ريشار. أريد أن أصبح ملكاً أو أموت. ستذهب

حالا الى لندن، يا أخي، لتبحث ورويك على التعجيل في هذه القضية. أنت، يا ريشار، اذهب لمقابلة دوق نورفولك، وأعلمه سراً بنوايانا. وأنت يا ادوارد ستذهب لمقابلة لورد كوبهام الذي سيهب مع رجال كنت يداً واحدة، وأنا لي ملء الثقة بهم لأنهم جنود أذكاء وشجعان وكرماء وكلهم نخوة. وبينما تكون أنت مشغلاً لن يبقى لي سوى البحث عن فرصة لمناهضته، بدون أن يدري الملك أو أي فرد من أسرة لنكاستر بمساعي الخفي.

(يدخل رسول).

تعال يا هذا. ما وراءك من الأخبار؟ لماذا أنت آت بمثل هذه العجلة؟

الرسول : الملكة مع سائر الكونتات ولوردات الشمال يتأهبون لمحاصرتك هنا في قصرك. انها تتقدم مع عشرين الف رجل، وهكذا عليك أن تحصن وضعك يا مولاي.

يورك : أجلي، بسيفي هذا. أوتظن أنني أهابهم؟ يا ادوارد ويا ريشار ظلاً معي فان أخي مونتيكو سيرع الى لندن، والنبييل ورويك وكوبهام والآخرين الذين تركناهم كحراس لحماية الملك، سيتضامنون كقوة سياسية، ولن يثقوا بالملك هنري الساذج ولا بعهوده.

مونتيكو : انا ذاهب، يا أخي، أقمهم. فلا يقلق لك بال. وعلى هذا الأساس أستأذنك بالانصراف.

(يدخل سير جون وسير هيو مرتيمور).

يورك : يا عمي سير جون وعمي سير هيو مرتيمور، لقد وصلتما الى صندل في الوقت الملائم. فجيئ الملك يستعد لمحاصرتنا.

سير جون : لا حاجة الى ذلك. سنبادر الى لقائهم في السهل.  
يورك : ماذا تقول؟ أنسيت أن معها خمسة آلاف رجل؟  
ريشار : أجل يا أبي، وان كانوا خمسة آلاف؟ بما أن قائدتهم امرأة،  
فماذا نخشى؟

(يسمع عن بعد نثيد عكري).

ادوارد : انا اسمع قرع طبولهم. فلنعدّ رجالنا ونخرج الى مقاتلتهم  
في الحال.  
يورك : خمسة مقابل عشرين. ومهما كانت هذه النسبة في الفرق  
كبيرة، أنا لا أشك، يا عمي، بأن النصر سيكون حليفنا.  
ولقد فزت وأنا في فرنسا بكسب أكثر من موقعة كان فيها  
الأعداء عشرة لقاء واحد. فلماذا لا يكون نصيبي اليوم نفس  
النجاح.

(يسمع صوت إنذار بخرج الجميع).

## المشهد الثالث

في سهل قرب قصر الصنل.

(يسمع صوت إنذار وحركة جيوش. يدخل رتلند والحاكم).

رتلند : هيا اهرب لتنجو من أيديهم. أيها الحاكم ها هوذا سفك  
الدماء كليفوردا.

(يدخل كليفوردا وبعض الجنود).

كليفوردا : اذهب أيها المرشد. فوظيفتك الدينية أن تنقذ حياتي. أما

ابن هذا الدوق اللعين، فإن والده قتل أبي. لذلك لا بدّ  
له من أن يموت.

الحاكم : وأنا يا مولاي سأرافقه.

كليفوردي (يشير إلى الحاكم) : خذوه، أيها الجنود.

الحاكم : يا كليفوردي، لا تقتل هذا الولد البريء خوفاً من غضب  
الله والناس أن ينهال عليك.

(يخرج بجره الجنود).

كليفوردي (ينظر إلى رتلند) : هل مات؟ أم أن الخوف أغمض عينيه؟ سأقبحهما.

رتلند : هكذا يتطلع الأسد الجائع إلى المخلوق الشقي الذي يختلج  
تحت برائته الجارحة. وهكذا يأتي لإهانة ضحيته وتمزيقها  
إرباً إرباً. اقتلني بسيفك يا كليفوردي الكريم، لا بنظرتك  
الوحشية المشبعة تهديداً. يا كليفوردي الحنون استمع إليّ قبل  
أن أموت. أنا أمام هياجك ضعيف للغاية. صَبَّ نَفْسُكَ عَلَى  
الرجال الأشداء ودعني أعش.

كليفوردي : كلامك يذهب سدى، يا ولدي المسكين، لأن دم أبي سدّ  
الثغرة التي كان على كلامك أن يدخل منها إلى قلبي.

رتلند : إذا دع دم أبي يغطيها. هو رجل قادر، فما عليك يا كليفوردي  
إلا أن تقارن نفسك به.

كليفوردي : لو كان إخوانك هنا، لما كَفَّتْ حياتهم وحياتك لشفاء غليل  
انتقامي. كلا، عندما أنبش قبور أجدادك وأعلق بالملاسل  
جثثهم المهترئة، لن ينطفئ لهيب غضبي ولن يذوق قلبي  
طعم الانفراج. لأن رؤية أحد أفراد أسرة يورك هي بحدّ  
ذاتها شوكة تعذب نفسي. وإلى أن أبقر بطون هذه السلالة  
الملعونة ولا أدع منها أحداً على قيد الحياة، أحيا في جحيم  
ولا يهدأ لي بال. إذا...

(يرفع يده).

رتلند : دعني أصلي قبل أن تزهق روحي. أتوسل إليك يا كليفور  
الحنون أن ترأف بحالي.

كليفور : ليس أمامك سوى الشفقة التي يكنّها لك حدّ سيفي.

رتلند : أنا لم أسبّب لك أي ضرر، فلماذا تروم قلبي؟

كليفور : أبوك أنزل بي أشنع مذلة.

رتلند : هذا كان قبل أن أرى النور. أنت لك ابن، فباسم هذا الابن

أسألك أن تشفق عليّ خوفاً من أن تقتصر منك عدالة الله،

فيموت ولدك أفضح الميتات. دعني أمكث في السجن ما

بقي لي من العمر. وإذا سببت لك أي إزعاج يمكنك حيث

أن تقضي عليّ لأنك لا تملك الآن أية حجة للقيام بذلك.

كليفور : لا حجة لديّ؟ يكفي أن يكون والدك قاتل أبي، لكي يتحتم

عليك أن تموت.

(يظعن رتلند بخنجر).

رتلند : لتكون هذه الجناية قمة أمجادك. (يموت).

كليفور : أنا قادم إليك، يا بلانتاجنيه. سيَبّ دم ابنك العالق في

حدّ سيفي الصدأ لنصلته، ومتى جمد الدم عليها امسحهما

كليهما معاً.

(يخرج).

## المشهد الرابع

### في نفس المكان

(بسمع صوت إنذار. يدخل يورك).

يورك

: جيش الملكة يسيطر على ساحة المعركة، وقد قتل اثنان من أعمامي عندما جاءا لنجدتي، وجميع أنصاري أداروا ظهورهم لأعدائي. وهربوا مثل السفن أمام الرياح العاتية أو مثل الخرفان التي تطاردها الذئاب الجائعة. أين أنتم يا أولادي؟ الله يعلم ماذا حلَّ بهم. إن ما أعرفه هو أنهم تصرفوا، إن كانوا أحياء أو أموات، كرجال لم يخلقوا إلا للمجد. ثلاث مرات شقَّ ريشار طريقه حتى وصل إليّ، وثلاث مرات صاح : تشجع يا أبي، واصمّد حتى النهاية. ثم ثلاث مرات وصل ادوارد الى جانبي وسيفه بلون الأرجوان، مصبوغ حتى قبضته بدم الذين جابهوه. وعندما انسحب أشجع المقاتلين صرخ ريشار : هاجموا ولا تتخلوا عن شبر من الأرض. وظل يصيح : ليس أمامنا إلا التاج، أو القبر المجيد، والصلولجان أو الحفرة الضيقة في أرض شريفة. وبناء على ذلك هاجمناهم مرة أخرى، لكننا يا للأسف فشلنا مرة أخرى. وهكذا رأيت البيجة تجاهد عبثاً في السباحة بعكس اتجاه مجرى الماء، وتبذل أقصى جهدها لمكافحة الأمواج العنيدة (بسمع صوت إنذار مقتضب). انتصوا. إن المضطهد المشؤوم يلاحقنا وأنا منهوك القوى لا يسعني أن أهرب من غضبه، حتى ولو كنت أملك كامل قواي لما تسنى لي أن أتجنبه. لأنّ حَيَات الرمل التي تحصي أوقات حياتي معدودة. هنا عليّ أن أبقى، وهنا ينتحتم على مصري أن يوصلني الى حتفي. (تدخل الملكة مرغريت وكليفورد ونرتمبرلد وبعض الجنود).

تعالَ أيها السفاك كليفور، ويا أيها المتوحش نرتمبرلند. أنا  
أتحدّى غضبك الهائج وجنونك الرهيب، فأنت تستهزئني،  
وأنا لا أخشى طعناتك.

نرتمبرلند

: استسلم الى مشيقتنا، يا بلانتاجينه المتجبر.

: أجل، الى مشيتكم التي لا ترحم لأنكم قتلتم أبي عندما  
سدّدتم له الحساب. حيثذ سقط فاتيون ابن الشمس عن

كليفور

مركبته، وجعل الظلام يخيم حتى في رابعة النهار.

: إن بقاياي نظير رماد طائر الفينيق الذي يسهه أن ينبثق منه

يورك

ليثأر لي منكم جميعاً. وعلى هذا الأمل أرفع أنظاري الى

السماء، وأنا أهرأ بكل ما يمكنكم أن تنزلوه بي من بلايا.

فلماذا لا تتقدمون نحوي؟ كيف ترتضون بأن تكونوا جماعة

ترتجف من الخوف؟

: وهكذا يحارب الجبناء الرعايد عندما لا يتمكنون من الهرب،

كليفور

وهكذا تعض الحماثم مخالب الصقر الجارحة، وهكذا ينهال

الصوص المحكوم عليهم، وقد يشسوا من الحياة، بالإهانات

على شهود قياتحهم.

: أرجو منك يا كليفور أن تتأمل لحظة بما تذكرك به أيام

يورك

حياتي الماضية. ثم أن تنظر الى عيني إن أمكنك، وأن تعضّ

لسانك الذي ينطق بجانة رجل كانت أنظاره ترعدك وتحملك

كالمهزوم على الفرار.

: لا أريد أن أهاجمك بكلامي، بل أن أقارعك بخنجري،

كليفور

وأردّ لك أربع طعنات لقاء كل طعنة.

(يتضي خنجره).

الملكة مرغريت: قف، يا كليفور الشجاع، لألف سبب أريد أن أطيل

عمر هذا الخائن الزميم. فالهياج قد بلاه بالصمم. اسمع

كلمة واحدة مني، يا نرتمبرلند.

: قف يا كليفور. لا تبدأ بجرح اصبعه لكي تخزق قلبه.

نرتمبرلند

إن الكلب الذي يكشّر عن أنيابه، ليس من الحكمة أن تمتد  
اليدين إلى شدقيه، بينما يتسرع طرده بركلة رجل. لا بدّ للحرب  
من أن تنتزع حقوقها من المقاتلين ولا تقتضي البسالة أن  
يقاوم المرء وحده عشرة رجال ويسودّ صفحة شجاعته، وقد  
قيل بحقّ إن الكثرة تغلب المرجلة.

(يجري اشتباك مع يورك الذي أخذ يخطط خطط عشواء).

كليفورد : أجل، أجل، هكذا يتخطى الديك، الفصيح على تلته، في  
فتح العصافير.

نرتمبرلند : وهكذا يتمايل الأرنب تيهاً في شبكة الصياد.

(يقع يورك في الأسر).

يورك : وهكذا أيضاً يظفر اللصوص بالغيمة الباردة، كما يسقط  
الرجل الشريف تحت طعنات قطاع الطريق.

نرتمبرلند (للملكمة) : والآن، ماذا تريد أن تفعل به، يا صاحبة الجلالة.  
الملكة مرغريت : أيها المحاربان الشجاعان كليفورد ونرتمبرلند، أوقفاه على  
هذه الأكمة، طالما مدّ ذراعيه ليعانق الجبال بدون أن يضمّ  
سوى الأشباح. ماذا تقصد أنت يا من تريد أن تصبح ملك  
انكلترا، أنت يا من تشامخ متخاذلاً في مجلسنا، وأنت تبجح  
بعراققة النسب. أين ابنك الذي يعتبر ذاته بقوة فرقة محاربين  
ليبادر إلى نجدتك. أين ادوارد المستهتر المستسلم إلى مجونه،  
أين ابنك الصغير الذي يزمجر بصوته الأجنس ويهيج دفائن  
نفس أبيه؟ أين أيضاً عزيزك رتلند؟ إليك يا يورك المنديل  
الذي لوّته بالدم حدّ سيف كليفورد الشجاع، وقد فجّره  
من صدر الطفل. وإذا كانت عيناك قادرتين على أن تبكي  
موته سأعطيك هذا لتمح به وجيتيك. لكنني آسف يا يورك  
المستكين إذا لم أبغضك حتى الموت سأرني لحالك

ولبؤسك. أرجوك أن تشقى لفرجني يا يورك. يمكنك أن  
تعيد وتهيج وترغى وتريد حتى يتسنى لي أن أغني وأرقص.  
ماذا أرى؟ هل جفت رقة قلبك في صدرك حتى لا تستطيع  
أن تذرف دمعة على رتلند؟ لماذا كل هذا التجبر، يا رجل؟  
لا بد من أن تحتدم غيظاً وغضباً. ولكي أضرم بين ضلوعك  
نار الحقد، ها أنا أسخر منك. إنني أنظر إليه لأتسلى. فهل  
تريد أجراً على ذلك؟ لا سبيل ليورك أن يتحدث بدون  
أن يكلل التاج رأسه. هيا إليّ بهذا التاج لأضعه على رأس  
يورك. وأنت يا مولاي اخضع له. امسكوا بأيديه بينما أنا  
أتوجه (تضع على رأسه تاجاً من الورق). وربي، يا سادة، أرى  
له سحنة الملك، وهو وريثه بالتبني. لكن كيف تسنى  
لبلاتاجنيه الكبير أن يتوج باكراً ويحدث بعهد العلي؟ إذا  
لم أكن مخطئاً، لا حق لك بأن تستأثر بالعرش قبل أن  
تختطف المنية شخص الملك هنري. وهكذا تكلل رأسك  
وتتكر لوعدك المقدس. هذا جرم لا سبيل إلى الصفح عنه  
بشكل من الأشكال. فليسقط هذا التاج وليسقط معه هذا  
الرأس أيضاً. والزمن الذي يساعدنا على التنفس، كفيل بأن  
يسقيه كأس المنون ويحرمه نعمة الحياة.

كليفورد : أنا أطالب بهذه الطقوس إكراماً لذكرى والدي.

الملكة مرغريت : كلاً؟ توقفوا. لنسمع خطابه الرنان.

يورك : يا ذئبة فرنسا، بل أشرس من الذئاب المفترسة، أنت يا صاحبة  
اللسان السليط السام أكثر من أنياب الأفعى، لا يليق بجنسك  
الذي يقال عنه إنه لطيف أن يتنصر، يا أيها المستهتره الدينية،  
يا طالع النحس، يا عنوان الخساسة التي شاء شقاؤك أن  
تكوني أسيرة. إذا كان وجهك مقطب الحاجبين كأنه قناع  
غريب مخيف إذا لم يكن مخلوقاً للأعمال الحقيرة التي  
تخفي كالحجاب حيائك بحكم أفعالك الخبيثة، سأحاول

أيتها الملكة المتشامخة أن أجعل الاحمرار يجتاح محياك.  
وأن أسألك من أنت، ومن أين أنت تحدرين، ما دام هذا  
سبباً كافياً لإخجالك ولو كنت خالية من كل حشمة. ان  
والدك يحمل لقب ملك نابولي وصقلية، مع انه أقل غنى  
من الفلاح الانكليزي. هل هذا الملك المسكين هو الذي  
علمك الوقاحة؟ هذا أمر لا جدوى منه بل مرهق للغاية  
أيتها الملكة الجبانة، إذا كنت تريدن تبرير القول المأثور :  
الخيال القذر يظل راکضاً حتى تموت مطيته. حقاً هو الجمال  
الذي يجعل المرأة في أغلب الأحيان جبانة. لكن الله يعلم  
مقدار هزال زوجتك. إنما المرأة الفاضلة فقط تستدر  
الإعجاب، والعكس يولد فيها الوجوم، والحياء يضي عليها  
مسحة الأنوثة والعمومة، بينما الوقاحة تجعلها في منتهى  
القباحة. أنت نقيض كل خير، كما أن الفضيلة نقيض المجون،  
والجنوب نقيض الشمال. يا قلب النمر المستر بيشرة المرأة  
كيف تسنى لك أن تحتفظي بوجه امرأة بعد أن سفكت  
دم طفل وقلت لأبيه أن يكفكف دموعه؟ النساء عادة كلهن  
حنان ورقة وشفقة وإحساس، بينما أنت مقدودة من صخر  
أصم، أنت خشنة صلبة ومرة كالعقم وعديمة الرحمة. كنت  
تنفريتي بأن لا أستسلم الي الغضب. وها هو رجاؤك قد  
تحقق. كنت تريدني باكياً وها هي مشيتك قد نفذت.  
لأن الرياح الهوجاء تطرد المطر الوشيك الهطول، وحالما  
يبدأ هبوبها تبدأ الأمطار بالانهمار. هذه الدموع هي جنازة  
رتلد اللطيف، وكل منها يطلب الانتقام من قاتليه، منك  
أنت يا كليفورده الشرير ومنك أنت يا أيتها الفرنسية الجاهدة.  
نرتميرلند : تبأ لك، أن تأثرك يهز مشاعري الى حد أنني أكاد لا أمسك  
دمعي عن الانهمار على خدي.

: ألا ترى أن وجهه يشبه أكلة اللحوم الجشعين الذين لا يكفون

يورك

عن الاقتراس وعن مصّ الدماء. لكنك أنت أكثر وحشية  
وبعداً عن الانسانية بعشرة أضعاف بل أشرس من النور  
بما لا يقاس. أنظري أيتها الملكة العديمة الاحساس، هذا  
المنديل الذي لوثته بدم ولدي الحنون. دعيني أغسل دمه  
بدموع عيني. خذي إذاً هذا المنديل وتيجحي بإثمك المشؤوم  
(يرد لها المنديل) ستروين الحادث تماماً كما جرى، وحق  
السماء سيسكب السامعون دمهم مدراراً. أجل حتى أعدائي  
سيذرفون الدمع بغزارة ويقولون : وأسفاه، هذا الجرم يستدعي  
الازدراء. ها خذي هذا التاج ومعه تلقي لعنتي. وأنا كلي  
أمل أن أجد عزاء في محتتي التي أنزلتها بي يدك القاسية.  
يا كليفوردي فقط أقتلني من هذا العالم، فتصعد روحي الى  
السماء ويهدر دمي على رؤوسكم.

نرتمبرلند : لو سفك دم جميع أفراد أسرتي، لما وسعني أن لا أبكيهم  
معه وأنا أرى ما يسحق قلبه ألماً.  
الملكة مرغريت : ماذا أرى؟ هل تنبأكي يا مولاي نرتمبرلند؟ تذكر فقط  
ما ألحقه بك من شرور، فلا يلبث دمعك أن يجف.  
كليفوردي : هذا وفاء عهدي، وهذا جزاء موت أبي.  
(يطعن يورك).

الملكة مرغريت : وهذا في سبيل الانتقام لملكنا الممتاز.

(تطعنه بالخنجر).

يورك : افتح يا رب أبواب رحمتك. فإن نفسي تطير إليك من خلال  
جرحي.  
(يموت).

الملكة مرغريت : اقطعوا له رأسه، وضعوه عند باب مدينة يورك بشكل  
يجعل سيد يورك يسيطر على مدينته.  
(بخرجون).

## الفصل الثاني

### المشهد الأول

في سهل قرب صليب مريممور في كونتيّة هيرفورد.

(يسمع قرع طبول. يدخل ادوارد وريشار مع رجالهما المسلحين في منبة عسكرية).

ادوارد : إنني أتساءل كيف هرب والدنا الجليل، وكيف تمكن من الخلاص من مطاردة كليفورد ونرتمبرلند؟ فلو تمكننا من القبض عليه لبلغنا الخير. ولو كانا قتلاه لبلغنا الخير أيضاً. إنما لو كان فعلاً هرب، يخيل إليّ أننا كنا سمعنا بخلاصه المرتجى. كم أتوق إلى معرفة أحوال أخي، ولماذا هو هكذا حزين؟

ريشار : لن يهدأ لي بال قبل أن أعلم ما حلّ بوالدنا الشيخ الشجاع. لقد رأيته يتجول في كل اتجاه وسط ميدان القتال، ولاحظت كيف يهاجم كليفورد، وهو في عزّ المعركة، نظير أسد بين قطيع من الشيران، أو كدبّ تطارده الكلاب : فحالما يعض بعض الكلاب الدبّ يقف باقي الكلاب بعيداً ويعوون عليه. هكذا كان والدنا يفعل بأعدائه، وهكذا كان الأعداء

يهربون من ثورة غضبه الهائل الرهيب. وما أعظم أن نكون نحن أولاده! انظروا كيف نشر الفجر أنواره الذهبية لمستقبل الشمس الساطعة. وهو يشبه شاباً في مقتبل العمر يتباهى بفنوته الرائعة أمام حبيته المشرقة المحيا.

: هل انبهر نظري، أم أني أرى ثلاث شمس حقا؟

ادوارد

: أجل ثلاث شمس مشرقة كل منها تمتاز عن الأخرى، يفرق بينها غمام أبيض من رحابة ذلك المدى الصافي الأديم. انظروها كيف تقترب إحداها من رفيقتها وتتعانق بشوق وانسجام كأنها تقسم على الولاء لتكون مصباحاً ونوراً وشمساً واحدة. وهذا دليل على أن السماء مشغلة بحادث خطير.

ريشار

: هذا أمر غريب جداً، لم تسمع به أذن. أعتقد يا أخي بأن السماء تدعونا الى معركة جديدة، وتطلب منا نحن أولاد بلاتاجنيه الباسل، وقد لمع نجمنا وذاع صيتنا أن نحزم أمرنا ونجمع أنوارنا في مشعل واحد نظير هذه الشمس الساطعة على العالم أجمع. ومهما كان هذا التنبيه خطيراً أود أن أحمل من الآن وصاعداً هذه الشمس الثلاث كشعار.

ادوارد

(يدخل رسول).

من أنت، ومظهرك المرهق ينبئ بقصة مريعة ترتجف لفظاعتها شفتاك؟

الرسول

: أنا رجل مجرب عاركت الدهر وشاهدت ما يشيب لهوله الأطفال، إذ أبصرت مقتل والدك دوق يورك النيل الوقور وهو مليكي الحبيب المفدى.

: كف عن هذا الكلام، فلقد سمعت أكثر من اللازم.

ادوارد

: أخبرني كيف مات، لأنني أريد أن أسمع عنه أدق التفاصيل.

ريشار

: كان محاطاً بعدد من الأعداء، وكان يقاتلهم كبطل مغوار،

الرسول

وكانه أمل خلاص طروادة في محاربتها اليونانيين الذين حاولوا السيطرة على ضحيتهم. إن هرقل ذاته لا يستطيع مقاومة الجماعة التي تهزمه بوفرة العدد، لأن ضربات الفأس المتواترة وإن خفيفة تقطع في آخر الأمر أضخم أشجار السنديان. ووالدكم ما تغلب عليه إلا الغدر والتزلة فذبحه الشرس كليفوردي نصير الملكة التي كافأت هذا الدوق السفاك بضحكة مريرة رنت قهقهتها في أجواء الأسى وارتجت لها القلوب الكسيرة. وعندما بكى حسرة وألماً قدمت له وجتها لتمسح بهما دموعه ومنديلاً لوثة الدم الذكي الذي سال من جرح الشاب اللطيف رتلند حين قتل كليفوردي بوحشية. وبعد وابل من الإهانات والسباب الدنيء قطعوا رأسه ووضعوه على باب مدينة يورك حيث بقي منظره القاتم معروضاً كشبح يرهب الخواطر ويلهب الأحقاد.

ادوارد : يا حبيبي يورك، على من تنكل الآن بعد أن فقدناك ولم يعد لنا من يناصرنا ويحمينا. وأنت يا كليفوردي اللعين قتلت زهرة فرسان أوروبا الذي ما تغلبت عليه إلا بخيانتك المنحطة، إذ لو قارعت خنجره بخنجرك لكان حتماً نال منك وأزالك من عالم الوجود كأنك لم تكن يوماً في هذه الدنيا. منذ ذلك الوقت أضحت نفسي سجيناً في أعماق صدري الموغر حقداً عليك. ولو تستي لها أن تهرب من جسمي لدفت السلم في أعماق الأرض الى الأبد، وما ذقت طعم الفرح أبداً بعدئذ وما هدأ لي بال.

ريشار : أنا لا أستطيع البكاء لأن كل دموعي لا يسمعها أن تطفئ لظى قلبي، ولساني لا يقوى على تخفيف عبء همومي. لأن الأنفاس اللازمة لإخراج جميع كلماتي تضرم الجمر المتأجج في أحشائي، وتزيد لهيب الحريق الذي تحاول دموعي أن تخدم نيرانه. وما دام البكاء يخفف الألم، فهيّا

الى البكاء أيها الأولاد، وعليّ أنا أن أقاتل وأنتقم. أنا أحمل اسمك يا ريشار وأنوي أن أثار لموتك أو أموت في سبيل المحافظة على أمجادك.

ادوارد : هذا الدوق الباسل ترك لك اسمه ودوقته ومكانته.  
ريشار : إن كنت حقاً ابن هذا النسر الملكي، عليك أن تبرهن عن أصالة نسبك بأن تحدد بأنظارك في نور الشمس. أنت تقول إنه ترك لي دوقته ومكانته؟ بل قل عرشه ومملكته، فكلاهما لك أو أنت لست من صلبه.

(سرع مشية عسكرية. يدخل ورويك وموتيكو مع جنودهما).

ورويك : الى أين وصلت أيها اللورد الوسيم. وما وراءك من الأخبار؟  
ريشار : يا لورد ورويك العالي المقام، كان علينا أن نقصّ حكاية مصائبنا. فلدى كل كلمة كنا نتلقى طعنة خنجر الى أن تمّ فينا قول كل ما يمكن قوله، لأن الكلام يحفر أخاديد اللوعة والكمد بدلاً من الجراح البليغة الأليمة. أيها اللورد الشجاع، قُتل دوق يورك وترك في صدرنا غصة.

ادوارد : لهفي على ورويك سليل أسرة بلاتاجينه. هو عزيز على قلوبنا نظير طمأنينة نفوسنا وأمانها. وقد قضى عليه لورد كليفورد الغادر.

ورويك : منذ عشرة أيام، وأنا أطفئ بالدموع ما أورثني إياه هذا النبا من الأسف. والآن زاد شقاؤك بسبب ما أطلعتك عليه من الأحداث منذ ذلك الحين. فبعد القتال الدامي الذي جرى في ويكفيلد حيث لفظ والدك الشجاع أنفاسه الأخيرة، بلضي خبر الكارثة ونبا موته وصل إليّ بالبريد السريع. كنت في لندن أحرس الملك، فجمعت جنودي ولقيفاً من الأصدقاء، وبرفقة قوات ظنتها كافية زحفت على مثلّبان لأسد الطريق على الملكة وآتي بالملك كي يسمح لي بمجابتها لأن

جواسيسي أعلموني بأنها قادمة وهي تنوي أن تلغي آخر قرار اتخذته المجلس بخصوص ما أقسم الملك لأجله من يمين واستلامك منه العرش. وبالاختصار تلاقينا في سبتلبان واصطدم جيشانا وتقاتل حزبانا بغيظ وضراوة. ولا أدري إن كان ما أصابنا من إخفاق سببه انشغال الملك بتأمل زوجته التي خفت بعدائها حماس جنودي، أم هي الضجة التي أحدثها نجاح الملكة، أم بالحري هو الخوف الناجم عما يفرضه كليفور، وقد صعق أسراه بمشاهدة الدم والموت؟ لست أدري. على كل حال، كانت أسلحة الأعداء تروح وتجيء نظير اليوم المشؤوم أو منجل الحصاد الكسول الذي يضرب بتهاون واسترخاء كأنه يصيب بعض الأصدقاء. حاولت أن أنشطهم بالثناء على قضيتنا العادلة والوعود بإجزال العطاء والمنح الوافرة. لكن على كل هذا كان بلا جدوى. إذ لم يكن لديهم الإقدام اللازم للقتال. ونحن لم يعد لدينا أمل بالانتصار، فقاعس رجالنا هؤلاء ففضلنا الهرب، على أن يلاقى الملك ملكته ولورد جورج شقيقك وأنا ونورفولك، لنوافيكم على جناح السرعة. لأننا علمنا أنك هنا، على أهبه السير بعد أن جمعتم جيشاً آخر للقتال.

ادوارد : أين دوق نورفولك، يا عزيزي ورويك؟ ومتى رجع جورج من بوركون الى انكلترا؟

ورويك : مقرر الدوق، على بعد ستة أميال تقريباً من هنا، وهو مع جنوده. أما أخوك فقد وصل إلينا منذ هنيهة آتياً من لندن عمتك دوقة بوركون مع نجدة من الجنود ضرورية لهذه الحملة.

ريشار : لم تكن الحملة متوازية، فما كان على ورويك الشجاع إلا الفرار. وكم سمعت من حديث ينسب إليه شرف المطاردة، لكني لم أعلم حتى اليوم بأنه واجه ذل الانسحاب.

ورويك

: أنت لن تقف اليوم على قصة إذلالي يا ريشار، لأنك ستري أنني لا أزال أحتفظ بذراعي القوية لكي أنزع التاج عن رأس هنري الضعيف، ومن يده الصولجان الرهيب، وإن عُرف بشجاعته في الحرب فهو لطيف هادئ متدين.

ريشار

: أنا أعرف ذلك يا لورد ورويك، فلا تلمني، إن رغبتني في رؤيتك منتصراً هي التي تحملني على الكلام. لكنني في هذه الأوقات العصية ما عساي أن أفعل؟ هل علينا أن نرمي جانباً دروعنا الفولاذية ونرتدي ثياب الحداد ونرتل أناشيدنا وصولاتنا بحزن؟ أم علينا أن نحمل أسلحتنا ونهجم بإيمان، في سبيل الانتقام، ونحطم خوذات أعدائنا؟ فإن كنت من هذا الرأي، فقل نعم، وهيا إلى القتال، يا مولاي.

ورويك

: لهذا السبب جئت يا ورويك وسأصطحبك. ولهذا السبب أيضاً أتى أخي موتيكو. انتهوا أيها اللوردات. إن الملكة الجبانة الوقحة، بالاتفاق مع كليفورد والمتشامخ نرتمبرلند وغيرهما من الطيور الكاسرة التي تشبههما، قد عجنوا الملك كأنه شمع طري، وأقسموا جميعاً على أن تكون أنت خلفه، وحلفائهم مسجل في المجلس. الخلاصة أنهم ذهبوا كلهم إلى لندن لإلغاء هذا القسم وكل ما يقوم عقبة في سبيل وصول أسرة لنكاستر إلى متنهاها. وها هي قواتهم يبلغ تعدادها ثلاثين ألف رجل. والآن إذا كان عدد مسلحي نورفولك ومسلحي أنا أيضاً وجميع الأنصار الذين تستطيع استدعاءهم أنت يا كونت مارش الشجاع من بين أهالي ويلز، ويمكنكهم أن يحملوا أسلحتنا، يناهز عددهم خمسة وعشرين ألف مقاتل، فإلى الأمام لتزحف رأساً على لندن ممتطين ظهور جيادنا الزقة ونصرخ بأعلى أصواتنا : هيا نهجم أعداءنا يا فرسان، وكلنا عزم وطيد هذه المرة على أن لا نتراجع ولا نخيب.

ريشار : الآن جاء دور ورويك الكبير لسمعنا صوته. تمنى أن لا

يرى يوماً نور الشمس الساطعة كل من تسوّل له نفسه  
الانسحاب من المعركة عندما يأمره ورويك بالصمود.

ادوارد

: يا لورد ورويك، أنا متكل عليك في تنفيذ هذه المهمة.  
فإذا فشلت لا سمح الله الذي أسأل أن يحميني من مثل  
هذا الموقف الحرج، أرجو أيضاً أن لا أسقط أنا وادوارد معاً.

ورويك

: أنت لم تعد كنت مارش، بل أصبحت دوق يورك. والمرتبة  
التالية التي سترتقي إليها هذه المرة ستكون درجات عرش  
انكلترا بدون شك. وستوج ملكاً في لندن وجميع المدن  
والقرى التي سنمرّ بها. ومن لا يلقي بقبعة في الهواء ابتهاجاً،  
سيدفع رأسه ثمن هذه الإهانة. أيها الملك ادوارد، ويا ريشار  
الباسل ويا مونتيكو، علينا أن لا نتوقف لنحلم بالأمجاد،  
بل أن نأمر بنفخ الأبواق لنبدأ هجوماً.

ريشار

: مهما قسا قلبك يا كليغورد وأصبح صلباً كال فولاذ، وقد  
برهنت أنه كالصخر الأصم، فأنا أبادر الى اختراقه أو أسلمك  
أنا قلبي.

ادوارد

: اقرعي إذاً يا طبول، والله وشفيعنا جاورجيوس يكونان في  
عوننا.

(يدخل رسول).

ورويك

: ما وراءك من الأخبار؟

الرسول

: أوفدني دوق نورفولك لأبلغ الملكة أن تتقدم مع جيش قوي  
لأنه يتكل على مساندتك ليحقق لنا تحريراً سريعاً.

ورويك

: كل شيء يسير على ما يرام. فهيا أيها المحاربون الشجعان.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

### أمام مدينة يورك.

(يدخل الملك هنري والملكة مرغريت وأمير ويلز وكليفورد،  
ونرتيرلند مع جنودهم).

الملكة مرغريت (للملك) : أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم في مدينة يورك هذه.  
هنا يجثم رأس عدونا اللدود الذي حاول أن يعتصب منك  
تاجك. ألا يفرحك هذا المشهد، يا مولاي؟  
الملك هنري : كما يسرّ منظر الصخر الراسخ، من يخشى الفرق في اللجة.  
هذا المنظر يضيق له صدري. فأرجوك أن تؤجل انتقامك،  
يا عزيزي، فالذنب ليس ذنبي، وإن حثت بقسمي، فليس  
بمحض ارادتي.

كليفورد : يا مولاي الكريم، إن هذا اللطف العقيم، وهذا الحنان المؤذي،  
لا بد من أن ندعهما جانباً. فعلى من يلقي الأسد نظرة  
الاشفاق؟ طبعاً ليس على البهيمة التي تقتحم عرينه لتطرد  
اصحابه منه. ثم يد من يلحس الدب في الغابات؟ ليس  
طبعاً يد من يهاجم صغاره أمام عينيه. ومن ينجو من لسعة  
الحية الرقطاء؟ ليس بالطبع من يدعس بقدمه ذنبها اللين.  
لأن أحقر حشرة تلدغ الرجل التي تحاول دوسها، وكذلك  
الحمامة الوديدة تنقد من يحاول تخريب عشها. فالطامع يورك  
كان يتمنى الاستيلاء على تاجك وأنت تتسم له، بينما كان  
هو يقطب حاجبيه غضباً. وهو الذي لم يكن أكثر من دوق،  
شاء أن يجعل من ابنه ملكاً ليرفع ذريته الى أعلى مراتب  
الحكم، وأنت الملك، ولك ابن ممتاز رضيت بأن تحرمه،  
وتصرف هكذا كأب ارعن. ان العصافير الخالية من العقل  
والتفكير تغذي صغارها، ومهما كان وجه الانسان دميماً

في نظرها، فلكي تدافع عن فراخها تتسلح بالأجنحة ذاتها التي تساعدها على الهرب أمام الخطر لتصدّي لعدوها المتسلق للسطو على أعشاشها، ولا تتردد في بذل حياتها لأجل صيانة صغارها. ففي سبيل سعادتك يا مولاي الملك، يمكنك أن تستخلص العبر، أو ليس من الحيف أن تضيع حقوق ولدك في الملك من بعدك؟ وذلك بسبب تخاذلك. فيقول لابنه ذات يوم : ان ما كان يملكه أجدادي تخلى عنه أبي الذي لم يأبه لما كان في يده فأضاعه. يا للعارا انظر الى هذا الصبي الذي يشرق محياه بالأمل، واستمدّ من نضارته وبراقته ما يقويك على الدفاع عما وصل اليك لتحافظ عليه وتسلمه الى ولدك.

الملك هنري : لقد تبين ان كليفورد أبدى بلاغة خارقة في الخطابة، وجاء بالبراهين الدامغة. هل تظن دوماً ان السعد حليف ابن الوالد الذي ذهب الى الجحيم بسبب ما اختزنه من أموال. أنا سأورث ابني أعمالاً صالحة. أشكر الله على أنني لم أرث ما هو أنعم، لأن سائر الأمور تشتري مهما غلا ثمنها. فإن قلت لك ان المرء يشقّ عليه ألف مرة الاحتفاظ بالملذات أكثر من الحصول عليها وامتلاكها. فيا ابن العم يورك ليت أصحابك يدركون كم أنا متأسف على ما وصلت اليه من حال في هذه الظروف العسيرة.

الملكة مرغريت : ارفع معنوياتك يا مولاي، فالعدو قد اقترب. وقلة شجاعتك تثبط عزيمة اتباعك. لقد وعدت بربة الفروسية ابنا البكر الطموح، فقلده سيفك حالاً. اركع يا ادوارد. الملك هنري : يا ادوارد بلاتاجيني، انهض فقد أصبحت فارساً. واحفظ وصيتي هذه : عليك أن تمتشق حسامك كلما دعاك الواجب الى ذلك.

أمير ويلز : أشكرك يا والدي العزيز، وباذن جلالتك سأمتشق هذا الحسام

الذي يحمي التاج، وفي هذه المشادة سأستعمله حتى  
الممات.

كليفوردي : هذا كلام أمير شجاع قدير.

(يدخل رسول).

الرسول : أيها القادة الأبطال، استعدوا، فإن ورويك قادم على رأس  
عصابة من ثلاثين ألف رجل، وهو يعتمد على دوق يورك  
ليجتاز جميع المدن وينادي الشعب به ملكاً فيجتذب  
الجماعات إليه. نظموا صفوف جنودكم الواقفين على أهبة  
الاستعداد للقتال.

كليفوردي (للملك) : أتمنى أن تترك جلالتك على الفور ساحة القتال، فنجاح  
الملكة مضمون أثناء غيابك.

الملكة مرغريت : أجل، يا مولاي. اتركنا نتدبر شؤوننا لكلا يخزلنا حظنا.  
الملك هنري : حظك هو حظي أنا أيضاً. لذا أنا باقر هنا.  
نرتمبرلند : وليشتمل قرارك هذا على القتال أيضاً.

أمير ويلز : يا والدي الملك، أرجو أن تشجع هؤلاء اللوردات النبلاء،  
وأن تحمس من يريد الحرب في سبيل حمايتك. استل سيفك  
يا أبي الحبيب، واستعن بيسالة شفيحك جاورجيوس.

(يسمع نشيد عسكري. يدخل ادوارد وجورج وريشار ورويك ونورفولك  
ومونتيكو والجنود).

ادوارد : هيا إذاً يا هنري، اركع على ركبتك واطلب العفو، ثم  
ضع تاجك على رأسك، واشترك في مغامرة تقرر مصيرك  
المتأرجح.

الملكة مرغريت : اذهب ووبّخ أحبابك أيها الولد الوقح. الأخرى بك أن  
تخاطب مليكك بجرأة وتقدم له واجب الاحترام.

ادوارد : أنا مليكك، وعليه هو أن يركع أمامي. لقد اختارني ورثاً

له بملء رضاء. ومنذ أن حثت يمينه، كما بلغني، أصبحت أنت الملك الحقيقي، وإن ظل هو يحمل التاج على رأسه. ولقد أجبرته بموجب قرار جديد من المجلس على إزاحتي من الدرب وتنصيب ابنه مكاني.

كليفوردي : هذا حق شرعي. ومن يخلف الأب إلا ابنه؟  
ريشار : أنت إذا هنا، يا جزار؟ وأنا لا أرى سبيلاً إلى محادثتك؟  
كليفوردي : أجل، أيها الأحذب. ها أناذا أجيئك وأجيب كل الحمقى الوقحين أمثالك.

ريشار : أنت قتلت رتلند الشاب أليس كذلك؟  
كليفوردي : نعم، يا يورك العجوز. وأنا لا أزال حانقاً.  
ريشار : باسم السماء يا مولاي، اعطِ إشارة البدء بالقتال.  
ورويك : ماذا تقول يا هنري؟ هل أنت مستعد لتنازل عن التاج؟  
الملكة مرغريت : أجل أنت طويل اللسان ولا تجسر على الكلام. في آخر مرة تقابلنا أنا وأنت في ستلبان، أذكر جيداً أن رجلك تحركت أكثر من يدك.

ورويك : إذا كان دوري بالأمس أن أهرب، فقد جاء اليوم دورك أنت.  
كليفوردي : لقد نصحتك قبلاً ولم تهرب.  
ورويك : ليس توجيهك الذي يحملني على الانسحاب يا كليفوردي.  
نرتمبرلند : ولا بسائك التي أعطتك القوة لتشبث بعناد.  
ريشار : يا نرتمبرلند، بما أنني أحترمك، أرى من الأفضل أن تقف محادثتنا عند هذا الحد، لأنني أكاد أتمالك انفجار قلبي المتفخ غضباً على كليفوردي قاتل الأولاد الشرس.  
كليفوردي : أنا قتلت أباك. فهل تحسبه طفلاً؟

ريشار : أجل، أنت قتله بجمانة وخيانة، كما قتلت أخانا الحنون رتلند. لكن قبل مغيب الشمس ستحل عليك اللعنة بسبب فعلتك هذه.

الملك هنري : كفى أيها اللوردات. اصغوا إليّ.

الملكة مرغريت : تحداهم اذًا، وإلا أغلق فمك ولا تنطق بكلمة.  
الملك هنري : أرجوك أن لا تضعي القيد في تصرفي، فأنا ملك ولي حق التكلم بحرية.

كليفورد : يا مليكي، ان الجرح الذي أوجب هذا الاجتماع لا يمكن لأي حديث أن يشفيه، فالزم الصمت اذًا.

ريشار : إستل سيفك، يا سفاك الدماء. بحق من خلقنا جميعاً أنا مقتنع بأن شجاعة كليفورد محصورة في لسانه فقط.

ادوارد : تكلم، يا هنري. هل تعترف بحقي أم لا؟ ان آلافاً من الرجال الذين تغدوا هذا النهار لن يتعشوا هذا المساء، اذا لم تنازل عن العرش.

ورويك : اذا رفضت التنازل، سيهدر دمهم على رأسك، لأنني أنا يورك، لأجل فرض عدالتي قد ارتديت درعي الحديدي.

أمير ويلز : ان ما يقوله يورك هو الحق بعينه، فلن يبقى في الدنيا من ظلم، وسيصبح كل شيء في منتهى العدل.

ريشار (يشير الى الملكة) : لا يهمني من كان أبوك، فها هي أمك، وأنا أرى فيك لسانها الزلق.

الملكة مرغريت : لكنك لا تشبه أباك ولا أمك. فأنت مسخ شوتهك الرذيلة، وقد حكم عليك مصيرك بأن يحتقرك الجميع نظير ضفدع حقير أو حية رقطاء أو شوكة سامة.

ريشار : أنت حديد من نابولي مطلّي بذهب انكليزي، ووالدك يحمل لقب ملك، لكنك كساقية تتكئ بالمحيط. الا تستحين، وأنا أعرف منبتك، عندما يخونك لسانك البذيء الذي ينطق بفضلات قلبك الخسيس؟

ادوارد : انا مستعد لأن أدفع درهم ثمن حزمة قضبان تذكرك بهذه السافلة المستهترة، هيلانة اليونانية التي كانت أجمل منك وكان زوجها مينلاس مغبوناً. مع ذلك لم يحق شقيق أكامنون هذا، ولم تقضبه هذه المرأة الجاحدة، رغم كون

وضعه يشبه حالك. فقد انتصر والدها في قلب فرنسا وسيطر على الملك وضغط على ولي العهد. وإن حقق زواجاً مناسباً كما يشتهي، لحفظ حتى الآن هذه الثروة الضخمة من الأمجاد. لكنه حالماً قَبِلَ في سريره هذه المتسولة، جرّ على رأسه عاصفة من الكوارث اكسحت فرنسا وامبراطورية والده، وأثارت التمرد على عرشه. إذ لم يسبب هذه الاضطرابات الهدامة إلا كبرياؤه وعجرفته. فلو كنت متواضعاً لظلت القابنا محترمة، ومن باب شفقنا على هذا الملك اللطيف كنا أرجأنا مطالبنا إلى وقت آخر.

جورج : لكن متى سطعت أنوارنا لتنشر الربيع في دياركم، وجدنا أن سيفك لا يزال قاحلاً بالنسبة إلينا، وهذا ما حدا بنا إلى أعمال الفأس في جذورك المغتصبة. لذا، وإن جَرَحْنَا حَدَّ سيفك أحياناً فتحن لم نظرك بعد بابك ولن تتحوّل عنك إلا بعد أن ندكّ كيانتك، ونروي عظمتك المتمايدة بغزير دمائك.

ادوارد : بهذا التصميم أنا أتحدّك، لأنني لا أريد أن أطيل عليك هذه المحاضرة، وأنت تمنع الملك اللطيف من الكلام. انفخوا الأبواق ودعوا اعلامنا تخفق، وإن قطرت دماً، فإنما الانتصار بعزّة وكرامة، وإما الاندثار في قبر مجيد خالد.

الملكة مرغريت : كفى، يا ادوارد. : كلا، أيتها المرأة المشاغبة المتخاذلة. لن نصبر دقيقة واحدة بعد الآن، لأن طلبك سيكلفنا التضحية بحياة عشرة آلاف مقاتل.

(يخرجون).

## المشهد الثالث

في ساحة القتال بين تاونين و ساكتون في مقاطعة يورك شاير.

(يسمع صوت انفار، وممركة حامية. يدخل ورويك).

ورويك : لقد أنهكتني التعب كأني عداء في سباق جري طويل.  
سأستريح هنا لأتشفق الهواء برهة. ما دامت الضربات المتلقاة  
والمردودة قد ذهبت بقوى عضلاتي المفتولة، فبالرغم من  
اندفاعي، لا بد لي من أن أستريح بعض الوقت.

(يدخل ادوارد راكضاً).

ادوارد : ايسمي أيتها السماء الحليمة، أو إطنعن أيها الموت الغاشم،  
فكل شيء أظلم في عيني واحتجبت شمسي وراء الغيوم  
المتلبدة.

ورويك : وهل تنتظر، يا مولاي، أن يكون مصيرنا أبهج من هذا؟  
ما هو نصيئنا؟ وماذا بقي لنا من أمل؟

(يدخل جورج).

جورج : مصيرنا هو الهلاك المحتم، وأملنا هو اليأس الكتيب القتال.  
صفوفنا قد تمزقت والدمار يلاحقنا ويلازمنا. فماذا تنصحنا؟  
والى أين نذهب؟

ادوارد : لا فائدة من الهرب، لأن لأخصامنا أجنحة يطيرون بها. وبما  
أننا في غاية الضعف، لا يسعنا إلا الابتعاد عنهم.

(يدخل ريشار).

ريشار : آه منك يا ورويك، لماذا انسحبت؟ فالأرض العطشى شربت  
من دم أخيك الذي هنره رمح كليفوردي بأسى وقوة. اذ

صاح بصوت حزين كناقوس خطر مخنوق : انتقم لي أنا  
شقيقك واثار لموتي. وهكذا تحت حوافر جياد الأعداء،  
وقد ابتلت جوانبها بدم لا يزال يتصاعد منه البخار، لفظ  
الوجه النبل آخر أنفاسه.

ورويك : لتسکر الأرض بدمائنا. سأقتل حصاني لأنني لا أريد أن أفر.

لماذا نبقى هنا كائنساء الواجفات نندب ما خسرناه، بينما  
أعداؤنا يهزجون هنا، وأنا راكع أمام الله سيد الأرض والسماء،  
أتمهد بأن لا أتوقف أو أرتاح، وأن لا يغمض لي الموت  
جفنًا قبل أن يسعفني الحظ وأروني غليل انتقامي بدمه.

ادوارد : يا ورويک، أنا أجتو الى جانبك وأتعهد مثلك بأن أضمر

سعي الى جهودك لتحقيق ما نصبو كلانا اليه. وقبل أن  
أنهض وأرفع ركبتي عن الأرض الباردة، أرفع يدي وعيني  
وقلبي اليك يا ربي، يا صانع الملوك ومهلكهم، وألمس  
عونك ورعايتك. وإذا لم تشأ أن يكون جسمي ضحية  
أعدائي، إخف أمامي أبواب النصر ووسع آفاقي وامنحني الفوز  
والغلبة، وإن كنت خاطئاً. والآن أيها اللوردات، ليودع بعضنا  
بعضاً الى أن نلتقي ثانية إما في السماء أو هنا على الأرض.

ريشار : اعطني يدك، يا أخي، لتعانق ولنبعث عن ورويک. أنا لم

أنتحب قبلاً، وأحسّ بدموعي تندفق من مآقي، وقد داهمنا  
شتاء كربتنا، وكان يقطع الطريق على ربيع عمرنا.

ورويک : هيا بنا، هيا بنا. مرة أخرى نسألك اللهم أن تأخذ بيدنا.

جورج : لنذهب ولنلحق بجنودنا، ولنسمح بالهرب لمن لا يريد البقاء

معنا، ولنحیی الشجعان الذين يأيون إلا مساندتنا. وإذا كسب  
لنا النصر، نعدهم بمكافآت كما يغم الجوائز من يفوزون  
في الألعاب الأولمبية. فهذا يوطد عزيمتهم ويوثق عرى التعاون  
بينهم وبيننا. هيا بنا بدون تأخير ولنغادر هذا المكان حالاً.

(يخرجون).

## المشهد الرابع

### في مكان آخر من ساحة القتال

(تسمع حركات جنود، يدخل ريشار وكليفورد).

ريشار : أخيراً يا كليفورد، أنت تحت رحمتي، تصوّر أن ذراعي  
هذه تخص دوق يورك، وذراعي هذه تخص رتلند، وكلاهما  
تترقبان لحظة الانتقام كأنهما قُذّتا من البرونز.

كليفورد : أخيراً يا ريشار، أنا أمامك وجهاً لوجه. هذه يدي التي  
طعنت بها والدك يورك بالخنجر، وهذه التي قتلت بها أخاك  
رتلند، وهذا قلبي الذي ظفر بموتهما، وقد شجع يديّ على  
ازهاق روح أهلك وأخيك، وعلى محوك أنت أيضاً من عالم  
الوجود. فإليّ إذا.

(يتقاتلان).

(يدخل ورويك ويهرب كليفورد).

ريشار : لا، يا ورويك. اختر طريدة أخرى، لأنني أنا نفسي أريد  
أن أداعب هذا الذئب المفترس حتى أقضي عليه.

(يخرجان).

## المشهد الخامس

في أرض وعرة على أطراف ماحة القتال.

(تسمع موسيقى انذار. يدخل الملك هنري).

الملك هنري : هذه الحرب تشبه معركة هذا الصباح التي تصارعت فيها العتمة الزائلة والأنوار الساطعة. في هذه اللحظة حين ينفخ الراعي في نايه، لا يمكن استحضار وهج النهار ولا ظلام الليل. اذ تارة يميل الفوز الى جهة نظير بحر واسع يدفعه المدّ بعكس الرياح، وطوراً يميل الى جهة أخرى نظير الأمواج المتلاطمة أمام ثورة العواصف. حيناً ينتصر البحر وحيناً يفوز الريح. فالغلبة الآن لأحدهما وبعد برهة للخصم الآخر. وكلاهما يتنازعان الظفر وهما يتماسكان وليس بينهما لا غالب ولا مغلوب ما دام الاثنان متعادلين بالقوة والمهارة والحيلة. لأجلس برهة هنا على الأرض، والله يعطي النصر لمن يشاء. لأن ملكتي مرغريت وكذلك كليفور، أقصيانى عن ماحة القتال، وقد أقسما أنهما سيظفران حين أغيب أنا عن المعركة. كم أود أن أموت اذا كانت هذه ارادة الله. وهل في هذه الدنيا غير الحزن والشقاء؟ أحمذك يا الهي، لأنني لست سوى راع بسيط. سأستريح هكذا على هذه التلة فترة، وأرسم بدقة دائرة وأراقب فيها سير الزمان أعدّ الثواني والدقائق، وأحسب الساعات والأيام والسنين التي يتسنى للمرء أن يقضيها في هذا العالم الفاني. وعندما أفرغ من حساباتي هذه أرى كيف توزع الأعمار وتقسم الحظوظ، كم من الساعات يمكنني أن أخصّص لقطيعي، وكم من الساعات لراحتي، وكم من الساعات لتأملاتي ولتسلّياتي، وكم من الأشهر ستظل نعاجي مليئة وكم يلزم من السنين لتكبر

جَزَّاتَهَا. هكذا تمر الدقائق والساعات والأيام والأعوام، وتسخر لغايات مرسومة سلفاً تسرع بشعري الى المشيب ثم بجسمي الى القبر المظلم. تباً لهذه الحياة المرهقة! أولاً يمكن أن تكون حلوة ومحبوبة؟ أولاً يسع سياج الشوك أن يمنع ظلاً ارحم للراعي الذي يسهر على قطيعه الآمن كما يستظل الملك المرفه خيمة مزركشه تقيه عوادي الزمان وكما يحميه حراسه من غدرات خيانة بعض رعاياه؟ أجل هذا ممكن ألف مرة، أجل، أجل، بالنتيجة أعتقد بأن لبن الراعي الذي يبرّد جوفه أيام الحرّ ويروي به عطشه، جميع هذه الأمور تؤمن له الطمأنينة بيساطة أفضل من كل ما يتمتع به الأمير من الرخاء والمآكل الفاخرة والأواني الذهبية البراقة والسريّر الوثير الفخم الذي يأوي اليه وفي رأسه تتصارع المطامع وفي صدره ينمو الحذر من الغدر والخيانة.

(يسمع صوت انذار. يدخل ابن قل أباه ويجر وراءه جثة).

الابن

: لا خير في هدوء لا فائدة منه لأحد. وهذا الرجل الذي قتله أثناء المعركة وجهاً لوجه، ربما كان في جيبه بعض النقود، وقد يسعدني حظي لانتزاعها منه في هذه اللحظة، وقبل هبوط الليل، قد أتنازل عنها لسواي كما انتقلت اليّ من هذا القبيل. ماذا أرى؟ يا الهي. هذا محيا والدي وقد أزهرت روحه بيدي بدون أن أتبيّن من هو في غمار المعصية. تباً لهذه الأوقات المشؤومة التي تسبب مثل هذه الكوارث. لقد استدعاني الملك الى لندن على عجل. ربما لأن والدي من رجال ورويك، وقد وجد في صفوف جماعة يورك نزولاً عند إلحاح سيده. ما أفظع تصرفي! أبي الذي منحني الحياة، سلبته حياته بيدي. سامحني يا الهي، لأنني لم أكن أدري ماذا أفعل. وأنت يا أبي أغفر لي لأنني لم أعرفك.

ستفعل دموعي هذه الآثار الدامية، فعليّ بالسكوت حتى  
تسيل وتمحو زلّتي.

الملك هنري : ما هذا المشهد المؤثر الأليم؟ ما هذا العمل الفوضوي الهدام؟  
عندما تتهاوش الأسود في ساحة الوغى وتتنازع الأمان داخل  
عربنها، تذهب الخراف البريئة ضحية جشع العداوة واللؤم.  
ابكُ أيها الشقي، وأنا سأساعدك على الندب والنحب. لا  
بد من أن تعمي بصائرنا الدموع وأن تمزق قلوبنا ألماً رزايَا  
الحروب الأهلية.

(يدخل أب قتل ابنه، وهو يحمل جثته على ذراعيه).

الأب : أنت يا من قاومتني بضراوة، أعطني ما لديك من الذهب  
إن كان لديك بعض المال. لأن منازلتك كلفتني مئة طعنة.  
لكن، ماذا أرى؟ أهذا وجه عدوّي؟ لا، لا، وألف لا. هذا  
ابني الوحيد. آه! يا ولدي، إن كان لا يزال في صدرك  
بضعة أنفاس، أرجو أن تفتح عينيك. أنظر الى هذا السيل  
من الدموع المنهمرة من مآقي وقد قذفت بها عواصف قلبي.  
اشفق عليّ يا الهي، أنا الشقي المسكين في هذه السن العتية.  
ما هو الجرم الفظيع والاثم الوحشي الذي يولّد كل يوم  
نزاعات قاتلة؟ آه! يا ابني. ان والدك الذي وهبك الحياة  
يحنو وأنت طفل قد سلبك اياها غدراً وأنت في ربيع الشباب  
لأنه لم يعرفك إلا بعد فوات الأوان.

الملك هنري : بلّة تلو بلية، ألم فوق ألم. ليت حياتي تستطيع أن تضع  
حداً لما يتتاني من عذاب مرير. الرحمة، الرحمة، أيها السماء  
الحليمة اشفقي عليّ. اني أرى على هذا المحيا وردة حمراء  
ووردة بيضاء، وكلا اللونين اتّسما بالشؤم في انتسابهما الى  
الأسر المتعادية. فلهذا الدم كل ما في الأولى من ارجوان.  
ولهذا الخد كما أرى كل شحوب الثانية. وعلى احدى هاتين

الوردتين أن تذبل وتنفوي وأن تدع الوردة الأخرى تزهو  
وتزدهر. فان واصلتم القتال لا بد لألوف الأشخاص من  
أن يزولوا من عالم الوجود.

الابن : بأية ملامة سترشقني أمي حين تدري أنني قاتل والدي.  
الأب : وكم مستدرف زوجتي من الدموع على موت ابني، لا سيما  
حين تعلم أنني قاتل ولدي.  
الملك هنري : وكم سيصّب الشعب من الكره على رأس مليكه بعد كل  
هذه الكوارث.

الابن : لم يسبق لولد أن يحزن هكذا لموت أبيه.  
الأب : ولم يسبق أيضاً لأب أن يتحّب هكذا على فقده ولده.  
الملك هنري : ولم يسبق لملك أن تحلّ برعاياه مثل هذه المصائب الفظيعة.  
ومهما كانت آلامهم مبرّحة فان عذابي يفوق عشرة أضعاف  
ما أصابكم.

الابن : سأنتقل من هنا لأتمكن من البكاء بقدر ما أشاء.  
(يخرج وهو حامل حنة أبيه).

الأب : ها هما ذراعاي قد أصبحتا كأنهما كفكفك وقلبي يا ولدي  
العزیز، كأنه نعثك. لأن صورتك لن تمحي من فؤادي  
أبدًا، وتهداتي ستكون بمثابة ناقوس حزن عليك مدى الدهر.  
وسيتحسر أبوك عليك الى الأبد. سأبكيك وأندبك لأنك  
ابني الوحيد، كما بكى الملك بريام جميع أبنائه الشجعان.  
سأنتقل من هنا وأترك القتال لمن يشاء، لأنني طعنت أقرب  
الناس اليّ طعنة نجلاء لا مبرر لها.

(يخرج حاملاً حنة ابنه).

الملك هنري : أيها الرجال أصحاب القلوب الحزينة التي برّح بها الألم،  
أراني أنا الملك أتعس حالاً منكم جميعاً.

(تسمع موسيقى انذار وضجة تنقل جنود).

(تدخل الملكة مرغريت وأمير ويلز واكستر).

امير ويلز : اهرب، يا أي، اهرب، لأن كل أصدقائك لاذوا بالفرار.  
ورويك يرغي ويزيد نظير نور هائج. هيا بنا نذهب لأن  
شيخ الموت يطاردنا.

الملكة مرغريت : امطر جوادك، يا مولاي، واسرع حالاً الى ورويك.  
فان ادوارد وريشار زائغان نظير كليين شاهدا أرنبا مروّعا،  
وعيناها تقدحان شرراً من الغضب، وفي يدهما السيف  
المسلول يقطر دماً وهما يطاردانا. لذا وجب علينا أن نمجل  
في الابتعاد من هنا.

اكستر : الى الهرب، فالانتقام يقود خطاهما ويعمي بصرهما. لا تضيعوا  
الوقت سدى في التأنيب. هيا اسرعوا واتبعوني فأنا أسبقكم.  
الملك هنري : كلا، خذني معك، يا اكستر الرؤوف. أنا لست خائفاً من  
البقاء هنا. انما أحب أن أرافق الملكة حيثما توجهت. فهيا  
نغادر هذا المكان.

(يخرجون).

## المشهد السادس

(تسمع موسيقى صاخبة. يدخل كليفورد مجروحاً).

كليفورد : لقد احترق مشعلي بكامله، أجل وسينطفئ هذا النور الذي  
أضاء للملك هنري بقدر ما دام التهابه. فيا لنكاستر، أنا  
أخشى سقوطك أكثر من مفارقة روحي. لأن المودة والخوف  
اللذين كنت أوحى بهما كانا يشدان اليك أصدقاء عديدين

والآن وقد سقطت لا بدّ لحزبك المتفكك الأوصال من  
الانهيار. وفي التخلّي عن هنري بغية مساندة خصمه الوقح،  
ينجرف الشعب وراء يورك كأنه سرب من النحل ضلّ  
طريق القفير. وإلى أين يطير البعوض إن لم يكن نحو النور  
الوهاج؟ ومن يلمع اليوم سوى عدوّ هنري. أيها الإله فابوس،  
لو لم تسمح لغايتون أن يقود جيادك المظلمة، لما كانت  
مركبتك الملتهبة أشعلت الأرض برمتها. وأنت يا هنري لو  
كنت حكمت كملك قدير، كما حكم أبوك وجدك بدون  
أن تنازل عن مواقعك لأسرة يورك، لا أنا ولا عشرة آلاف  
مثلي في هذه المملكة التعيسة ما ترانا أرامل تبكي أمواتنا،  
واليوم بالذات كنت لا تزال متربعا على عرشك بسلام.  
أوليس الهواء الناعم يتيح للأعشاب الفاسدة أن تزداد نموًا؟  
أولست المبالغة في التسامح هي التي تشجع اللصوص على  
النهب والسلب. لا فائدة من شكواي، كما أن لا شفاء  
لجراحي البليغة. ولا مجال للهرب ولا لمساندة انسحابي.  
فالعُدوّ لن يرحم ولن يشفق عليّ لأنني لا أستحقّ ذلك منه.  
لقد دخل الهواء إلى جراحي القاتلة ومقدار الدم الذي سال  
مني قد أضعف جسمي. تعالوا يا يورك ويا ريشار ويا ورويك،  
ومن بقي من الرجال. لقد طعنت آباءكم بالخنجر، فما عليكم  
إلا أن تخترقوا قلبي بخناجركم.

(يضي عليه).

(تسمع موسيقى إنذار وضجة انسحاب. يدخل ادوارد وجورج وريشار  
ومتيكو وورويك وبعض الجنود).

: والآن لتتفس الصعداء أيها اللوردات لأنّ حفظنا المعيد أتاح  
لنا قليلاً من الراحة والتخلّص من التجهّم بسبب الحرب،  
والابتسام لاستقبال السلام. إن بعض فصائل الجنود تطارد

ادوارد

تلك المملكة الدموية التي كانت تجرّ وراءها هنري الهادي، وإن كان ملكاً فهو كشراع تنفخ فيه رياح هوجاء وتتقاذف سفينته المتمايلة أمواج عاتية. لكن، هل تظنون أيها اللوردات أن كليفورد فرّ معها؟

ورويك : كلا، لأن هربه مستحيل. وأنا أخشى أن أعلن ذلك في حضوره، ما دام أخوك ريشار قد أصابه بطعنة أودت به إلى القبر. فحيثهما وجد لا بد من أن يكون قد قضى نحبه. (يهتف كليفورد ويموت).

ادوارد : من الذي فارق روحه الحياة؟

ريشار : هذه شهقة جنازية تدل على الانتقال من هذه الدنيا إلى الآخرة.

ادوارد : انظر من هو. فالآن وقد وضعت الحرب أوزارها، إن كان صديقاً أو عدواً يجب أن نعامله معاملة لائقة.

ريشار : أقنع عن التصرف بلين. لأن كليفورد هو الذي مات، وهو الذي قصف الغصن الندي ببراعته النضيرة عندما طعن رتلند بسكينه، ثم اقتلع جذور تلك الشجرة التي أعطت ذلك القصن، أعني والدنا الجليل دوق يورك.

ورويك : أُنترع من أمام أبواب يورك رأس والدك الذي علقه كليفورد، وضع مكانه رأس هذا اللعين كليفورد. فلا بد من ردّ الكيل للعدو كيلين.

ادوارد : إيتوني بوجه اليوم الذي جلب الشؤم على أسرتنا واضطهدنا نحن وجماعتنا، وجرّ علينا الشقاء والهلاك. لقد أخرس الموت صوته الأَجَشَّ الشبه بنعيب الغراب، كأنه طالع النحس الذي ارتاحت آذاننا الآن من ضجيجيه وصخبه.

(يؤنى بجثة كليفورد).

ورويك : أظنه فاقد الوعي. تكلم يا كليفورد. هل تعرف من يخاطبك؟  
وها هي غيمة الموت السوداء، قد خيمت على حياته، وأظلم  
النور في عينيه، فلم يعد يرى أحداً منا ولم يعد يسمع ما  
نقوله له.

ريشار : كم أنا آسف لذلك! ربما هو لا يزال يسمع. فلا يستبعد  
أن يكون مظهره هذا خدعة بارعة من حيله العديدة كي  
يلوذ بالفرار ويتخلص من ردة الفعل التي يتوقعها منا لقاء  
ما سام والدنا المنازع من بؤس وعذاب.

جورج : إذا كنت تظن ذلك فما عليك إلا أن تعذبه بالكلام القارس.  
ريشار : كليفورد الخبيث يتوخى الرحمة لأنه لا يستحق الصفع.  
ادوارد : بدانتك يا كليفورد أضحت الآن غير مجدية إطلاقاً.

ورويك : كليفورد يستببط الأعذار عما اقترفت يده من فظائع.  
جورج : بينما، لأجل قبائحك أنت، كنا اختلقنا أعذاراً أفظع.

ريشار : أنت أحببت يورك، وأنا ابن يورك.  
ادوارد : لأنك أشفقت على رتلند، أنا أشفق عليك.

جورج : أين إذا البطلة مرغريت لتَهَبَ الى الدفاع عنك حالاً؟  
ورويك : هو يهزأ بك يا كليفورد، فما عليك إلا أن تردّ عليه بشتائمك  
المعتادة.

ريشار : ماذا تقول؟ لا أريد أن أسمع أي سباب. لا أنكر أن الأمر  
ليس بهين عندما لا يكون لدى كليفورد أية لعنات جاهزة  
ليخص بها أصدقاءه. وهذا دليل قاطع على أنه مات. لذلك  
أودّ أن أشتري له، ولو ساعة من الحياة، وأنا مستعد لأن  
أقطع يدي اليمنى ثمناً لها، وبالدم الذي يسيل منها سأغرق  
اللعين الذي لم يتمكن يورك والشاب رتلند من إطفاء عطشه  
المزمن اليه.

ورويك : أجل، لكنه مات. اقطعوا رأس الخائن وعلقوه مكان رأس  
أبيك. (لادوارد) والآن لنزحف على لندن متصرين. سأتوج

ملكاً على انكلترا. ومن هناك سيمخر ورويك عباب البحر الى فرنسا كي يطلب لك يد السيدة بون وهي أحلى عروس. وهكذا يتوحد البلدان بروابط وثيقة تكسبك فرنسا كصديقة، ولن تخشى بعد ذلك من أعداء متفرقين قد يفكرون بمنأوتك. إذ حتى إن كانت أشواكهم لا تؤذيكَ أو توجعكَ، تتخلص على الأقل من صخب ثرثارتهم. أريد أولاً أن أشاهد حفلة التويج، ثم أعود على متن السفينة الى بريطانيا لكي أعقد لك هذا الزواج، إذا شئت يا مولاي.

ادوارد

: ليكن ما تريد، يا عزيزي ورويك. لأنني أقصد أن أسند عرشي بأكتافك العريضة وأنوي أن لا أفعل أي شيء بدون مشورتك وموافقتك، يا ريشار. سأجعل منك دوق كلوستر، وأنت يا جورج، دوق كلارانس. أما ورويك فيمكنه أن يحلّ ويربط باسمي على هواه.

ريشار

: أفضل أن أكون دوق كلارانس، ويكون جورج دوق كلوستر. لأن دوقية كلوستر كئيب أكثر مما أنتحمل.

ورويك

: هذا اعتراض صياني. كن يا ريشار دوق كلوستر. والآن هيا بنا الى لندن لاستلام مناصبنا الرفيعة الشأن.

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

في غابة شمالي انكلترا.

(يدخل اثنان من حرس الصيد، والقوس في يد كل منهما).

حارس الصيد الأول : لنختبئ وراء هذه الأجمة لأن الغزلان لا تلبث أن تتجازز الغابة من هنا، ثم نهاجم ونقتل منها ما يتسنى لنا بعد أن نصيب الحيوان الذي يمشي على رأس قطيعها.  
حارس الصيد الثاني : سأقف بجانبك في أعلى هذه التلة، فنتمكن هكذا من تسديد سهامنا معاً.

حارس الصيد الأول : هذا غير ممكن، لأن صوت قوسك سيرعب تجمعها فيطيش سهمي. تعالْ نخبئ كلانا هنا ونسدّ سهامنا الى أجمل غزال منها. ولكي لا نشعر بطول الوقت والملل، سأروي لك قصة جرت لي ذات يوم في نفس هذا المكان.  
حارس الصيد الثاني : ها هوذا رجل قادم إلينا فلنتنظر حتى يعبر.

(يدخل الملك هنري متكرراً، وفي يده كتاب صلاة).

الملك هنري : أنا هارب من اسكتلندا حياً بوطني، وجئت الى بلدي أحيه

بنظرة حب وإخلاص. كلا، يا هنري، هذه البلاد لم تعد تخصك، لأن مكانك قد شغله غيرك ووصولجانك قد انتزع منك. والريت الذي مُسحت به قد زال. ومن الآن وصاعداً لا أحد يجشو أمامك ليعرض عليك قضاياه، ولا أحد يطلب منك العدل والإنصاف. إذ كيف يتسنى لك أن تعين الناس ما دمت أنت لا تقوى على تدبير أمورك؟

حارس الصيد الأول (على حدة): ها هوذا غزال يساوي جلده ثروة ويصلح لحارس صيد مثلي، ألا وهو الملك السابق، فما عليّ إلا أن أمسك به.

الملك هنري: لنقبل هذه المحنة بصبر، لأن العاقل يعتبر أن هذا هو الحل الأنسب.

حارس الصيد الثاني (على حدة): لماذا التردد؟ ها تقبض عليه.  
حارس الصيد الأول (على حدة): قليلاً من الصبر، فالأولى أن أستمع إليه بعض الوقت أيضاً.

الملك هنري: مليكي وابني ذهبا الى فرنسا لطلب النجدة. وعلمتُ بأن القائد القدير ورويك ذهب هو أيضاً يطلب يد شقيقة ملك فرنسا ليزقها الى ادوارد. فإذا كان هذا النبأ صحيحاً فممكنة أنت أيتها الملكة، ومسكين أنت أيها الابن لأن سعيكما سيذهب سدى. ما دام ورويك خطيباً مفوهاً ولويس أميراً سهل الاستعطاف برفيق الكلام. وعلى هذا الأساس يسهل مرغريت أن تستميله هي أيضاً لأنها امرأة تستحق الشفقة، ودموعها تفتت الصخر الأصم. حتى النمر الشرس يحزن لتعاسها عندما تجود بدموعها، وينرون نفسه يلين رقفاً بتفجعها لمجرد رؤية دموعها وسماع تهندها. أجل هي آتية لطلب، وورويك مستعد للبدل والعطاء. هي الى يسار الملك تسعى للحصول على نجدة لهنري، وهو الى يمينه يطلب عروساً لادوارد. هي تتحب وتشكو من خلع هنري عن

العرش، وهو يتسم ويقول إن صاحبه ادوارد توج ملكاً.  
هي بائسة شقية يمنعها الألم عن الكلام، بينما ورويك يعلن  
لقب ادوارد الجديد، يخفف من سيئاته ويشيد بحججه القوية  
الساحرة، وبالنتيجة سيفوز على مرغريت لدى الملك، ويحصل  
على أخته مع مساعدات قيمة ترسخ مكانة الملك ادوارد  
وتوطد أركان عرشه. فيا مرغريت إليك ما سيحدث. وأنا  
الشقي لن يكون نصيبي سوى الهجران والإهمال.

حارس الصيد الثاني : أجبني، من أنت كي تتحدث عن الملوك والملكات؟  
الملك هنري : هل يبدو عليّ أنني أكثر مما أظاهر به، وأقل مما يحق  
لي في الوجود؟ فأنا رجل بسيط بالرغم من ظروفي، ولا  
يسعني أن أكون غير ذلك. وهكذا أستطيع كرجل أن أتكلم  
عن الملوك. ولماذا لا أتكلم عنهم؟

حارس الصيد الثاني : لكنك تتحدث وكأنك ملك.

لملك هنري : أجل يخيل إليّ أنني ملك، وهذا يكفيني.

حارس الصيد الثاني : إن كنت حقاً ملكاً، وهذا يكفيني.

الملك هنري : تاجي في أعماق قلبي، وليس على رأسي. وهو غير محلى  
بالماسات، ولا بالأحجار الهندية الكريمة، وهو غير ظاهر  
طبعاً للعيان. تاجي أنا يدعى الاكتفاء والإزعان، وهو تاج  
قلماً يحصل عليه الملوك.

حارس الصيد الثاني : إن كنت ملكاً وتاجك الازعان، فأنت وتاجك عليكما  
أن تزعنا وترافقانا. لأنك على ما نعتقد، أنت الملك السابق  
الذي خلعه الملك الجديد ادوارد. ونحن رعاياه، أقسمنا له  
بيمين الولاء، ونعتبرك عدوه.

الملك هنري : أولم يتفق لكم أن تقسموا يميناً وتحثوا به؟

حارس الصيد الثاني : كلا، لم نحث أبداً بمثل هذا القسم، ولن نبدأ  
اليوم بذلك.

الملك هنري : أين كنت تسكن عندما كنت أنا ملك انكلترا؟

حارس الصيد الثاني : هنا في هذه البقعة حيث نحن الآن مقيمون.  
الملك هنري : لقد توجت وأنا في الشهر التاسع من عمري، وكان أبي  
وأجدادي ملوكاً. وأنتم بما أنكم من رعاياي، أقسمت بيمين  
الولاء لي، فأصدقوني القول، أولم تخفروا عهدكم لي هذا؟  
حارس الصيد الأول : كلا، نحن كنا من رعاياك يوم كنت ملكاً.  
الملك هنري : ماذا تقول؟ هل مت أنا؟ أولم أعد في عداد الأحياء؟ أيها  
الرجال البسطاء، أنتم لا تدرون بما تقولون وتجدفون. أنظروا  
الى هذه الريشة التي أزيحها عن وجهي بنفسي، ونسمة الهواء  
تعيدها إلي، هي تطيع نفسي ثم تخضع لنسمة أقوى منها.  
فأسألكم أن لا تحثوا بعد الآن يمينكم، فلا أدبتكم على  
غلطكم هذه ولا اعتبركم مذنبين. إذهبوا إلى حيث تشاؤون  
فأنا الملك أظل الى جانبكم، أنتم تأمرون وعليّ أنا أن أطيع.  
حارس الصيد الأول : نحن من رعايا الملك ادوارد الأوفياء.  
الملك هنري : بما أنكم ستلبثون أمناء للملك هنري لو ظل على العرش،  
فأين أصبح الملك ادوارد؟  
حارس الصيد الأول : نذكرك باسم الله والملك أن تأتي معنا الى القضاء.  
الملك هنري : باسم الله، قودوني، ولتكن كلمة مليكم مطاعة، ولينتم ما  
شاء الله، لأن مليكم سيفذ إرادته، وأنا أخضع بتواضع  
لما ي عليه.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

في لندن داخل أحد القصور.

(بدخل الملك ادوارد وريشار وكلارنس وليدي كراي).

الملك ادوارد (لريشار): يا أخي، كلومستر قتل زوج هذه السيدة، سير جون كراي، في موقعة ستلبان، واستولى المنتصر على أملاكه. أما هي فتطلب أن ننصفها ونردّ لها ممتلكاتها. والعدل لا يجوز لنا أن نرفض طلبها، لأن زوجها الكريم مات وهو يدافع عن أرض يورك.

ريشار : يا صاحب السمو، يجمل بك أن تستجيب لطلبها، إذ من العار أن تهمله.

الملك ادوارد: هذا أمر عادل، على كل حال سأترث قليلاً.

ريشار (لكلارنس بصوت خافت): هكذا تفكّر إذا! أرى أن علينا أن نمح السيدة بعض الحق قبل أن يستجيب الملك لطلبها الوضع.

كلارنس (لريشار بصوت خافت): هو خير بالصيد، كما هو بارع في قلبه مع الريح.

ريشار (لكلارنس بصوت خافت): أصمت.

الملك ادوارد: سأدرس طلبك، أيتها الأرملة. فعودي إليّ قريباً لتعرفي ما أنوي عمله لأجلك.

ليدي كراي : مولاي الكريم، لا يسعني أن أصبر. فأرجو من سموك أن تتنازل وتعلمني بقرارك منذ الآن، فأنا مستعدة لقبول مشيتك بملء الرضى.

ريشار (على حدة): أجل أيتها الأرملة، سيرد لك جميع أراضيكَ إذا وافقت على ما يرضيه. فكوني منبصرة وإلا واجهت بعض المشاكل.

كلارنس (لريشار بصوت خافت): أنا لا أخشى عليها إلا إذا تعرضت لنكسة.

ريشار (لكلارانس بصوت خافت): مشيئة الله هي عكس ذلك تماماً، أما هو فله غاية أخرى.

الملك ادوارد: قل لي، كم هو عدد أولادك أيتها الأرملة.  
كلارانس (لريشار بصوت خافت): يخيل لي أنه يطلب منها أن تنجب ولداً.  
ريشار (لكلارانس بصوت خافت): أنا مستعد لأن أجلد طائعا إن لم يطلب منها بالأحرى ولدين.

ليدي كراي: بل ثلاثة، يا مولاي الكريم.  
ريشار (على حدة): سيكون لك أربعة إذا طوعته.

الملك ادوارد: من المؤسف جداً أن يخسروا أراضي أبيهم.  
ليدي كراي: أشفق عليهم، يا مولاي الجليل، وارجع لهم أملاكهم.  
الملك ادوارد: أطلقوا لي حربي، أيها اللوردات. فأنا أريد أن أمتحن ذمة هذه الأرملة.

ريشار (على حدة): أجل أنت حرّ. وبإمكانك أن تستأثر بجميع الحريات حتى يدرك شبابك معنى الحرية ويتركك تنوَكاً على عكازين.  
(ينسحب كلارانس وريشار جانباً).

الملك ادوارد: والآن صارحيني يا سيدتي، هل تحبين أولادك؟  
ليدي كراي: نعم، أحبهم كنفسي.

الملك ادوارد: وأنت مصممة على التضحية بالكثير لخيرهم.  
ليدي كراي: أجل، لخيرهم لن أتأخر عن تحمّل كل مشقة وتضحية  
الملك ادوارد: إذا استردّي أراضي زوجك لخيرهم.

ليدي كراي: لهذه الغاية أتيت إليك يا صاحب الجلالة.

الملك ادوارد: سأعين لك كيف يتسنى استرداد هذه الأرزاق.

ليدي كراي: بهذا تجعلني أسيرة معروفك ورمهن إشارتك الى الأبد يا صاحب السّم.

الملك ادوارد: أية خدمة أنت مستعدة أن تؤدي لي إذا أنا أرجعت لك أرزاقك؟

الملك ادوارد: إنما يمكنك أن تدركي ما أعنيه.  
ليدي كراي: لن تطاوع أبداً إرادتي ما يخيل إليّ أن سموك تلمح إليه،  
إن كنت أفهم مرادك.

الملك ادوارد: بصراحة أودّ أن أنام بقربك.  
ليدي كراي: بصراحة أنا أفضل أن أنام في السجن.  
الملك ادوارد: لن تستردي إذاً أرزاق زوجك.  
ليدي كراي: ستكون سعادتي هكذا كل إرثي، لأنني لا أنوي أن أدفع  
ثمنها باهظاً.

الملك ادوارد: وبذلك تلحقين بأولادك أفدح الضرر.  
ليدي كراي: هكذا أنت تؤذي أولادي يا صاحب السموّ كما تؤذي.  
ألا أعلم يا مولاي القدير، أن أفراح المجنون لا تتفق مع  
خطورة طلبتي، فأرجو أن تنصفني بقولك لي: لا أو نعم.  
الملك ادوارد: نعم إذا استجبت طلبتي، ولا إذا رفضت تليته.  
ليدي كراي: فإذاً، ردك يعني لا، يا مولاي. وهكذا لم يعد من داع  
لالتماسي.

ريشار (لكلارانس بصوت خافت): أرى أن الأرملة غير موافقة بتاتاً، لأنها  
قطبت جبينها.

كلارانس (لريشار بصوت خافت): هذا أخشن رجل عديم اللياقة رأيته في حياتي.  
الملك ادوارد (على حدة): تصرفها يدل على تمسكها بأهداب الفضيلة،  
وحديثها يوحي نبلاً لا مثيل له، وجميع هذه الكمالات تشير  
إلى تحليلها بشخصية تجعلها تليق بملك، وستكون إما  
محظيتي، وإما زوجتي. (بصوت عالٍ) ما قولك إذا اختارك  
الملك ادوارد ملكة؟

ليدي كراي: هذا كلام بعيد عن الواقع، يا مولاي الكريم. لأنني أتعرض  
للسخرية ولا أستحق أن أكون ملكة.

الملك ادوارد: أيتها الأرملة الفاتنة، أقسم بشرفي أنني أقول ما أفكر به جدّاً:  
أودّ أن تكوني عشيقتي.

ليدي كراي : هذه رغبة لا يسعني قبولها. فأنا أعرف أنني أقلّ من أن أستحقّ أن أصبح زوجتك وأكثر من أن أكون محظيتك.  
الملك ادوارد: أراك تذهين بعيداً في تفسيرك، فأنا قصدت بكلامي أن تصبحي زوجتي.

ليدي كراي : سيصعب على سموك أن تسمع أبنائي ينادونك يا والدنا.  
الملك ادوارد: لا أكثر من مناداة بناتي إياك يا أمنا. أنت أرملة ولك أولاد.  
وأقسم لك بحياتي أنا الأعزب، إن لي أنا أيضاً أولاداً، ويسرني أن أكون أب أولاد عديدين. لا تسرعني في الجواب.  
تصبحين زوجتي.

ريشار (لكلارانس بصوت خافت) : أرى الوالد المحترم قد أنهى اعترافه.  
الملك ادوارد: تتساءلون يا اخوتي، عما دار بيننا من حديث.  
ريشار (على حدة) : الأرملة ليست مرتاحة أبداً، لأن موقفها في غاية الخطورة.  
الملك ادوارد: أبدهشكم حقاً أن أتزوج؟  
كلارانس : من يا مولاي؟

الملك ادوارد: أن أتزوجها يا كلارانس.  
ريشار : سأظل عشرة أيام غائباً عن الوعي على أثر هذا التصريح العجيب.

كلارانس : إذاً سأسبقك بيوم واحد في استيعابي الحقيقة المدهشة.  
ريشار : هل ترى المفاجأة هكذا ضخمة؟  
الملك ادوارد: يمكنكم أن تهزأوا بي يا اخوتي. لكنني أؤكد لكم أن طلبها مقبول، وأنها ستسرد أملاك زوجها.  
(يدخل أحد البلاء).

النيل : عدوك هنري، يا مولاي الكريم، احتجز واقيد أسيراً الى باب قصر.

الملك ادوارد: أرسلوه الى البرج. ونحن أيها الأخوة، سنذهب الى الرجل الذي أوقفه. تعالي معنا أيها الأرملة. أرجو أن تحيطها بكل العطف والرعاية.

(يخرج الملك ادوارد وليدي كراي وكلا رانس والنبيل).

ريشار (وحده) : أجل، ادوارد ينظر بعطف ورعاية الى جميع النساء. وأنا  
أودّ أن يستند كل قواه حتى نخاع عظمه حتى لا يتسنى  
له أن ينجب أي ولد بمثل حيويته قادر على قطع الطريق  
الذهبي الذي أتوق الى سلوكه. على كل حال بين هدف  
عاطفتي ورغبتني، بعد دفن ملكية ادوارد وجميع ذريتهم غير  
المعروفة الآن باستطاعتهم أن يسبقوني في هذا المضمار.  
وهذه الفكرة تشلّ طموحي. لذا تراني لا أحلم إلا بالسيادة  
نظير رجل واقف على شرفة يصبر منها الشاطئ الرملي الذي  
تطأه قدماء ويتمنى أن تكون نسبة خطواته بسعة المساحة  
التي يقع نظره عليها، ويلعن المحيط الذي يفصله عن هذا  
الهدف، وهو يقول في سره أنه سيجفف البحر ليشق لنفسه  
ممرّاً الى مأربه. فأنا أتوق الى وضع التاج على رأسي مهما  
كان بعيد المنال. وهكذا ألعن المعرقلين الذين يفصلونني  
عنه. لذلك أريد أن أزيل كل العقبات والعوائق التي تقف  
في وجهي، وأنوي أن أفعل المستحيل في هذا السيل. ان  
نظري حادّ، وقلبي صامد، وقوتي وزندي ليسا في المستوى  
المرغوب. فإذا افترضنا ان العرش ليس من نصيبي أنا ريشار،  
فأية لذة في العالم تستهويني للتعويض لي عنه. هل يمكنني  
أن ألقى الجنة في أحضان امرأة، وأن أزيّن شخصي بأروع  
المجوهرات، وأن أسحر أجمل الحسنات بحلو حديثي  
وثاقب نظري. هذه فكرة جهنمية يصعب تحقيقها أكثر من  
الاستيلاء على عشرين تاج من ذهب. لقد جفاني الحب  
منذ تكويني في بطن أمي، بوضع يخالف قانون الطبيعة  
فعاندتني الأقدار الجائرة التي لا ترحم وأعطيني عن طريق  
الشلل إذ جفّت ذراعي كشجرة يابسة ووضعت جبلاً قبيحاً  
على ظهري وللإمعان في مسخي علاوة على كونني أحذب،

جعلت رجلتي غير متوازيتين في الطول وخصت جسمي بهيئة  
غير منسجمة كأني هولي، أو بالحري كأني دب لم تلحمه  
أمه جيداً. فهل أنا كرجل مشوه أستحق أن أكون محبوباً؟  
يا لها من غلطة فظيعة أن أقبل مثل هذه الفكرة المتبورة.  
فما أن هذه الأرض لا تمنحني سوى بهجة القيادة والتحكم  
والسيطرة على من هم أحسن مني منظرًا، انحصرت جتي  
في حلمي بالجلوس على العرش. وطوال عمري كان هذا  
العالم في نظري جحيماً لا يطاق، لأن مشوّهاً مثلي له  
رأس كراسي لن يكتب له أن يحمل تاجاً مرصعاً بالأحجار  
الكريمة التي لا تقدر بثمن. مع ذلك لست أدري كيف  
أحصل على هذا التاج. لأن أشخاصاً عديدين يقفون حائلاً  
دون وصولي الى تحقيق أمنيته هذه. وأنا كالرجل الضائع  
في متاهة كلها أشواك، لا أكاد أقتلع شوكة حتى تخزني  
شوكة أخرى وتمزق جلدي، وأبحث أنا الهائم عن طريق  
لا أتهدي اليه، ولا أدري كيف السبيل الى بلوغه، رغم  
كل ما يرهقني به جهدي في الاستيلاء على تاج انكلترا.  
غير أنني أنوي أن أتخلص من هذا العذاب وأن أمهد دربي  
بفأس دامية. إذ يمكنني أن أبتهج وأن أقتل والبسمة مرتسمة  
على ثغري. فأصفق فرحاً لما ينخر قلبي من الأسى وما  
يللّ وجتي من دموع مصطنعة وأن أطع قسّات وجهي  
بما يلائم كل مناسبة. أنا قادر على إغراق عدد من البحارة  
أكثر مما تستطيعه عرائس البحر، وعلى تسديد نار قاتلة أقتل  
من أنياب الغول وعلى إلقاء خطب أبلغ من فصاحة نسطور  
وعلى الخداع بفنّ أمهر من بطل الأسطورة أوليس، وعلى  
السيطرة نظير سينون على طروادة أخرى وعلى استعارة ألوان  
الحرباء وعلى تبديل سحنة بروطيوس وعلى ارسال ألف  
مكيافيل شرس الى الجحيم. أنا قادر على عمل كل هذا

ولن يتاح لي الوصول الي اغتصاب أي عرش. حتى إن  
كان هذا المطلب أبعد منالاً، سأمدّ اليه يدي وأستولي عليه.  
(يخرج).

## المشهد الثالث

في فرنسا داخل أحد القصور.

(تسمع موسيقى. يدخل الملك لويس الفرنسي والسيدة يون مع حاشيتهما  
يجلس الملك على عرشه، ثم تدخل الملكة مرغريت وابنها أمير ويلز وكونت اوكسفورد).

الملك لويس (وهو ينهض) : يا ملكة انكلترا الجميلة النبيلة، مرغريت. اجلسي  
بقربي اذ لا يليق بمقامك الرفيع ولا بمحتدك السامي أن  
تظلي واقفة عندما أكون أنا الملك لويس جالساً.

الملكة مرغريت : لا، يا ملك فرنسا القدير، من الآن وصاعداً، عليّ أنا  
الملكة مرغريت أن لا أرفع علمي عالياً وأن أتعلم أن أخدم  
حيث يأمر الملوك. عليّ أن أعترف بأنني كنت ملكة اليون  
العظيمة في عهد ذهبي قد ولى. لكنني بت الآن نعيمة بعد  
أن زال ما كان لي من سلطة وانهارت مكانتي بخساسة.  
عليّ اذاً أن اسير وضعي الجديد الخائب وأن ألزم حد حظي  
الوضيع العاثر.

الملك لويس : لكن قولني لي أيتها الملكة الحسنة، ماذا دفعك الى كل  
هذا اليأس؟

الملكة مرغريت : الكارثة التي تملأ مآقيّ دموعاً وتخفق صوتي في حنجرتي،  
بينما قلبي يتخبط في لجج الهموم.

الملك لويس : مهما جرى لك، عليك أن تتمالككي نفسك. فاجلسي الي  
جانبي (يجلسها بقره). ولا تحني رأسك هكذا تحت نير الحظ

العائر، بل رفرفي بأجنحة روحك المنتصرة فوق كل الولايات.  
اشرحي لي ما بك أيتها الملكة مرغريت وابسطي امامي  
جميع همومك فلا بد لها من أن تنفرج اذا كانت فرنسا  
قادرة على معالجتها.

الملكة مرغريت : حديثك الحلو المشجع يحيي آمالي المنهارة، ويعيد النطق  
الى جرأتي وقد أخرستها آلام المصائب. الا اعلم، يا مولاي  
لويس النبيل، ان هنري مالك قلبي الوحيد، كان ملكاً واصبح  
الآن طريداً مضطراً الى العيش متوارياً مهجراً في اسكتلندا  
بينما الوقح المتفطرس ادوارد دوق يورك اغتصب لقبه الملكي  
وعرشه وأزال عنه ما مسحه به السيد من زيت الملوك  
الشرعين على عرش انكلترا. هذا ما جئت انا الملكة مرغريت  
المسكينة وابني الأمير ادوارد الحاضر ها هنا وهو وريث  
هنري الشرعي، لالتماسه منك كي تنصفنا وتساندنا في  
استرجاع حقنا الشرعي السليب، وبغير هذا الموقف من قبلك  
سيضيع كل أملنا في هذا المجال. اسكتلندا ترغب في  
مساعدتنا ولا تملك الامكانية اللازمة. وهكذا ضاع شعبنا  
ونوابنا وانتزعت أموالنا منا عنوةً وشرّد جنودنا، وها نحن  
بين يديك في حالة يرثى لها.

الملك لويس : أيتها الملكة اللامعة، قابلي العاصفة بصبر ريثما نفكر وندير  
لك وسيلة لازالة محتكك وتفريج كربتك.

الملكة مرغريت : كلما تأخر حلّ مشاكلنا، كلما ازدادت قوة خصمنا.  
الملك لويس : بل كلما أجّلت معالجة قضيتك كلما قويت نجديتي لك.  
الملكة مرغريت : لا تنس، يا مولاي، ان قلة الصبر حليفة العذاب الحقيقي.  
وهذا بالذات سبب شقائي.

(بدخل ورويك وحاشيته).

الملك لويس : من هو القادم يمثل هذه الجسارة الى مقرنا.

الملكة مرغريت : هذا هو كونت ورويك أخلص أصدقاء الملك ادوارد.  
الملك لويس : أهلاً ومرحباً بك يا ورويك الشجاع. ماذا جاء بك الى فرنسا؟  
(ينزل عن عرشه وتقف الملك مرغريت).

الملكة مرغريت (على حدة) : نعم، أرى عاصفة جديدة مقبلة لأن هذا الرجل  
يتحكم بالرياح والأمواج.

ورويك : أنا قادم من قبل النبيل ادوارد ملك أليون، مولاي وصديقك  
المخلص، مزوداً بأصدق مودته القلبية، أولاً لأخي شخصك  
الملكي، ثم لأطلب منك عقد معاهدة تحالف، ولتوطيد هذا  
الاتفاق بوثاق الزواج اذا تنازلت ومنحت السيدة بون الفاضلة  
شقيقتك الفاتنة كروجة شرعية لملك انكلترا.

الملكة مرغريت (على حدة) : اذا نجح هذا المسعى، قضي على آمال هنري.  
ورويك (لبون) : والآن يا سيدتي الكريمة، باسم ملكنا، انا مكلف، اذا تكرمت  
وسمحت، أن أقبل بكل تواضع يدك الناعمة وأن أعبر لك  
بصوتي عن أشواق قلبه النبيل حيث وضعت شهرتك التي  
تطبق الآفاق، رسم جمالك وفضيلتك في أعز مكان.

الملكة مرغريت : أيها الملك لويس، وأنت يا سيدتي بون، أرجو أن تستمعا  
الي قبل استجابة طلب ورويك. رغبة ادوارد ليست وليدة  
حب نزيه شريف بل ابنة سياسة ودهاء وتطاول. لأنه يشبه  
الطغاة الذين لا يتسنى لهم أن يحكموا حتماً بأمان داخل  
البلاد اذا لم يؤمنوا لهم حلفاء في خارجها. ولاثبات طفغيانه،  
يكفي أن يكون هنري لا يزال حياً. حتى إن مات فأماننا  
الأمير ادوارد ابن الملك هنري. أحرص اذاً يا لويس على  
أن لا تجلب على نفسك الخطر والعار بتحالفك في مثل  
هذا الزواج. لأن المغتصبين قادرين على سلب الحكم بعض  
الوقت، لكن السماء العادلة والزمن المنصف كفيلان بتبديد  
كل ظلم واستبداد.

- ورويك : تباً لك من وقحة يا مرغريت.  
 امير ويلز : ولماذا لا تعتبرها ملكة؟  
 ورويك : لأن والدك هنري مغتصب، وأنت لم تعد أميراً أكثر مما هي ملكة.
- او كسفورد : هكذا أزيل من الوجود حتّى دي غان الكبير الذي أخضع الجزء الأكبر من اسبانيا. وبعد حتّى دي غان أتى هنري الرابع الذي كان بحكمته مرآة لأكثر العقلاء رصانة. وبعد هذا الأمير أتى هنري الخامس الذي احتل بجزأته وشجاعته كل أرجاء فرنسا. وهنري الذي نتكلم عنه هو سليل هؤلاء النبلاء.
- ورويك : كيف أمكنك، يا او كسفورد، أن لا تشرح لنا في هذا الخطاب المعمول أسباب خسارة هنري السادس كل ما ربحه هنري الخامس؟ هكذا كنت أضحكت علينا شجرة المواليد التي تعاقبت مدة اثنتين وستين سنة. وفي هذه الأثناء لم تسرد لنا أي جديد عن المملكة.
- او كسفورد : كيف تتكلم بهذه اللهجة يا ورويك عن ملكك الذي خضعت له طوال ست وثلاثين سنة بدون أن تبوح بخيانتك أو يحمر وجهك خجلاً منها؟
- ورويك : هل يستطيع يا أو كسفورد، هو الذي دافع دائماً عن الحق أن يكتشف أكاذيب هذا التسلسل الملكي. ولو من قبيل الحياء، عليك أن تترك هنري هنا وتعترف بادوارد كملك.
- او كسفورد : تريدني أن أعترف بسلطة من أهلك، بقراره الجائر، أخي البكر لورد أوبري فيري. ماذا أقول؟ أهلك أبي حين مالت شمس نحو المغرب وأضحى على حافة قبره. لا، يا ورويك، لا. ما دام في عرق ينبض بالحياة سأظل اساند بسواعدي أسرة لنكاستر.
- ورويك : وأنا سأناصر أسرة يورك.
- الملك لويس : أيتها الملكة مرغريت، ويا أيها الأمير ادوارد وأنت يا

أو كسفورد، أرجو منكم أن تتنحوا جانباً بعض الوقت، وأن  
تدعوني أتابع حديثي مع ورويك.  
الملكة مرغريت : أسأل الله أن لا تسحره كلمات ورويك.  
(تسحب جانباً مع الأمير وأوكسفورد).

الملك لويس : والآن يا ورويك، قل لي بصراحة وضمير حي، هل تعتبر  
ادوارد ملكك الشرعي؟ لأنني آبي أن أرتبط بأمر غير شرعي.  
ورويك : أؤكد لك شرعيته، بشرفي وعلى ذمة سمعتي.  
الملك لويس : وهل هو حائز على رضى الشعب؟  
ورويك : أجل، بقدر ما لم يكن هنري سعيداً في حياته.  
الملك لويس : لي كلمة أخرى. وبعيداً عن كل تورية، قل لي بصدق،  
كم هو مبلغ حبه لشقيقتي بون؟  
ورويك : عاطفته تليق بملك مثله. لقد سمعته أنا بنفسه يؤكد ويقسم  
بأن حبه خالد، عميق الجذور في تربة الفضيلة التي تضاعف  
الأوراق والثمار تحت شمس جمالها القاتن الذي يكره النبذ  
ويتصدى للآزدرء اذا لم تبادلها السيدة بون شعوره.  
الملك لويس : والآن يا أختاه، ما هو قرارك النهائي؟  
بون : القبول أو الرفض، حسب جوابك، هو قراري، (لورويك) مع  
ذلك أقرّ بأنني سمعته يفاخر باستحقاقات ملكك، فمال  
اذني الى استلطافه، والأذن تعشق قبل العين أحياناً.  
الملك لويس : اذاً اليك، يا ورويك، جوابي : ستكون أختي زوجة ادوارد.  
وحالاً سننظم العقد الذي نحدّد فيه ما سيدفعه لها ملكك  
كحق بنسبة البائة التي ستقدمها هي له. اقتربي أيتها الملكة  
مرغريت وكوني شاهدة على أن السيدة بون أضحت خطيبة  
ملك انكلترا.

امير ويلز : خطيبة ادوارد، لا ملك انكلترا.  
الملكة مرغريت : ما أبرعك يا ورويك. استبظت هذه المحالفة لتسقط

حقي بما اطلبه. فقبل مجيئك كان لويس صديق هنري.  
الملك لويس : لا أزال صديقه كما أنا صديقك، يا مرغريت. لكن ما حيلتي  
إذا كانت حقوقكم بالعرش ضعيفة كما تدل عليه بوادر نجاح  
ادوارد. فالعدل يعفني من منح المساعدة التي وعدتكم بها.  
مع ذلك سأحفظ لكم كل الاكرام والاحترام الذي يحق  
لكم بموجب مقامكم وسمو حاكمكم.

ورويك : هنري يعيش الآن في اسكتلندا راضياً. وبما أنه لا يملك  
شيئاً فلن يخسر شيئاً. أما أنت بصفتك ملكة سابقة، فان  
والدك قادر في الوقت الحاضر، ويمكنك أن تكوني على  
عاتقه أكثر مما على عاتق ملك فرنسا.

الملكة مرغريت : اسكت، يا ورويك الوقح. اسكت يا متعجرف، يا هدام  
عروش الملوك. لن أرحل من هنا إلا ودموعي الصادقة تتحدى  
بحضور الملك لويس، مكيدتك الدنيئة وحك الكاذب  
لسيدك، لأنكما عصوران غريان من فصيلة واحدة شاردة.

(بسمع صوت نغير).

الملك لويس : هذه رسالة عاجلة لا أدري اذا كانت لي أو لك.

(يدخل ساعي البريد).

ساعي البريد (لورويك) : يا مولاي السفير، هذه الرسالة موجهة اليك من  
قبل أخيك مركيز مونتيكو. (للك الملك لويس) وهذه لجلالتك من  
قبل مليكتنا. (للك الملكة مرغريت) وهذه أيضاً لك يا سيدتي، ولا  
أعلم من قبل من.

(يقرأ كل واحد منهم رسالته).

اوكسفورد : يسرني أن أرى ان ملكتنا الجميلة وسيدتنا تبسم لهذه الأنباء،  
وأن تبدو على محيا ورويك امارات الامتعااض والقلق.

الملكة مرغريت : هذا الكلام، يا ورويك، قلب حقدى الى محبة. فأنا أغفر  
اساعتك وأنسى كل الأخطاء القديمة وأبتهج بعودتك الى  
الصدقة التي كنت تحفظها للملك هنري.

ورويك : أجل بالطبع أنا صديقه الوفي، اذا تنازل الملك لويس الى  
تأمين عدد من نخبة الجنود ليساعدونا على انزال الطاغية  
عن العرش بالقوة. اذ لا يسع العروس إسعافه في هذه المحنة.  
اما كلارانس، حسب ما جاء في الرسالة، فربما تخلص عن  
أخيه بعد هذا الزواج الذي أوحى بعقده أهواؤه وشهواته،  
بالرغم من الشرف والعظمة والأمان المتوفرة في بلدنا.

بون : يا أخي الحبيب كيف يمكنك أن تتأثر لأختك بطريقة أفضل  
من المبادرة الى مساعدة هذه الملكة المتكوبة؟  
الملكة مرغريت : أيها الأمير الشهم، كيف يعيش الملك هنري اذا لم تنتشله  
من يأسه القاتل؟

بون : ان قضيتي وقضية ملك انكلترا هما عندي قضية واحدة.  
ورويك : وقضيتي، يا سيدتي الحلوة بون، تشبه قضيتكم.  
الملك لويس (لورويك) : وقضيتي وقضيتك وقضية بون وقضية مرغريت  
جميعها تهمني كثيراً. ولذلك صممت على مدكم بكل عون  
ومساعدة.

الملكة مرغريت : دعني أشكرك جزيل الشكر بتواضع على حسن نيتك،  
يا مولاي.

الملك لويس : يا ساعي البريد، عد الى انكلترا وقل حالاً للخبيث ادوارد  
مليكك أن لويس فرنسا سيرسل له أقنعة ليشترك في الرقص  
معه ومع عروسه. ألا ترى أن ما حدث سيرتجف له الملك  
حين تروي له تفاصيله؟

بون : قل له أنني أتوقع أن يترمل قريباً. سأطوّق عنقي، لهذه المناسبة،  
بعقد من الزهور النضرة.

ورويك : قل له من جهتي أنه بادرني بتصرف غير مشرف، ولكي

أثار نفسي سأنتزع التاج عن رأسه بأقرب فرصة. خذ هذا مكافأة لك، واذهب.

(يخرج ساعي البريد).

الملك لويس : يا ورويك، ويا أوكسفورد، مع خمسة آلاف رجل ستجتازون البحار وتشيكون في معركة ضارية للقضاء على ادوارد المخادع. ثم عندما يحين الأوان ستلحق بكم هذه الملكة النبيلة ومعها الأمير الشهم بصحبة مدد جديد. مع ذلك، قبل الرحيل، أسألك أن تزيل عني بعض الغموض وتقول لي : ما هي الضمانة التي تقدمها لي لأثبت أمانتك؟

ورويك : اليك البرهان القاطع على وفائي الأكيد : اذا كانت ملكتنا وهذا الأمير الشاب يوافقان، أربط بينه حالياً بوثاق الزواج وبين ابنتي الكبرى التي أعتبرها فرصة عمري.  
الملكة مرغريت : أجل أنا موافق، وأشكرك على شعورك. يا ابني ادوارد، هي جميلة وفاضلة، فلا تتردد في مذبذبة الي ورويك، ومع يدك قدم له تعهداً بأن لا يكون لك امرأة غير ابنته الرائعة.  
امير ويلز : نعم، أَرْضَى بها لأنها تستحق ذلك، وعربوناً على حسن نيتي هاك يدي.

(يمد يده الي ورويك).

الملك لويس : ماذا تنتظر الآن؟ هيا. سيزحف هؤلاء الجنود، وأنت يا مولاي بوربون أميرنا الكبير ستقلهم في اسطولك الملكي. يصعب علي أن يرزح ادوارد تحت وقر ويلات الحرب. وفي سبيل نجدته اعرض على سيدة فرنسية هذا الزواج الباهت.

(يخرج الجميع ما عدا ورويك).

ورويك : لقد جئت كسفير ادوارد. لكنني انقلبت وأضحيت ألد أعدائه.

فلقد كلفني بمهمة في عقد زواج، وسيكون جوابي على هذا الطلب حرباً شعواء أشنها عليه. إن كنت الوحيد الذي اعتبرني خيلاً في صحراء، سأعرف أنا وحدي كيف أحول مهزله إلى عذاب أليم. كنت العامل الأهم في رفعه إلى سدة الملك، وسأكون العامل الأهم أيضاً على دحرجه عنها، لا لأنني أشفق على بؤس هنري، بل لأنني أريد أن أنتقم وأثأر لنفسي لقاء الإهانة التي ألحقها بي ادوارد هكذا.

(يخرج)

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

لندن، في أحد القصور.

(يدخل ريشار وكلارانس وسومرست ومونيكو وغيرهم).

ريشار : قل لي يا أخي كلارانس، ما رأيك في هذا الزواج الجديد  
بليدي كراي؟ ألم يكن اختيار أختنا لائقاً؟

كلارانس : يا للأسف! ألا ترى أن المسافة بعيدة بين هذا المكان وفرنسا؟  
كيف استطاع أن لا ينتظر رجوع ورويك.

سومرست : كفّ يا مولاي عن هذا الحديث. فهذا قد أقبل الملك.

(تسمع موسيقى. يدخل الملك ادوارد وحاشيته ثم ليدي كراي وقد أصبحت  
الملكة اليزابيث، وبمبروك وستافورد وهامتيكس وغيرهم).

ريشار : ومعه رفيقته الرفيعة المقام.

كلارانس : كم أود أن أعبر له عن فكري.

الملك ادوارد : ما رأيك يا أخي كلارانس في أمر اختياري هذا؟ أراك كثير  
التفكير واللاحظ عليك أنك لست مرتاحاً كل الارتياح.

كلارانس : رأيي مطابق لما قاله الملك لويس الفرنسي وكونت ورويك

اللذان لا يمتازان بالشجاعة الكافية ولا يودان مجابتهما في هذا الموضوع.

الملك ادوارد: لنفرض أنهما انزعجا بدون حق، فانهما يظلان لويس وورويك، ولا بد من أن تتم مشييتي.

ريشار : يجب أن تتم لأنك مليكنا. على كل حال، لا ننس أن الزواج العاجل قلما يكون ناجحاً.

الملك ادوارد: أجل، يا أخي ريشار، أنت أيضاً مختاظ؟

ريشار : أنا، لا، لا. لا سمح الله أن أرضى بتفريق ما جمعه الله، ومن الحيف أن يفرق من اجتمعوا على أساس الانسجام.

الملك ادوارد: لنضع جانباً خلافاتكم وقلة تفاهمكم، وقل لي لأي سبب لا يجعل بليدي كراي أن تصبح زوجتي وملكة انكلترا؟ وأنت أيضاً يا سومرست، ويا مونتيكو قولاً لي بصراحة ما هو رأيكما؟

كلارانس : رأيي أنك اكتسبت عداوة الملك لويس بسبب هزتك باقتران جلاتك بالسيدة بون.

ريشار : ثم أن ورويك الذي سعى الى تحقيق ما طلبته منه يرى أن عدم تحقيق هذا الزواج قلل مهابته.

الملك ادوارد: وإذا توصلت انا الى ارضاء لويس وورويك بوسيلة من ابتكاراتي؟

مونتيكو : هذا لا يهم. لأن هذا الزواج كان قوى علاقاتنا بفرنسا ووطد أركان إمبراطوريتنا في وجه العواصف الخارجية بشكل آمن مما يؤمنه لنا زواج من داخل البلاد.

هاسينكس : ما هذه الحجة؟ أولاً يدري مونتيكو أن انكلترا بوسائلها الخاصة هي في مأمن من كل خطر طالما هي وفيّة لنفسها؟

مونتيكو : لكنها تكون في مأمن أفضل عندما تحصل على مساندة فرنسا.

هاسينكس : الأولى أن نسيطر على فرنسا لا أن نلقي اتكالنا عليها. فلتكل على الله وعلى البحر الذي يحمينا كحاجز منيع، وعند الحاجة

نجد فيهما خير مدافع وخير معين، فيهما وبهمتنا، علينا أن  
نصون سلامنا.

كلارانس : بهذا الكلام فقط يستحق لورد هاستينكس حصوله على وريثة  
لورد هنكرفورد.

الملك ادوارد: وبعد ذلك؟ يَسْرَتِي أن أمنحه اياها. وفي هذه المسألة يمكن  
اعتبار كلامي بمثابة قانون.

ريشار : مع ذلك، أعتقد بأنك يا صاحب الجلالة، أحسنت صنعاً  
باعطائك الوريثة للورد سكايل شقيق زوجتك الحية. كانت  
تليق أكثر بكلارانس أو بي أنا، لكنك دفنت حبك الأخوي  
لصالح زوجتك.

كلارانس : وإلا لما وافقت على تخصيص وريثة لورد بونفيل بابن زوجتك  
الجديدة وتركت اخوتك يحثون عن نصيبهم في جهة أخرى.  
الملك ادوارد: يا للأسف، يا كلارانس المسكين. الأجل امرأة تحق؟ هيا  
سأساعدك على الوصول الى مبتغاك.

كلارانس : عندما اخترت لنفسك زوجة، أظهرت تبصراً قل نظيره، وعليه  
أرجو أن تسمح لي بتدبير شؤوني بنفسي. وعلى هذا الأساس،  
أود أن أغادرك قريباً.

الملك ادوارد: ان بقيت الى جانبي أو غادرتني، سأصبح مليكاً ولن تلين  
عزيمتي أمام أي أخ.

الملكة اليزابيث : يا مولاي، قبل أن يطيب لجلالتك أن ترفعني الى مقام  
الملكة، وجميعكم موافقون على أن تروا هذا عادلاً، لم  
أكن وضعية النسب. وكم من النساء ممن هن أدنى مني  
حسباً، حالفهن الحظ نظيري. انما إن كان هذا الارتقاء  
يشرفني، ويشرف اسرتي، فإن الكراهية التي تظهرونها لي،  
أنتم الذين أود أن أرضيكم، تنشر على سعادتني غيمة من  
الأخطار والأحزان.

الملك ادوارد: يا حبيبتي، لا تتنازلي الى دغدغة عدائهم. أية مخاطر وأية

أحزان يمكنها أن تنال منك، ما دمت أنا ادوارد صديقك  
ومليكك الشرعي الذي يدين له الجميع بالطاعة والولاء؟ أجل  
عليهم، أن يطيعوني وأن يحبوك، ان لم يريدوا اكتساب  
بغضي. وإذا تعرضوا اليه، سأعرف كيف أدافع عنك،  
وسواجهون انتقام غصبي.

ريشار (على حدة) : أنا أسمع بدون أن أحري جواباً، فهذا ما أفكر به  
أنا أيضاً.

(يدخل رسول).

الملك ادوارد : ما وراءك، أيها الرسول؟ بأية أنباء وبأية رسائل تأتينا من فرنسا؟  
الرسول : لا رسائل، يا مولاي الملك. انما فقط بعض الكلام الذي  
لا يسعني أن أفضي به الى جلالتك، ألا اذا منحتني سماحك  
الخاص.

الملك ادوارد : هيا قل، أنا أسمع لك، وبدون تأخير قل لي هذا الكلام  
بأمانة على قدر ما تحفظه ذاكرتك. ما هو جواب الملك  
لويس على رسائلي؟

الرسول : ها هي الكلمات التي سمعتها حرفياً عند مجيئي : اذهب  
وقل لملكك الخيث ادوارد، ان لويس ملك فرنسا سيرسل  
له أقتعة لكي يشترك في الرقص هو وزوجته الجديدة.

الملك ادوارد : هل أصبح لويس وقحاً الى هذه الدرجة؟ أراه يظنني نظير  
هنري؟ لكن، ماذا قالت السيدة بون عن زواجي؟

الرسول : البك بما قالته يا مولاي بلهجة هادئة ساخرة : قل له أنني،  
بمناسبة ترملة قريباً، سأضع في عنقي لهذه المناسبة عقداً  
من الأزهار النضرة.

الملك ادوارد : أنا لا ألومها إذ لا يسعها أن تقول أقل من هذا، ما دامت  
هي التي اغتاضت. لكن، ماذا قالت زوجة هنري؟ لأنني علمت  
أنها كانت حاضرة.

الرسول : لقد صاحت : قل له ان الثياب التي ارتديها للحداد موضوعة جانباً، وأني مستعدة لارتداء درعي.

الملك ادوارد: يظهر أنها تريد أن تتسلى بركوب الخيل. وماذا كان ردّ ورويك على هذه الاهانات؟

الرسول : هو مستاء أكثر منهم جميعاً من أقوال جلالتك، لأنه صرفني بهذه العبارة : بلغه من قبلي انه حقرني، ولقاء استهتاره بي سأسمى لنزع التاج عن رأسه في أقرب مناسبة.

الملك ادوارد: ثبّأ له من خائن تجاسر على توجيه مثل هذا الكلام القبيح لشخصي. ها أنا على حذر وسأسلح لمحاربته، وسيدفون جميعهم غالياً ثمن شموخهم هذا وتمردهم على مشييتي. لكن اخبرني، هل تصالح ورويك ومرغريت؟

الرسول : نعم، يا صاحب الجلالة. أضحت الصداقة تربط بينهما الى حد أن الأمير ادوارد الشاب سيتزوج ابنة ورويك.

كلارانس : على الأرجح الابنة الكبرى، على أن أحظى أنا كلارانس بالصغرى. فالوداع يا أخي الملك، وما عليك الا الصمود لأنني عازم على طلب يد ابنة ورويك. وإذا لم أحصل على العرش بهذا الزواج، على الأقل أكون أقرب الناس اليك. فمن يحبني ويحب ورويك يتبعني.

(يخرج كلارانس ويتبعه سومرست).

الملك ادوارد: ذهب كلارانس وسومرست ليلحقا بورويك. هذا لا يهمني لأنني مستعد لمواجهة أسوأ الاحتمالات، انما عليّ أن استعجل الأمور في هذه الوضعية البائسة. يا بيمروك ويا ستافورد اذهبا واجمعا باسمي كل رجالنا وسلّحاهم للقتال، لأن أخصامنا لا يلبثون أن يحلّوا في ديارنا إن لم يكونوا قد أقبلوا. وسألحق بكم حالاً. (يخرج بيمروك وستافورد). لكن قبل أن أمضي. يا هاستينكس، وأنت يا مونتيكو، أزيلا عني هذا

الشك. انتما بنوع خاص مقربان الى ورويك بالنسب  
وبالزواج. فقولاً لي بصراحة إن كنتما تحبان ورويك أكثر  
مني. فإذا كان هذا حالكما يمكنكما أن تلحقا به. فاني  
أفضل أن أعتبركما كأعدائي أكثر من صديقين مريين. اما  
إذا صممتما على البقاء وفيين وخاضعين لي، فطمئناني واقسما  
لي بأنكما ستحافظان على مودتي. وهكذا لا يخامرني أي  
ريب من ناحيتكما.

مونتيكو : لا وقائي الله شراً، إن لم أظل مخلصاً لك.  
هامتينكس : وكذلك أنا، ان لم أدافع عن قضيتك، يا مولاي ادوارد.  
الملك ادوارد: وأنت يا أخي ريشار هل تبقى الى جانبي؟  
ريشار : أجل بالرغم من جميع من ينحازون الى خصمك.  
الملك ادوارد: حسناً. اذاً أنا واثق من الانتصار. والآن هيا بنا نتعد من  
هنا بدون أن نضيع ساعة من الزمن، اذ لا بد لنا من مواجهة  
ورويك وجيشه الغريب.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

في سهل من مقاطعة ورويك شاير

(يدخل ورويك وأوكسفورد مع فصائل فرنسية وغيرها).

ورويك : صدقي، يا مولاي، كل شيء حتى الآن يسير على ما يرام،  
والشعب بأكمله ينضم إلينا.

(يدخل كلارانس وسومرست).

ها هما سومرست وكلارانس قد أقبلا. أجييا يا سادة بأننا جميعاً أصدقاء.

: بدون شك يا مولاي.

كلارانس

: أهلاً بك يا كلارانس الكريم ومرحباً بك بجواري، وأنت

ورويك

أيضاً يا سومرست أنا أعتبر نفسي جباناً إن شككت بكما، لأنكما مددتما يدكما إليّ يقلب نبيل دلالة على التمسك بصداقتي. وإلا اعتبرت أن كلارانس شقيق ادوارد لا يجبّ موقفي الحالي. مهما كان الأمر، أهلاً بك يا عزيزي كلارانس، فأنا أمنحك ابنتي. والآن هيا الى العمل ولنغتنم فرصة عتمة الليل لأن أخاك خيم بدون ترتيب ليس بعيداً من هنا، وجنوده متفرون في المدن المجاورة، وهو شخصياً لا تحميه إلا فرقة صغيرة من الجنود. لذلك نستطيع مهاجمته وأسرره بسهولة، لا سيما أن جواسيسنا وجدوا المغامرة هينة. وكما تسلل البطل أوليس والشجاع ديوماد، ببسالة وبراعة الى خيم ريزوس واصطحبا معهما في العودة رسل تراقيا، هكذا نغتنم فرصة ظلام الليل لكي نهاجم بغتة حرس ادوارد ونمسك به هو شخصياً بدون أن نقتله، لأنني لا أريد سوى مفاجأته. فيا من تريدون أن تتبعوني في هذه المهمة اهتفوا مع رئيسكم بحياة هنري. (يهتف الجميع : يحيا هنري) والآن هيا نتقدم بصمت. فالله وشفيعنا جاورجيوس يحميان ورويك ورجاله.

(يخرجون).

## المشهد الثالث

في مخيم ادوارد بقرب ورويك.

(يدخل عدد من الحراس لحماية خيمة الملك).

الحارس الأول : تقدموا يا سادتي وليأخذ كل منكم مكانه، فالملك متمدّد هنا يغطّ في النوم.

الحارس الثاني : ماذا تقول؟ هو لا يريد الاستلقاء على سريره.  
الحارس الأول : كلا، لأنه أقسم اليمين علناً بأن لا ينام ولا يرتاح إلا عندما يهلك ورويك أو يهلك هو نفسه.

الحارس الثاني : غداً إذا سيكون يوم الحسم. إذا كان ورويك هكذا قريباً كما بلغنا؟

الحارس الثالث : لكن أرجو منك أن تقول لي من هو هذا المولى الذي يرقد في خيمة الملك والى جانبه.

الحارس الأول : هو لورد هاستينكس أخلص أصدقاء الملك.  
الحارس الثالث : حقاً؟ لكن لماذا يأمر الملك بأن يمكث كبار ضباطه في المدن المجاورة بينما هو يستقر في منطقة حائدة.

الحارس الثاني : لأن الاقتراب من الخطر شرف زائد مرموق.  
الحارس الثالث : أجل، أنا يهمني الحصول على الراحة ورغد العيش أفضل من المخاطرة والشرف. لو درى ورويك ما هو وضع الملك الآن، لخاف على حياته وجاء يوقظه.

الحارس الأول : إذا لم تحمه رماحنا وتسدّ له الطريق.  
الحارس الثاني : نعم، لماذا نحن نحرس خيمة الملك، إذا كنا لا نحمله من أعدائه.

(يدخل ورويك وكلا رانس وأوكسفورد وسومرست، ورجالهم).

ورويك : هذه خيمته، وهنا يعسكر حراسه. فشجعوا يا سادتي، إذ

ليس أمامنا إلا شرف الانتصار أو الهلاك الى الأبد. اتبعوني فقط ويكون ادوارد في حوزتنا.

الحارس الأول : من القادم الى هنا؟  
الحارس الثاني : قف مكانك، أو قضيت عليك.

(ورويك ورجاله يهتفون معاً : ورويك ورويك، وينقضون على حراس ادوارد الذي يفرّ صارخاً : الى السلاح، الى السلاح. وورويك وجماعته يطاردونهم. يفرع الطبل وينفخ البوق. ورويك وجماعته يعودون ومعهم ادوارد بقميص النوم وهو جالس على كرسي. يهرب ريشار وهاستينكس).

سومرست : من هم الهاربون هناك؟  
ورويك : ريشار وهاستينكس. دعوهما يذهبان. هذا هو الدوق.  
الملك ادوارد : الدوق! آه، يا ورويك! في آخر مرة اقررنا كنت تدعم الملك.  
ورويك : نعم، لكن الوضع تغير. بما أنك ألحقت بي العار في انتدائي كفير، أنا نزعيت عنك لقب الملك وجئت الآن أعيد اليك لقب دوق يورك. يا للأسف! كيف تريد أن تحكم مملكة وأنت لا تعرف كيف تداري بلباقة موقف السفراء، ولا أن تكفي بزوجة واحدة، ولا أن تعامل اخوتك بإنسانية، ولا أن تسعى لخير الشعب، ولا أن تحمي نفسك من أعدائك.  
الملك ادوارد : أجل يا أخي كلارانس، أنت لا تزال هنا؟ أرى أن لا بد لي من السقوط كملك. مع ذلك يا ورويك، بالرغم من كل المعاكسات، وبالرغم منك ومن أعوانك، سأظل أنا ادوارد أتصرف كملك. ومهما عاكستني الظروف وقلبت لي ظهر المحنّ وأزلت سلطتي، فإن نفسي ستبقى خارج نطاق مفعولها.

ورويك (وهو يترع التاج عن رأسه) : ليظل إذاً ادوارد ملك انكلترا في مخيلته. لأن هنري هو الذي من الآن وصاعداً، سيحمل التاج وسيكون الملك الحقيقي. أما أنت فما عدت سوى ظلّ. يا مولاي سومرست، نزولاً عند طلبي، أرجو أن تقود ادوارد الى شقيقي

رئيس أساقفة يورك. وبعد أن أنهى حملتي على رفاقه، سألتكم  
بكم وسأعلم ادوارد بالجواب الذي أرسله اليه لويس ملك  
فرنسا والسيدة بون. والآن وداعاً يا دوق يورك.  
الملك ادوارد: على الرجال أن يتحملوا ما يفرضه عليهم مصيرهم، إذ لا  
جدوى من قتال لا أمل فيه بالظفر.

(يؤخذ الملك ادوارد برفقة سومرست).

اوكتفورد : لم يبقَ أمامنا، يا مولاي، إلا الزحف مع جنودنا على لندن.  
ورويك : أجل هذا أول أمر علينا أن نحققه : ألا وهو تخليص الملك  
هنري من السجن وإعادته إلى العرش.

(يخرجون).

## المشهد الرابع

في لندن، داخل أحد القصور.

(تدخل الملكة اليزابيث وريفرز).

ريفرز : يا سيدتي، ماذا دعائك إلى هذا التبدل المباغت؟  
الملكة اليزابيث : ماذا أرى يا أخي ريفرز؟ أترك لم تعلم بعد بالمصيبة  
التي حلت بالملك ادوارد.

ريفرز : ماذا تعنين؟ خسارة معركة مع ورويك.  
الملكة اليزابيث : كلاً، بل خسارة شخص الملك بالذات.

ريفرز : هل قتل ملكنا؟

الملكة اليزابيث : أجل، تقريباً لأنه سيق إلى الأسر، سواء كان ذلك عن  
طريق خيانة حرسه أو على أثر مهاجمة أعدائه له فجأة،

المهم ما سمعته فوق ذلك، أنه أخذ الى حرس الأسقف  
شقيق يورك الصارم الذي نعتبره الآن كعدونا.

ريفرز : لا بد من الاقرار بأن هذه الأنباء مؤلمة جداً، مع ذلك،  
يا سيدتي الكريمة عليك أن تتحملي هذا المصاب بصبر،  
لأن ورويك الذي ربح اليوم المعركة، لا يستبعد أن يخسرها  
غداً.

الملكة اليزابيث : حتى الآن هناك أمل يحميني من الانهيار. على كل حال،  
لا بد لي من الابتعاد عن كل يأس حياً بجنين ادوارد الذي  
أحمله في أحشائي. لذلك أضع حداً لتأثري وأتحمل بإذعان  
وقر سوء طالعي. أجل، هذا ما يدعوني الى ابتلاع دموعي  
وحبسها في تنهدات محرقة خشية أن تذبل لوعتي وحسرتي  
ثمرة حبي للملك ادوارد وريث تاج انكلترا الشرعي.

ريفرز : لكن، يا سيدتي، ماذا حل بورويك؟  
الملكة اليزابيث : علمت أنه زاحف على لندن، ليعيد التاج الى رأس هنري.  
وعليك أن تتوقع الباقي، وعلى أصدقاء ادوارد أن ينسحبوا  
من الميدان. ولكي أتجنب عنف الطاغية، لأن من يحث  
بقسمه لا يؤمن جانبه، سألجأ الى أحد المعابد لأنقذ على  
الأقل وريث حقوق ادوارد في العرش. وهناك سأكون بعيدة  
عن كل عمل عدائي وكل مناوأة. تعال إذا نهرب، بينما  
لا يزال المجال منفسحاً أمامنا. فإذا وقعنا في قبضة ورويك  
هلكنا لا محالة.

(يخرجان).

## المشهد الخامس

في حديقة بقرب قصر ميدلهام في مقاطعة يورك شاير.

(يدخل ريشال وهاستينكس وسير وليم ستانلي وغيرهم).

ريشار : الآن يا مولاي هاستينكس، وأنت يا سير وليم ستانلي، لا تعجبا إذا قدتكما من هنا الى مجموعة كثيفة من أشجار الحديقة. فالوضعية هي كما يلي : أنتم تعلمون أن أخي الملك أسرَ الأسقف الذي يحترمه ويمنحه بعض الحرية، وغالباً ما يكون حراسه قليلي العدد، وانه يأتي الى هذه الجهات ليسلّي بممارسة الصيد. لقد نبهته بطريقة سرية، إذا أراد، أن يأتي في هذه الساعة الى طرفنا بداعي الصيد حسب العادة. وهنا يجد أصدقاءه وحصانه ورجالاً مستعدين لتخليصه من الأسر.

(يدخل الملك ادوارد وأحد الصيادين).

الصياد : من هنا، يا مولاي. من هنا تصل الى الطريدة.  
الملك ادوارد : كلا، من هناك يا صديقي. انظر الى مكان الصيادين. هناك شقيق كلوستر لورد هاستينكس. لقد وقعت جميعكم في كمين لأنكم تصطادون في أملاك الأسقف.

ريشار : الوقت والظرف يقتضيان العجلة، يا أخي، وحصانك ينتظرك في زاوية الحديقة.

الملك ادوارد : لكن، الى أين نذهب؟

هاستينكس : الى « لين » يا مولاي. ومن هناك نركب البحر الى شواطئ فلاندر.

ريشار : هذه فكرة رائعة، صديقي، وهي فكرتي أنا أيضاً.  
الملك ادوارد : يا ستانكي، سأجزل لك المكافأة على غيرتك.

ريشار : لكن لماذا التأخر؟ ليس الآن وقت التمادي في الحديث.  
الملك ادوارد: ما قولك أيها الصياد؟ هل تريد أن ترافقتنا؟  
الصيد : هذا أوفى، وإلا كان الشئ نصيبى.  
ريشار : هيا نذهب بدون زيادة كلام.  
الملك ادوارد: وداعاً أيها الأسقف. وحذار من غضب ورويك. صلي لكي  
أستردّ التاج.

(يجرون).

## المشهد السادس

في برج لندن.

(يدخل الملك هنري وكلارنس وورويك وسومرست والشاب ريتشموند  
وأوكسفورد وملازم البرج ورجال الحاشية).

الملك هنري : سيدي الملازم، الآن وقد أنزل أصدقائي ادوارد عن العرش  
بعون الله، وأبدلوا أسري بالحرية، وقلقي بالأمل والطمأنينة،  
وأحزاني بالأفراح. ماذا تستحق في فترة حبسوتي حين تعود  
المياه الى مجاريها.

ملازم البرج : الرعايا ليس لهم أن يطالبوا ملكهم بشيء. لكن إذا كان  
رجائي مستجاباً، فأنتمس عفوَ جلالتك.

الملك هنري : لماذا أيها الملازم؟ لأنك أحسنت معاملتي. كن على يقين  
بأنني سأكافئك بسخاء لأنك جعلت من سجنى متعة، أجل  
متعة يتذوقها العصافير في القفص حيث لا ينقصها شيء  
فألف الأسر بما يعوضه عليها من عناية، لقاء فقدان حريتها.  
ولكن، بعد الله يا ورويك، أنا مدين لك بخلاصي. لذلك  
أشكر الله وأشكرك على هذه النعمة، فهو الأصل وأنت

الوسيلة. لقد أراد خصمي أن ينتصر عليّ ويدلّني، فإذا به يقع في الحفرة التي أعدّها لي. لذا أودّ أن يشعر شعبنا على هذه الأرض المباركة بأن يد العناية ترعاه، أريد منك يا ورويك، مع أنني أنا صاحب التاج، أن تتسلم أنت الحكم لأنني واثق بمهارتك وحُكمتك في إدارة شؤون المملكة..

ورويك : أنت تمتاز، يا مولاي، عن سواك بما تحلّي به من فضائل. وها أنت تبرهن عن حكمتك وتبصرك، لأن الرجال الذين يحسنون التصرف قليل عددهم. مع ذلك، اسمح لي يا صاحب الجلالة أن أعاتبك على اختيارك ليّاي لهذه المهمة، بينما كلارانس حاضر بيننا.

كلارانس : كلا، يا ورويك. أنت تستحق السلطة لأنك منذ أن أبصرت عيناك النور كنت تحمل غصن الزيتون وإكليل الغار، وهما رمزان نبيلان أيام الحرب والسلام. لذلك أنا أؤيد اختيار الملك منحك هذه الثقة الغالية الموضوعة في محلها.

ورويك : وأنا أختار كلارانس حامي المملكة.

الملك هنري : يا ورويك ويا كلارانس، ليعطني كل منكما يده، والآن ضمّاً يديكما، ومعهما قليكما كي لا تنقلب أية عقبة على مسيرة الحكم. إنني أجعلكما معاً حامين للمملكة، بينما أنا أنزّم حياتي الخاصة، وأنهى أيامي بالتأمل والتكفير عن ذنوبي وتمجيد خالقي.

ورويك : ما هو جواب كلارانس على تمنيات ملكه؟

كلارانس : أنا أوافق إذا وافقت أنت يا ورويك. لأنني أنا أيضاً أرتاح إلى تديرك وحسن إدارتك.

ورويك : عليّ إذاً أن أوافق ولو بشيء من الاضطرار. ستكاتف كأنا ظلّي شخص هنري، ونقوم مقامه بقدر الإمكان. أعني سنحمل أعباء الحكم بينما يعود إليه شرف الملك في إخلاده إلى

الراحة. والآن يا كلارانس لا بد من أن نعلن فوراً خيانة ادوارد، وأن نضع يدنا على جميع أملاكه وأرزاقه.

كلارانس : وماذا تريد أيضاً؟ ان خلاقه مفتوحة.

ورويك : طبعاً، أنت بالفعل لك حق فيها.

الملك هنري : لكن، قبل كل شيء دعني ألتبس منك، لأنني لم أعد أنا الأمر، أن تعاد الملكة مرغريت وابني ادوارد من فرنسا على جناح السرعة، لأنني حتى لحظة مشاهدتهما قريباً سيظل القلق المشوب بالشك يحرمني نصف فرحي بخلاصهما.

كلارانس : سيتم ذلك بأسرع ما يمكن، يا صاحب الجلالة.

الملك هنري : مولاي سومرست، من هو هذا الشاب المحاط بكل هذه الحفاوة والحنان؟

سومرست : هذا هنري الشاب كونت ريتشموند. يا مولاي.

الملك هنري : تعال، يا أمل انك لترا (يضع يده على رأس ريتشموند) إذا كانت هذه هي الحقيقة، فإن قوة عجيبة توحى إليّ بأن هذا الفتى الوسيم سيفخر بلادنا بالسعادة والرخاء. لأن نظراته ملأى بالجلال والهدوء، ورأسه تهيئه الطبيعة ليحمل التاج، ويده لتمسك بالصولجان، وهو مدعو ليتربع يوماً على عرش الملوك. حيّوه يا سادة، لأنه أهل لأن يوفر لكم الخير أكثر مما سببه أنا لكم من شر.

(يدخل رسول).

ورويك : ما وراءك من أخبار، يا هديقي؟

الرسول : هرب ادوارد من حرّامة أخيك الى بوركون، كما بلغني الآن.

ورويك : نبأ مزعج. لكن كيف هرب؟

الرسول : اصطجه ريشاردوق كلوستر ولورد هاستينكس اللذان كانا ينتظرانه في مكن سرّي عند طرف الغابة. فخطفوه من

بين صيادي الأسقف، لأن الصيد كان رياضته اليومية المفضلة التي يمارسها بكل حرية وابتهاج.

ورويك : لم يسهر عليه أخي كما يلزم ولم يؤدّ وظيفته كما يجب. هيا نذهب من هنا يا مولاي، لنبحث سلفاً عن علاج لجميع المتاعب التي قد تصينا.

(يخرج الملك هنري وورويك وكلارانس وملازم البرج ورجال الحاشية).

سومرست : لم يعجبني هرب ادوارد، يا مولاي. لأن بوركيون سيمنّ اليه يد المساعدة بدون شك وسواجه حروباً أخرى عن قريب. فإذا صدقت نبوءة هنري عن مستقبل ريتشموند الشاب، أغتبط قلبي لأن الخوف عليه من المؤامرات لا يفارقني، لذا أرى من الأنسب أن نبعده من هنا بإرساله الى بريطانيا حتى تنقش غيوم الخلافات والدسائس وتهدأ رياح العاصفة الهوجاء.

اوكسفورد : أجل، فإذا استولى ادوارد على العرش من جديد، عليك أن تأتي فوراً لنعمل بسرعة على تدارك الأمور.

(يخرجون).

## المشهد السابع

أمام مدينة يورك.

(يدخل الملك ادوارد وريشار وهامينكس والجنود).

الملك ادوارد : كما ترون، يا أخي ريشار ويا لورد هامينكس وأنتم جميعاً أيها الحاضرون، قد عوّضنا الحظّ عمّا حلّ بنا، وعلى ما أعتقد سيبدّل أحزاننا برجوعي الى اعتلاء عرش هنري. لقد

قطعنا البحار ذهاباً وإياباً وعدنا من بوركون بالعون المرتجى.  
والآن وقد وصلنا من مرفأ رافسبروك الى أبواب يورك ما  
علينا إلا أن ندخل الى مقرنا في مقاطعتنا.

ريشار : أرى الأبواب مغلقة، يا أخي، وهذا يقلقني. إذ من يتعر  
عادة على العتبة، عليه أن يخشى خطراً كامناً في الداخل.  
الملك ادوارد: هذه التوجسات يا عزيزي، يجب أن ترعبنا الآن أكثر من  
قبل. إذ يتحتم علينا، شئنا أو أئينا، أن ندخل لموافة أصحابنا.  
هاستينكس : مولاي، عليّ أن أطرق الباب مرة أخرى ليفتحوا لنا.  
(يدخل الى حواجز المدينة محافظ يورك وزملاؤه).

المحافظ : يا مولاي، لقد وردنا نبأ بقدمكم وأغلقتنا الأبواب لتكون  
في مأمن، ما دما الآن مضطرين لتقديم ولاتنا الى هنري.  
الملك هنري : لكن يا سيدي المحافظ، إذا كان هنري ملككم، فأنا ادوارد  
على الأقل دوق يورك.

المحافظ : هذا صحيح يا مولاي، أنا أعترف بصفتك هذه.  
الملك ادوارد: وأنا لا أطلب إلا بدوئتي، وكلّي استعداد للاكتفاء بها.  
ريشار (على حدة) : لكن متى مدّ الثعلب رأسه يجد حيلة لإدخال باقي  
جسمه.

هاستينكس : لماذا، يا سيدي المحافظ، تتردّد هكذا؟ افتح لنا الأبواب،  
فنحن أصدقاء الملك.  
المحافظ : حقاً؟ سنفتح لكم الأبواب إذا.

(يسحب من الحاجز هو وزملاؤه).

ريشار : هذا ضابط أصيل لن يلبث أن يستجيب.  
هاستينكس : المعجوز الكريم يعتقد أحياناً بأن كل شيء يسير على ما  
يرام حين تجري الأمور حسناً بالنسبة إليه. لكن، حالما ندخل

لا شك في أننا نستطيع أن نعيده سريعاً هو ورفاقه الى  
الجادة التي نسير عليها.

(يظهر المحافظ واثنان من العصاة على الحاجز).

الملك ادوارد: حسناً يا سيدي المحافظ، هذه الأبواب يجب أن لا تغلق  
إلا ليلاً، أو في زمن الحرب. هيا، لا تخف، أيها الصديق،  
وسلمنا المفاتيح (بأخذ مفاتيح المدينة) فعلاً أنا ادوارد مصمم  
على الدفاع عن المدينة وعن جميع من يتنازلون ويتبعونني.  
(يسمع قرع طبول. يدخل متكومري ومعه جنود. تسمع مشية عسكرية).

ريشار : يا أخي، هذا هو سير جون ميتكومري صديقنا المخلص،  
إذا لم أكن مخطئاً.

الملك ادوارد: أهلاً وسهلاً يا سير جون. لماذا تأتينا مدججاً بالسلاح.  
متكومري : لإغاثة الملك ادوارد أثناء هذه العاصفة كما يجب أن يفعل  
كل مواطن وفي.

الملك ادوارد: شكراً يا متكومري الكريم. لكني الآن، عليّ أن أنسى حقي  
بالتاج وأن لا أطلب إلا بدوقيتي حتى يمن الله عليّ بالباقي.  
متكومري : الوداع اذاً، لأنني عائد من حيث أتيت. جئت لأخدم الملك  
لا الدوق. اقرعوا الطبول، ولنواصل السير.

(تبدأ السيرة).

الملك ادوارد: لا، قف قليلاً يا سير جون لأرى بأية وسيلة أكيدة يمكنني  
استرداد العرش.

متكومري : ماذا تقصد بقولك؟ لنختصر : إذا كنت لا تريد أن تعلن  
نفسك ملكاً، أتركك الى حظك وأطلب من الذين أتوا الى  
نجدتك أن يعودوا من حيث أتوا. لماذا نحارب إذا كنت  
لا تطلب بأي لقب؟

ريشار : هيا بنا يا أخي، لماذا تتوقف أمام هذه المشاكل؟  
الملك ادوارد: عندما أصبح أقوى مما أنا عليه الآن أقدم مطالبي. حتى  
هذه الساعة أظن من الأنسب أن أخفي رغباتي.  
هاسينكس : سحقا للوساوس. لا شيء كالملاح يقرر المصير.  
ريشار : والرجل الجسور هو الذي يصل بسرعة الى التاج. فما قولك  
يا أخي أن نادى بك بالقوة ملكاً منذ الآن؟ فهذا الاعلان  
وحده يجلب لك العديد من الأصدقاء والمناصرين.  
الملك ادوارد: كما تشاء. فالحق الى جانبي وهنري ليس سوى مغتصب  
العرش.  
متكومري : نعم، الآن يتكلم مليكي لغة تليق به، وأنا أريد أن أكون  
بطل ادوارد.  
هاسينكس : انفخوا الأبواق، لنعلن ادوارد ملكاً. هيا يا صاح أعلن نفسك.  
(يعطي أحد الجنود ورقة، وتصدح الموسيقى).  
الجندي (يقراً): ادوارد الرابع أصبح بعون الله ملك انكلترا وفرنسا ولورد  
إرلندا الخ.  
متكومري : ومن ينكر هذا الحق على الملك ادوارد، أنا أتحداه لقتال  
منفرد.  
(يرمي بقفازه الى الأرض).

الجميع : يحيا ادوارد الرابع.

الملك ادوارد: شكراً يا متكومري الشجاع، وشكراً لكم جميعاً. إذا حالقني  
الحظ سأكافئكم على إخلاصكم. سنقضي هذه الليلة هنا  
في يورك، وحالما تطلع الشمس غداً فوق الأفق ستوجه  
نحو ورويك وعصاته. لأنني أعرف جيداً انه بالنسبة الى  
هنري ليس جندياً يخشى بأسه. تباً لك يا كلارانس الخشن،  
أنت لا تعرف كيف تتملق هنري وتتخلى عن أخيك. هذا

لا يهمني. ستصدي لك ونعارض يورك بقدر استطاعتنا.  
فإلى الأمام أيها الجنود البواسل ضعوا النصر نصب أعينكم،  
ومتى أصبح في يدينا يمكنكم تأمين سلام طويل الأمد.  
(يخرجون).

## المشهد الثامن

### لندن - في قصر لمبث

(يدخل الملك هنري وورويك وكلارانس وموتيكو وأكسافورد).

ورويك : بماذا تنصحتوني أيها اللوردات؟ لقد ذهب إدوارد من بلجيكا  
مع جماعته من الألمان المغرورين والهولنديين البلهاء، وقطعوا  
المضيق بأمان، وكل هؤلاء الرجال يرحفون على لندن، بعد  
أن انضم إليهم عدد من المتهورين.  
أكسافورد : تعالوا نجمع بعض المحاربين وندحر أخصامنا.  
كلارانس : النار الخفيفة سهل وسريع إطفائها. أما إذا تركموها تمتد  
فإن أنهاراً يرمتها لا تكفي حينئذ لإخمادها.  
ورويك : لئدي في منطقتي، وورويك شاير، أصدقاء مخلصون، وإن لم  
يكونوا مشاغبين في أيام السلم، تراهم من الشجعان في زمن  
الحرب. سأجمعهم يا ابني كلارانس، في مناطق سوفولك  
ونورفولك وكنت، ونستعجل الفرسان الوجهاء لينضموا إليك.  
وأنت يا أخي موتيكو في مناطق بوكنكهام ونورتمتون  
ولايسستر ستجد رجالاً أشداء على أتم الاستعداد للانضواء  
تحت إمرتك وأنت يا أكسافورد الباسل بصفتك محبوباً للغاية  
في منطقة أكسافورد شاير ستجمع أصدقاءك العديدين  
ليناصروك. أما مليكي الذي يحيط به المواطنون الأوفياء كما

تحيط البحارة بهذه الجزيرة الصامدة، وكما تحلق عرائس  
البحر حول ديانا العفيفة، سيظل في لندن الى أن تأتي لملاقاته.  
فيا أيها السادة الأجلاء استأذنوا الملك بالانصراف واذهبوا  
بدون أي تأخير. الوداع يا صاحب الجلالة.

الملك هنري : الوداع، أيها البطل، يا أمل هذه الجزيرة الوطيد.  
كلارانس : وإثباتاً لأمانتي أقبل يدك، يا صاحب السمو.  
الملك هنري : أتمنى لك حظاً سعيداً، يا كلارانس الأمين.  
مونتيكو : تشجع، يا مولاي. استأذنك بالانصراف.  
أوكسفورد (يقبل هنري) : هكذا أرسخ إيماني بك، وأنا أودعك.  
الملك هنري : يا عزيزي أوكسفورد ويا حبيبي مونتيكو وأنتم جميعاً أقول  
لكم مرة أخرى الوداع، وأسعد الله أوقاتكم.  
ورويك : الوداع، أيها اللوردات الأعزاء. الحقوا بنا الى كوفتري.  
(يخرج ورويك وكلارانس وأوكسفورد ومونتيكو).

الملك هنري : سأستريح لحظة هنا في القصر. يا ابن عمي أكسائر، ما  
رأي سيادتك؟ أظن أن القوات التي أرسلها ادوارد الى ساحة  
القتال لا تعادل ما لدينا من قوات. ولا يسعها أن تقاومنا.  
أكسائر : يخشى أن يأتي بغيرها أيضاً.

الملك هنري : هذا لا يقلقني، لأن خطتي باتت معروفة. فأننا لم أصم أذني  
عن سماع طلبات أفراد الشعب، ولم أؤجل التماساتهم الى  
مدى طويل. وكم أشفقت على المصابين وضمّدت جراحهم  
وقد خففت آلامهم بطيبة قلبي ورحمتي كفكفت دموعهم  
الجزيرة ولم أطمع بأموالهم ولم أرهق كاهلهم بالجزية. ورغم  
شرودهم أحياناً، لم أقسُ عليهم ولم أنتقم منهم. فلماذا يجب  
هذا الشعب ادوارد أكثر مني؟ لا يا أكسائر. إن كل الحسنات  
تستدعي أفضل معاملة. وعندما يلاطف الأسد الحمل، لا  
يلث هذا الحمل أن يتبعه.

(تعالى من الداخل صيحات : لكاستر، لكاستر).

اكاستر : اسمع، اسمع، يا مولاي. ما هذا الصراخ؟

(يدخل الملك ادوارد وربشار وبعض الجنود).

الملك ادوارد: اقضوا على هنري صاحب الوجه المشؤوم، وخذوه من هنا ونادوا بي من جديد ملك انكلترا. (للك الملك هنري). كنت أنت النبوع الذي تتفرع منه عدة سواقي. والآن قد نظبت مياهك، وابتلعها بحر حظي وتضخمت أمواج همي. خذوه الى البرج بدون أن تدعوه يتكلم. (يخرج بعض الجنود مصطحين هنري) والآن أيها اللوردات لنوجه مسيرتنا الى كوفتري. أين هو الآن هذا المدعي ورويك. الشمس مشرقة وساطعة. فإذا تأخرنا سيعضنا برد الشتاء ويتبدد محصولنا الذي طالما رجونا.

ربشار : هيا نذهب بسرعة قبل أن يجمع قواته، ونفاجئ بفتة هذا الخائن اللعين. أيها المحاربون الشجعان، هيا بنا نزحف على كوفتري.

(يخرجون).

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

في كوفتري.

(يصل الى الحاجز ورويك ومحافظ كوفتري ورسولان وغيرهم).

ورويك : أين ساعي البريد الذي جاء من قبل أوكسفورد؟ وعلى بعد  
أية مسافة يقع مقر سيدك، صديقي الحميم؟  
الرسول الأول: أعتقد بأنه في دنسمور، وسيوافيكم.  
ورويك : وعلى بعد أية مسافة هو أخي مونتيكو؟ أين ساعي البريد  
الذي وصل قبله؟

الرسول الثاني: أظنه في دنترى، ومعه مدد وافر العدد.

(يدخل سير جون سومرفيل).

ورويك : ماذا يقول صهري الحبيب يا سومرفيل؟ وحسب تقديرك  
في أية بقعة يقف الآن كلارانس؟  
سومرفيل : لقد تركته في سؤنهام مع قواته، وأنا أنتظر قدومه الى هنا  
بعد ساعتين تقريباً.

(يسمع قرع طبول).

ورويك : في هذه الحالة، يعسكر كلارانس على مقربة منا، وأنا أسمع قرع طبوله.

سومرفيل : هذا ليس قرع طبوله، يا مولاي. لأن سوتهم من هذه الجهة. أما صوت الطبل الذي تسمعه جلالتك فأت من جهة ورويك.

ورويك : وما عسى أن يعني هذا؟ لا شك في أن هناك اصدقاء غير منتظرين.

سومرفيل : هم قادمون. وسرى من يكونون؟

(يسمع قرع طبول. يدخل الملك ادوارد وريشار، وجنودهما في مشية عسكرية نشطة).

الملك ادوارد: اقترب يا نافخ البوق صوب الحاجز، واعطِ إشارة الاستسلام.

ريشار : انظر الى العابس ورويك كيف يقف على الحاجز كالحارس.

ورويك : هذه مشاكسة غير متوقعة، لأن المستهتر ادوارد وصل. أين نام اذا كشفونا، وكيف ارتشوا، ولم يعلمنا أحد باقترابهم؟

الملك ادوارد: الآن يا ورويك، افتح أبواب المدينة، والقي خطاباً يجعل الركاب تنطوي والهجمات تنحني بوضاعة. نادِ ملكك ادوارد.

ورويك : لا، أبعد أنت رجالك من هنا، وحي من رفعتك ثم أنزلك. هيا استمعني، أنا معلمك ورويك، واندتم فتظل دوق يورك.

ريشار : كنت أعتقد بأنه سيثبت بقاءه ملكاً. هل كان ذلك منه مزاحاً غير مقصود؟

ورويك : يا مولاي، أولاً تعتبر الدوقية هدية قيّمة.

ريشار : إي وربي، لا سيما حين يكون مقدمها كونتاً مرموقاً. أشكرك جزيل الشكر على هذه الهدية الرائعة.

ورويك : أنا قدمت العرش لأخيكَ.

الملك ادوارد: هو طبعاً لي، وان كان هدية من ورويك.

ورويك : أنت لست الجبار أطلس لتنهض بمثل هذا الحمل الثقيل.

انظر الى هزالك ولا تنسَ أنني أحرمك من هذه الهدية، لأن هنري مليكي، وأنا أحد رعاياه.

الملك ادوارد: لكن ملكك، يا ورويك، سجنني انا الملك ادوارد. فقل لي أيها الباسل الفهيم، ما قيمة جسم بلا رأس؟

ريشار : يا للأسف! لماذا فقد ورويك صفاء ذهنه وتبصره؟ فينما كان يحاول أن يتشغل مني عشرة فقط، اذا بالملك ينسحب من اللعبة بلطف. لقد تركت هنري المسكين في قصر الأسقف، وأراهن على واحد مقابل عشرة بأنك تجده الآن في البرج.

الملك ادوارد: هيا يا ورويك، اغتسم الفرصة واركنع، أجل اركنع. لم يحن الوقت بعد، ومتى حان، ستضرب الحديد وهو حار. ورويك : أفضل أن أقطع يدي هذه بضربة قاسية وأن أرميها في وجهك باليد الثانية على أن أنحدر بدناة الى مستواك، وأصبح العوبة بين يديك.

الملك ادوارد: فرغ كما يطيب لك، واجه الرياح العاصفة. فان هذه اليد التي ستلف على شعرك الفاحم السواد، وترفع رأسك المقطوع الذي لا يزال ساخناً وتهزه بعنف، ستجبر يدك أن تكتب على التراب : ورويك السريع القلب لن يسعه أن ينقلب الآن على أحد.

(يدخل أوكسفورد، وطوله تفرع وأعلامه ترغرر).

ورويك : ما أزهى هذه الألوان؟ ها هوذا أوكسفورد قد وصل. أوكسفورد : أنا أناصر اسرة لنكاستر.

(يدخل أوكسفورد مع قواته الى المدينة).

ريشار : الأبواب مفتوحة. لندخل نحن أيضاً.

الملك ادوارد: هناك أعداء آخرون قد يياغثونا من الخلف. فليبق هنا

مرصوصي الصفوف، وإلا خرجوا حتماً إلينا وقاتلونا. فالمدينة  
في حال عدم قدرتها على المقاومة بسبب ضعفها تدعونا  
إلى أن نقتحم الخونة ونهاجمهم.  
ورويك : أهلاً ومرحباً بك، يا أوكسفورد، نحن بحاجة ماسة إليك.  
(يدخل مونتيكو وطوله تفرع وأعلامه تخفق).

مونتيكو : أنا أناصر اسرة لنكاستر.  
(يدخل مع جنوده إلى المدينة).

ريشار : أنت وأخوك ستدفعان باهظاً ثمن هذه الخيانة بدمكما الذي  
يجري الآن في عروقكما وسيهدر قريباً.  
الملك ادوارد : كلما ازدادت المقاومة ضراوة كلما ازداد النصر بريقاً. قلبي  
يحدثني بأن نجاحنا سيكون منقطع النظير.  
(يدخل سومرست وطوله تفرع وأعلامه تخفق).

سومرست : أنا أناصر أسرة لنكاستر.  
(يدخل مع قواته إلى المدينة).

ريشار : دوقان من اسرتك يا سومرست، واثنان من أسرة يورك قد  
سفك دمهما وستكون أنت ثالثهم اذا ظل هذا السيف بتأراً.  
(يدخل كلارانس وطوله تفرع وأعلامه تخفق).

ورويك : انظروا، هذا جورج بن كلارانس يتقدم مع قواته الكافية  
لسحق أخيه في ساحة القتال. ما أعظم غيرته على شرعية  
الحق الذي تغلب على حبه الأخوي. تعال، يا كلارانس،  
واستجب طلبي.

كلارانس (يتزعج الوردة الحمراء من فبته) : يا أيي ورويك، هل تعلم ما معنى

هذا؟ الا انتظر، أنا أرشلك بتحقيري. انا لا أريد أن أهدم بيت أبي الذي وطد أركانه ببذل دمه الغالي، وأن أعلي شأن أسرة لتكاستر. هل تعتقد، يا ورويك، بأنني صلب وشرس وقليل الوفاء لأقلب ظهر المحن لأخي ومليكي الشرعي؟ ربما تعترض عليّ بسبب قسمي المقدس. فإن أنا لم أحنث بيمينتي، بتّ أحقر من يافث الذي ضحى بابنته. أنا نادم على غلطتي السابقة. ومن الآن وصاعداً أنا اناصر أخي، وأعلن منذ هذه اللحظة عدائي لك حتى الموت. وأنا مصمم على مجابهتك وواثق بأن أقضي عليك مهما بالغت في التحفظ والحيلة بعدم خروجك من هنا. وسأعاقبك على جرم تضليلك اياي. فبناء على ذلك أتحدّك يا ورويك المتعجرف، وأدير نحو أخي وجهي المحمرّ خجلاً منك ومن أفعالك الشائنة. سامحني إذاً يا أخي ادوارد، فأنا مستعد أن أكفر بشرف عما بدر مني. ألتمس منك يا ريشار، أن لا تنظر بغضب الى ذنوبي لأنني نويت أن أنبذ كل تصرفاتي المرية.

الملك ادوارد: أهلاً ومرحباً بك، أنا أحبك عشر مرات أكثر مما كنت تستحق في الماضي من غيظي وغضبي.

ريشار : أهلاً ومرحباً بك يا كلارانس. أنت الآن تتصرف كأفضل شقيق.

ورويك : سحقاً لك من خائن جبان.

الملك ادوارد: هل تريد يا ورويك أن تغادر المدينة لتحاربنا؟ أم علينا أن نرجمك بالحجارة حتى تموت؟

ورويك : والله، أنا لا أريد أن أكون سجينكم هنا ولو للدفاع عن نفسي. بل أود أن أذهب الى بارني لأحاربك يا ادوارد، إن كنت تقبل التحدي.

الملك ادوارد: أجل يا ورويك، أنا أقبل تحدّيك فهياً نخرج للقتال. هيا

بنا أيها اللوردات الى ساحة المعركة وسينصرنا الله وشفيحنا  
جاورجيوس.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

في ساحة المعركة قرب بارني.

(تسمع موسيقى إنذار وضجة جنود يتحركون بدخل الملك ادوارد  
ويؤتي بورويك جريحا).

الملك ادوارد: هكذا مددوه هنا. مت يا لثيم، لأنك خيال صحراء وان  
ارعبتنا جميعاً. أما الآن فاستعد يا مونيكو لنسلك عظام  
ورويك.

(يخرج).

ورويك : من الآتي الى هنا؟ تعال اليّ ان كنت صديقاً أو عدواً وأخبرني  
من المتصر، يورك أم ورويك؟ لكن لماذا اطرح هذا السؤال؟  
ان تشويه جسمي ونزف دمي وخور قواي وانقباض قلبي،  
كلها دلائل دامغة على انتصار أخي، وإلا لما شعرت بهذا  
الذل والانكسار. هكذا سقطت الشجرة الشامخة تحت  
ضربات الفأس ولم تعد قادرة على حماية النسر الملكي  
الذي كان يتفياً تحت أغصانها وكان الأسد المتوثب سيظل  
جذعها الراسخ الذي كان يساند الشجرة الضعيفة في احتمائها  
به أثناء عواصف الشتاء. لقد كانت نظراتي التي خيم عليها  
ظلام الموت، تنفذ نظير أشعة الشمس في رابعة النهار وتخرق  
حجب الخيانات السرية في العالم أجمع. وكانت تجاعيد

جبهتي الملوثة دماً، تشبه غالباً قبور الملوك اذ لم يكن هناك من ملك لم تستطع أن تحفر قبره وتدفن فيه سلطته. فمن كان يجرؤ على الابتسام عندما كنت أعبس؟ وأسفاه! ها قد مرّغ شرفي في الوحل وتلوث بالدم. أين الجنائن والنزهات ومماشى القصور التي غابت كلها عني، ولم يبقَ لي من الأراضي الواسعة سوى مدى جسمي؟ أين العظمة والفخفخة؟ أين السلطة والنفوذ؟ كلها أضحت تراباً تدوسه الأرجل. فمهما كانت الحياة مرفهة عزيزة، لا بد للانسان يوماً من أن يموت.

(بدخل أوكسفورد وسومرست).

سومرست : آه، يا ورويك! لو كنت كما أنا الآن، لكنت عوّضت عن جميع أخطائي. فالملكة عادت من فرنسا بنجدة قوية، بلغتي أخبارها منذ وقت قريب. ليتك تستطيع الهرب.

ورويك : حتى ان لم أهرب، أنت أخي يا موتيكو، وأسألك أن تأخذ يدي وألمس منك أن تمنع روحي بشفتيك من الخروج ولو لحظة. أنت لا تحبني، ولو كنت تحبني يا أخي، لكنت دموعك غسلت هذا الدم المتجمد على شفتي لأنه يعيقني عن التكلم. تعال إليّ حالاً يا موتيكو، وإلا مت.

سومرست : تعال يا ورويك. فان موتيكو قد أسلم روحه وكان الي آخر أنفاسه يناديك إذ قال : أوصوا أخي الشجاع بي خيراً. وحاول أن يقول أكثر من هذا. لكن ما فاه به جاء دويّه مشوشاً كقصف المدفع من مغارة تحت الأرض، لا سبيل الي تميز أيّ من ألفاظه المغمّمة. أخيراً تمكنت من سماع آخر تنهّداته وهو يتمتم : وداعاً يا ورويك.

ورويك : ليرقد بسلام. اهربوا أيها اللوردات جميعاً، وسيكون لقاءنا في السماء.

(يموت).

أوكسفورد : هيا بنا نذهب، هيا بنا ننضم الى جيش الملكة الجرّار.

(يخرجون حاملين جثة وروبك).

## المشهد الثالث

في مكان آخر من ساحة القتال.

(تصدح الموسيقى. يدخل الملك ادوارد متصراً يرافقه كلارانس وريشار وجنود).

الملك ادوارد: حتى الآن خاننا الحظ في صعود نجمنا، وقد زيت أعناقنا قلادات الظفر. لكننا في منتصف النهار المشرق أرى غيمة سوداء مشبوهة تهدّنا وتجه نحو شمسنا لتحببها عنا قبل أن تبلغ مغيبها الهادئ. أعني أيها اللوردات ان قوات الملكة المقبلة من فرنسا قد وصلت الى شواطئنا زاحفة علينا كما قيل لي لكي تقاتلنا.

كلارانس : أول رشقة سهام ستبدّ قريباً عنا هذه الغيمة الكأداء، وتعيدها الى مصدرها، وترد كيد أعدائنا الى نحرهم. اشعاعك وحده يكفي لتبديد هذا البخار، لأن الغمامة الصغيرة لا تولّد العاصفة.

ريشار : قوات الملكة تقدّر بثلاثين الف رجل، وقد لجأ اليها سومرست موقناً بأن بطشها سيكون له قوة تضارع قوتنا.

الملك ادوارد: اخبرنا بعض أصدقائنا المخلصين بأن هذا الجيش يزحف على تويكسيري. فعلينا، وقد حالفنا الحظ حتى الآن، أن نادر الى سهل بارني ونهاجم هذا العدو حالاً، لأن السرعة ستشق لنا طريق النصر النهائي. وأثناء الطريق ستزداد قوتنا

بمن ينضم إلينا من أهالي المناطق التي نجتازها. اقرعوا الطبول،  
واصرخوا : الى الأمام، تشجعوا.

(يخرجون).

## المشهد الرابع في سهل قرب تويكسبري.

(تسمع موسيقى عسكرية. تدخل الملكة مرغريت وأمير ويلز وسومرست  
وأوكسفورد وبعض الجنود).

للملكة مرغريت : أيها اللوردات البواسل، لا يتأخر الرجال الحكماء في  
التحسر على خسائرهم. لكنهم لا يلبثون أن يعوّضوا عن  
كوارثهم. لا غضاضة علينا إن جرفت العاصفة معها صاري  
مركبنا وقطعت الجبال وضِيعت المرساة وابتلعت الأمواج  
نصف البحارة في طياتها. فالربان لا يزال حياً. وهل من  
اللائق أن يترك الدفة لمبتدئ جبان كهذا، يضيف سيل دموعه  
الى لجة البحر ويحاول أن يساند من هو أقوى منه بما  
لا يقاس، بينما آلامه تفتت الصور التي تحطم عليها المركب  
الذي كانت الجهود المبذولة ربما أنقذته من شر التحطيم.  
يا للعار، يا للغلط الفظيع! تقول ان مرساتنا كانت همة  
ورويك. هذا لا يهم، ان مونتيكو هو الآن صارينا المتين.  
قلت لك هذا لا يهم. فقد أضحي اوكسفورد مرساتنا  
وسومرست صارينا الجديد. أوليس أصدقاؤنا الفرنسيون أسرع  
وحبالاً نعتصم بها؟ فمهما كنا نفتقر الى المهارة، فأنا وادوارد  
نستطيع أن نقوم مقام الربان والبحارة معاً. نحن لا نريد  
أن نفلت الدفة لنجلس ونتحب. انما عندما تعاندنا العاصفة،

نريد أن نتجنب نواتي الصخور التي تهددنا بالتحطيم والغرق.  
فالأحرى بنا أن نغالب الأمواج من أن نمالئها. أوليس ادوارد  
أشبه بالبحر العاجز؟ ليس كلارانس إلا رمل جديد من المختلة  
والخداع. وريشار، أوليس نذير شؤم مريع؟ هذه آفات سفيتا  
المتمايلة. أما قلت لي انك تحسن السباحة؟ يا للأسف،  
لن تدوم هذه الحالة سوى لحظة. وكيف نسير على رمل  
متحرك؟ لا بد لنا من أن نفوص في جوفه. وان استطعنا  
تسلق الصخور سينال منا مد البحر ويجرفنا أو نهلك جوعاً،  
وهذا يعني أننا سنموت ثلاث مرات. أصارحكم بهذا أيها  
اللوردات لأفهمكم في حال تفكير أحدكم بالتخلي عن موقفه،  
اننا نكون تحت رحمة هؤلاء الأخوة الثلاثة الذين لا أمل  
يرجى منهم أكثر مما يرجى من الأمواج الطاغية والرمال  
المتحركة والصخور الناتقة. فتشجعوا اذا. ان ما لا سبيل  
الى تجنبه، يُعتبر فينا ضعف صياني، إن تدبناه أو خشيانه.

امير ويلز : يخيّل لي أن امرأة بهذه الهمة والجرأة، وبمثل ما تلتفظ  
به من كلام يشدد العزيمة ويحث الأقدام في نفس الانسان  
الأعزل، على مقاتلة الرجل المدجج بالسلاح. وحديثي بهذه  
اللهجة لا يدل على شكّي بأيّ منكم، وان شككت بوجود  
جبان في صفوفنا، فسأسمح له بالابتعاد سريعاً خوفاً من  
أن يفسد تصميمنا، عندما تدق ساعة الحرج، ويلقي الرعب  
في قلوب المقاتلين. فان وُجد أحد من هذه الفئة، لا سمح  
الله، عليه أن يرحل حالاً، لأننا لسنا بحاجة الى أي عون  
من هذا النوع.

او كسفورد : بارك الله نساءً وأولاداً في مثل هذه الشجاعة. لا أنكر أن  
بيننا عدداً من المحاربين لا يستبعد أن يضعفوا. أجل، وهذا  
عار لا يمتحى الى الأبد. فسقياً لك أيها الأمير الشاب الباسل.  
ان جدك الشجاع يحيا اليوم في شخصك، ألا أطال الله

عمرک لتذکرنا بصورته المشرفة وتجدد لنا مجده الأئیل.  
سومرست : اما من لا یرید أن یحارب لأجل مستقبل زاهر، فلیذهب  
ویرقد. ونظیر نعیب الیوم فی رابعة النهار، لا یسمع صوته  
إلا لاستقطاب الهزء والسخریة.

الملکة مرغریت : شکراً لك یا سومرست، ولك أيضاً یا اوکسفورد.  
امیر ویلز : واقبلوا منی تشکراتی الی لا یسعنی أن أهدیکم سواها.  
(یدخل رسول).

الرسول : استعدوا، أیها اللوردات، لأن ادوارد اقرب وهو متأهب  
للتقال. فواجهوه بشجاعة وتصمیم.  
اوکسفورد : كنت أترقب منه ذلك. لأن خطته تقوم علی استعجال الأمور  
واستخدام عنصر المباغطة.

سومرست : لكن أمله سیخیب، ما دما نحن أيضاً متأهبین.  
الملکة مرغریت : قلبی یرقص طریاً وأنا أبصرکم فی مثل هذا الحماس.  
اوکسفورد : لناخذ مراکزنا هنا، ولا تنزحزح عنها قید أنملة.

(تسمع موسیقی عسکریة. یدخل الملک ادوارد الی صدر المسرح برفقة  
کلارانس وریشار وجودهم).

الملک ادوارد: أیها الرفاق الشجعان، أنتم ترون هناك الشجیرات الشائكة  
التي یعون الله وهمتنا، نئی أن نقتلعها من جذورها قبل  
هبوط اللیل. لست بحاجة الی ازکاء لهیب حمیتکم، لأنی  
أعلم جیداً أنها فی أوج الاندفاع لصب الولیات علی رؤوس  
أعدائنا. أصدروا اشارة بدء المعركة، وهبوا الی القتال، أیها  
اللوردات.

الملکة مرغریت : أیها الفرسان المغاویر، ماذا یسعنی أن أقول لکم لمقاومة  
الدموع السخینة؟ لدى کل كلمة اتفوه بها، كما تلاحظون،  
ابتلع قطرات دموعي. انما لی كلمة أخیره : هنری ملککم

المحبوب، هو أسير لدى أعدائنا، وقد اغتصبت سلطته  
ومملكته تأرجح الآن بين الحق والباطل، ورعاياه مشردون  
أو مذبحون وقوانينه ملغاة وثروته مبددة. وهناك يمعن الذئاب  
فكاً، ويعيثون فساداً بينما أنتم تحاربون لاستعادة حقكم.  
فباسم الله أيها اللوردات، استحلفكم بأن لا تدخروا وسعاً،  
وأن تذلوا كل ما أوتيتم من جهد وبسالة. فأعلنوا بدء القتال.  
(ينحب الجيوش).

## المشهد الخامس

### في ساحة الحرب.

(تسمع موسيقى الانذار وضجة الجيوش المتحركة، ثم الانسحاب.  
عندئذ يدخل الملك ادوارد وكلايرانس وريشار وجنودهم وهم يقودون  
الملكة مرغريت وأوكسفورد وسومرست الى الأسر).

الملك ادوارد: هذه نهاية كل هذه المعارك الصاخبة. خذوا أوكسفورد سريعاً  
الى قصر هاميس. اما سومرست المجرم فاقتطعوا رأسه حالاً.  
هيا خذوهما من هنا لأنني لا أريد سماع صوتهما بعد الآن.  
اوكسفورد : من جهتي لن يزعجك صوتي بعد اليوم.  
سومرست : ولا أنا، لأنني أزعن بخضوع لمصيري.  
(يخرج اوكسفورد وسومرست يحيط الحرس بهما).

الملكة مرغريت : هكذا نفترق بحزن في هذا العالم المضطرب لتلقي بفرح  
في جنة الخلد.  
الملك ادوارد: أولم يعلن البعض أن من يدل على مكان ادوارد يُمنح مكافأة  
قيمة، كما يمنح ادوارد نفسه الأمان وصيانة حياته؟

ريشار : لقد فعلنا ذلك. ها هوذا الشاب ادوارد.

(يدخل جنود مصطحين أمير ويلز).

الملك ادوارد: هاتوا هذا الظريف الى جانبي. ولنسمع ما سيقول لنا. كيف تسنى لهذه الشوكة الفتية أن تقتلع منذ الآن؟ يا ادوارد، أي تعويض تمنحني لأنني حملت السلاح في وجهك، وحافظت رعاياي عليك رغم كل المشاكل التي سببتها لي؟ امير ويلز : تكلم يا يورك، كأحد الأهالي يفخر واعتزاز. وافترض انك في هذه اللحظة تسمع صوت أبي. أجلسني مكانك واركن حيث أنا، بينما أوجه اليك الأسئلة التي تدعي، أيها الخائن، أن عليّ أن أقدم لك ردودها.

الملكة مرغريت : ليت لأبيك نفس عزمك وتصميمك.

ريشار : سظل ولداً ترتدي السروال القصير، إن لم تسرق أثواب اسرة لنكاستر.

امير ويلز : خبيّ يا إيزوب الشاعر قصائدك لليالي الشتاء. لأن هذه الأقوال الفارغة لا مكان لها هنا الآن.

ريشار : والله، يا غلام، سأعاقبك على هذه الألفاظ الصيانية.

الملكة مرغريت : أحقاً، أنت خلقت لمعاقبة الرجال؟

ريشار : استحلفكم بالسماء، أن تأخذوا من هنا هذه الأسيرة الوقحة.

امير ويلز : لا، خذوا بالحري هذا الأحذب الخفيف البغيض.

الملك ادوارد: اخرس أيها الصبي اللئيم، والجُم لسانك.

كلارانس : حذار يا مغفل من هذه الوقاحة السمجة.

امير ويلز : أنا أعرف واجبي، بينما أنتم جميعاً تتجاهلون واجباتكم.

يا ادوارد المغامر، وأنت يا جورج المنافق، وأنت يا ريشار

المشوه، أقول لكم جميعاً أنني أنا سيدكم، أيها الخونة السفلة،

لا سيما أنت يا مغتصب حقوق أبي وبالتالي حقوقي أنا أيضاً.

الملك ادوارد: هذا لك، يا وجه النحس، يا صورة هذه المرأة النجسة.

(بطعن أمير ويلز).

ريشار (للأمير) : تخيّل الآن بدمك، وخذ هذا للقضاء عليك ولوضع حد سريع لنزاعك الأخير.

(بطعته).

كلارانس (للأمير) : وخذ هذا لقاء ما وجهته اليّ من اهانات.

(بطعته).

الملكة مرغريت : عليك أن تقتلني أنا أيضاً.  
ريشار : أمرك مطاع. خذي أنت ما نابهم.

(يحاول طعنها).

الملك ادوارد: قف يا ريشار، قف. اننا فعلنا أكثر من اللازم.  
ريشار : هل تريد أن تقيها على قيد الحياة لكي تعيث في الأرض فساداً بكلامها السامّ.

الملك ادوارد: ماذا أرى؟ هل أغمي عليها؟ حاولوا أن تعيدوا اليها وعيها.  
ريشار : استعذر لي من أخي الملك يا كلارانس. أنا ذاهب الى لندن لأجل قضية هامة. فقبل أن تصلوا اليها عليكم أن تصغوا اليّ لسماع خبر هامّ.

كلارانس : ما هو، ما هو؟

ريشار : البرج، البرج.

(يخرج).

الملكة مرغريت : آه! يا عزيزي ادوارد. كلّم والدتك، يا بني. أولم تعد قادراً على النطق؟ ثبّاً للخونة، وسحقاً للقتلة. ان من طعنوا قيصراً بالخنجر لم يسفكوا دماً ولم يرتكبوا اثماً ولم يستحقوا عقاباً اذا قيس عملهم بهذه الجريمة النكراء. ذاك كان رجلاً،

بينما هذا لا يعدو كونه ولداً، وليس من الرجولة أن يصبّ  
الإنسان جام غضبه على صبي. هل هناك اسم أحقر من  
القاتل لكي أخلعه عليه؟ لا، لا. إن قلبي يكاد ينفجر من  
الغضب. سأتكلم حتى يبح صوتي. تبا للجزارين القتلة وسحقاً  
لسفاكي الدماء وأكلة اللحوم البشرية. أية زهرة نضرة قطفتم  
قبل الأوان؟ أنتم لا أولاد لكم أيها الجلادون. ولو كان  
لكم أولاد لكانت الرحمة وجدت طريقاً إلى أفدتكم. ولو  
أصبح لكم ولد يوماً ما، عليكم أن تتركوا رؤيته مقتولاً  
في عزّ صباه كما فعلتم أنتم وفعل رجالكم يا رسل الموت،  
يا قتلة الأمير الشاب في نضارة عمره.

الملك ادوارد: اخرجوا هذه المرأة من هنا، هيا اخرجوها بالقوة.  
الملكة مرغريت : كلا، لا تأخذوني من هنا. هيا أغرس خنجرك في صدري،  
فأنا اسامحك على ارتكابك جريمة قتل. ماذا أرى؟ ألا  
تريد أن تنفذ ما أطلبه منك؟ هيا أنت نفذه، لا كلارانس.

كلارانس : بحق السماء، لن أمتحك هذه النعمة.  
الملكة مرغريت : هيا نفذ يا كلارانس الكريم. أتمس منك أن تلبّي طلبي.  
كلارانس : أولم تسمعي؟ لن أفعل هذا أبداً.

الملكة مرغريت : نعم أنت معتاد على تحمّل هذه الخساسة. في الماضي  
كان تملصك من تعهدك جريمة أما الآن فهو محبة وعدالة.  
ماذا أقول؟ أنت لا ترد. أين هذا الجزار؟ أين إبليس اللعين؟  
أين أنت يا ريشار الفظيع؟ أين أنت؟ القتل هو إحسانك،  
وأنت لم تكافئي من شجعوك على سفك الدماء.

الملك ادوارد: كفي، قلت لك، كفى. آمركم أن تأخذوها من أمامي، هيا  
خذوها حالاً من هنا.

الملكة مرغريت : هل تريد أنت وذووك أن تكون نهايتكم كهذا الأمير؟  
(تخرج مجرورة بالقوة).

الملك ادوارد: الى أين مضى ريشار؟  
كلارانس : الى لندن، الى موقف العربات، على ما أظن، لكي يشترك  
في البرج بوليمة دموية.  
الملك ادوارد: حالما تخطر بباله فكرة تراه يصبح مستعجلاً. هيا نذهب  
نحن أيضاً من هنا. ولنصرف الجنود البسطاء بعد أن ندفع  
لهم اجرتهم ونشكرهم، ثم نزحف على لندن. تعالوا لنترى  
كيف حال ملكتنا اللطيفة. آمل أن تحمل الآن مني طفلاً.  
(يخرجون).

## المشهد السادس

في برج لندن.

(الملك هنري جالس وفي يده كتاب، والى جانبه ملازم البرج.  
يدخل ريشار).

ريشار : صباح الخير يا مولاي. أنت لا تزال منشغلاً في المطالعة.  
الملك هنري : نعم يا مولاي الكريم. هل عليّ أن أدعوك : مولاي؟ ان  
التعليق نقيصة، والكلمة الطيبة ليست سوى مملأة.  
وكلوستر الكريم وابليس اللئيم متساويان في السخافة. لذلك  
لا أدعوك اللورد النبيل.  
ريشار (للملازم) : اتركنا وحدنا أيها الصديق. لأننا نريد أن نتحدث.

(يخرج الملازم).

الملك هنري : هكذا هرب الراعي من الذئب، واسلمت النعجة المسالمة  
جزئتها أولاً ثم عتقها لسكين الجزار. فما هو الدور المدمر  
الذي سيقوم به الممثل الروماني القدير روسيوس؟

ريشار : الشك يستبدّ بروح المجرم، والسارق يخاف الوقوع في قبضة العدالة.

الملك هنري : والعصفور الذي كاد أن يلصق بالدبق يخشى على جناحه المرتجف أن يعلق كلما لامس غصناً نضيراً. وأنا الأب التعيس أخاف على ابني العطوف الذي أراه أمام عينيّ، من أي شرك مشؤوم أو دبق منشور يمكن أن يأسر ابني الحبيب ويقتله.

ريشار : ما أعند هذا الكريتي المجنون الذي طلب من ابنه أن يقلد الطير، لأنه رغم الأجنحة التي زوده بها سقط وتحطم شر تحطيم.

الملك هنري : انا « ديدال » والد إيكار الذي غامر في أول محاولة للطيران، يا بني. وفينس الذي عرقل مسيرتنا، والشمس التي أذابت ما الصقت الريشات بواسطته من شمع في أجنحة ابني، هي شخص أخيك ادوارد الحاقد وأنت البحر العجاج الذي ابتلعه طيات أمواجه الهائجة المتلاطمة. هيا اقلني بسلحك المرهف الحدين لا بكلامك الجارح. لأن صدري لا يحمل ذؤابة خنجرك أكثر مما تحتمل اذناي سماع قصتك المأسوية. لكن لماذا تأتي إليّ؟ هل لتمتّل حياتي من جسمي المرهق المضني؟

ريشار : هل تعتقد بأنّي أنا منفذ ما تخشى أن يصيك من مكروه؟ الملك هنري : أنت في يقيني، مصدر هلاكي وموتي. فإذا كان قتل الأبرياء تنفيذ حكم الاعدام، فأنت إذاً منفذ هذا الحكم الجائر.

ريشار : لقد قتلت ابنك بسبب وقاحتك.

الملك هنري : لو كنت قُلتَ لدى أول وقاحة صدرت عنك، لما كنت عشت الى هذه الساعة لتقتل ولدي. لذلك أتوقع من أولوف الأحياء ممن لا يرتابون حتى من تحذيراتي، شيوخاً كانوا أو عاجزين ملوّعين ينتحبون أو أرامل يندبن أزواجهنّ أو

يتامى يكون متحسرين على ذويهم المفقودين باكراً، أن يلعنوا جميعهم تلك الساعة التي ولدوا فيها وكانت وبالأعلى عليهم كنعيب اليوم المشؤوم ونباح الكلب المسعور حين عثعش النحس في زوايا البؤس وراح يملأ الأجواء بنشاذ انغامه الفظلة. فتألمت والدتك، أكثر مما تعذبت سائر الأمهات، من جراء شنوذ أولادها، إذ وضعت في هذه الدنيا، بيأس بعيد عن آمال سائر الوالدات، كتلة مشوّهة وثمرّة مسموخة خالية من أي جمال بشري. لقد ولدتك أمك وفي فمك اسنان تدل على أنك منذ مجيئك الى هذا العالم أتيت لتعضه بأنيابك الحادة، وبما أن كل ما سمعته عنك صحيح فأنت خلقت لتكون...

ريشار : لن اسمع المزيد. مت أيها النبي الدجال في طيات نبوءتك الكاذبة. (يطعن الملك). فأنا لهذه الغاية حقاً قد خلقت. الملك هنري : نعم، ولقتل الكثيرين بعدي. يا الهي ارحمني واغفر ذنوبي. سامحك الله أنت أيضاً.

(يموت)

ريشار : ماذا أرى؟ أهو دم لنكاستر المتجبر مهطوراً على الأرض؟ كنت أمل أن يتدفق الى أعلى. أنظر كيف دمع سيفي لموت الملك الطيب القلب. أرجو أن يذرف دموعاً هكذا حمراء كل من يغني اذلال اسرتنا. فاذا بقي لك نسمة من حياة، أنزل الى الجحيم وقل أنني أنا ارسلتك الى هناك (يطعنه ثانية). أنا الذي لا يعرف قلبي الشفقة ولا المحبة ولا الخوف. في الحقيقة، كل ما رواه لي هنري صحيح. اذ غالباً ما سمعت أُمي تردد أنني جئت الى هذا العالم، أقدمي قبل رأسي. أولم يكن الحق بجانبني في تصرفي المصيب وتحطيم من يختصون حقوقنا؟ فالقابلة القانونية شذت والنساء

صرخن : « سترك اللهم، لقد ولد والأسنان تملأ فمه ». في الواقع هكذا وُلدت، وهذا يعني بوضوح أنني مزعم أن أغمغم وأن أعصّ وأن أصبح حقيقةً من رجال البطش والتحدي. وبما أن السماء شاءت أن يكون جسمي على هذه الصورة من التشويه، كان على نيران الجحيم أن تشوّه نفسي أيضاً على خلاف العادة. أنا لا أخوة لي ولا أُنسم بصفة الأخوة. هذا الحب الذي ينعته أصحاب اللحي التي وخطها الشيب، بالحب الالهي لا يناسبني، بل يناسب الأشخاص المتشابهين المنسجمين. فأنا فريد من نوعي. حذار يا كلارانس أن تمنع عني النور. لذا سأسعى كي أجعل يومك معتماً. وسأنشر في الأجواء نبوءات تدع ادوارد يرتجف هلعاً طوال حياته، ثم لكي أبدد مخاوفه سأعجل في موتك. فالملك هنري وابنه الأمير قد غابا. وجاء دورك يا كلارانس، ثم يأتي دور الآخرين. لأنني اعتبر نفسي سافلاً حتى أتحوّل الى مخلوق رفيع المستوى. سأنقل جسدك الى قاعة أخرى يا هنري وسأسيطر على آخر أيام حياتك.

(يخرج).

## المشهد السابع

في لندن — في قصر وسنمستر.

(يشاهد الملك ادوارد جالساً على عرشه ويقربه الملكة اليزابيث حاملةً طفلها الأمير، وكلارانس وريشار وهاتكس وغيرهم).

الملك ادوارد: مرة أخرى، ها أنا أجلس على عرش مملكة انكلترا الذي اشتريته بدم جميع أعدائي. فلتحصد ارواح اخصامي الشجعان

كانها ستابل الخريف في قمة مجدها. ثلاثة من أسرة سومرست، كل منهم بلقب دوق، ابطال بارزون عرفوا بيسالة لا تهاب المنايا، واثان من أسرة كليفورد، الأب وابنه واثان من أسرة نرتمبرلند لم يكن مقاتل اشجع منهما ييرع نظيرهما في همز بطن مطيته لتنتطلق بسرعة كالسهم المارق لدى سماع صوت البوق، ومعهم ديان نشيطان ورويك ومونتيكو كانت سلاتنهما مرتبطة بالأسد الملك، الذي كان يُرعد الغابات بزئيره. هكذا بددنا القلق وأقصناه عن العرش، ووطننا أقدامنا في حكم البلاد بأمان وسلام. اقتربي يا اليزابيث لكي أقبل ولدي الصغير ادوارد. لأجلك يا بني أنا وأعمامك سهرنا ليالي الشتاء الطويلة ونحن مرتدون دروعنا. ومشينا أياماً طويلة في حرارة الصيف المحرقة. لذا تستطيع أن ترث التاج بسلام وتقطف ثمار جهودنا.

ريشار (على حدة): لكني سأبدد غلتك حالما أريح رأسي، لأنني لست محسباً إلى الآن من هذا العالم. وأكافي لم تكسب هذه القوة المدهشة إلا لتحمل الأثقال وإلا يجعل بي أن أكرس عمودي الفقري (يشير إلى رأسه ثم إلى ذراعه)، أنت تخطط وأنت تنفذ.

الملك ادوارد: يا كلارانس، ويا كلوستر، احفظا مودتكما لمليكتي الحبيبة، وعانقا ابن أخيكما الأمير، يا أخوتي.

كلارانس : الاحترام الواجب عليّ نحو جلالتك، اطبعه كوسمة على فم هذا الطفل العزيز.

الملك ادوارد: شكراً يا أخي النبيل كلارانس، شكراً جزيلاً.

ريشار : كم أحب الشجرة التي أعطت هذه الثمرة الحلوة. وهذه القبة برهان على صدق ما أقول. (على حدة) في الحقيقة، هكذا أسلم يهوذا معلمه عندما خاطبه قائلاً : عليك السلام، وهو يريد أن يقول : عليك الشقاء.

الملك ادوارد: الآن أتربع على العرش، والفرج يترع نفسي، موقناً بسلام  
بلدي وبمحبة اخوتي.

كلارانس : ماذا يريد أن يقول عن مرغريت؟ لقد وضع والدها رينه  
جزيرة صقلية ونابولي بين يدي ملك فرنسا. وحول إلينا  
مبالغ جزيته.

الملك ادوارد: دعها تنتقل إلى فرنسا. فاليوم لم يبقَ أمامنا سوى تكريس  
وقتنا لحفلات الانتصار ولمشاهدة الابتهاج والمرح والهرج  
الذي يلائم لهو البلاط. فاقرعي يا طبول وانفخي يا أبواق.  
وداعاً يا أحقاد الأعداء، لأنني اليوم آمل أن أبدأ أفراحي الدائمة.

( تمت )







Bibliotheca Alexandrina



0463869